

# شرح نهج البلاغة

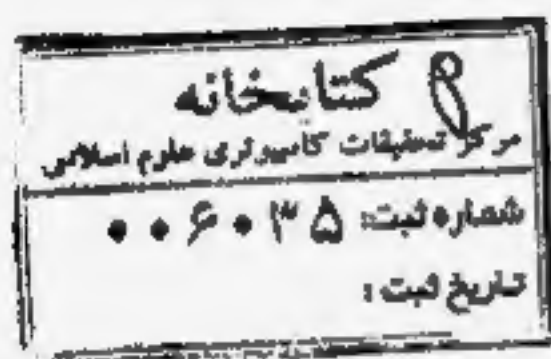
لابن أبي الحديد

مختص  
بمحدث أبو الفضل برهان

دار النشر: المكتبة العصرية  
بيروت - لبنان - مصر

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



بمقتضى  
محمد بن الفضل البرقي

مركز تحقيق وتطوير علوم

الجزء التاسع

دار الفکر الإسلامية  
مبنى الباني الجليلي وشركاه

الطبعة الثانية  
( ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م )  
جميع الحقوق محفوظة



کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

منشورات مکتبه آية الله العظمى المرعشى النجفي  
قم - ايران ١٤٠٤ هـ ق

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

[ ذكر أطراف مما شجر بين علي وعثمان في أثناء خلافته ]

واعلم أن هذا الكتاب يستدعي منا أن نذكر أطرافاً مما شجر بين أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان أيام خلافته ؛ إذ كان هذا الكلام الذي شرحناه من ذلك الدمل<sup>(١)</sup> ؛ والشئ يذكر بنظيره ؛ وعادتنا في هذا الشرح أن نذكر الشئ مع ما يناسبه ويفتضئ ذكره .



قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه "أخبار السقيفة" : حدثني محمد بن منصور الرمادي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زباد بن جبيل ، عن أبي كعب الحارثي<sup>(٢)</sup> - وهو ذو الإداوة<sup>(٣)</sup> ، قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وإنما سمي ذا الإداوة لأنه قال : إني خرجت في طلب إبل ضوال ، فزودت لبناً في إداوة ، ثم قلت في نفسي : ما أنصفت ربّي ! فأين الوضوء ؟ فأرقت اللبن وملأتها ماء ، فقلت : هذا وضوء وشراب ، وطفقت أبني إبل ، فلما أردت الوضوء اصطبغت من الإداوة ماء فتوضأت ، ثم أردت الشرب ، فلما اصطبغت ؛ إذا ابن فشربت ؛ فكنت بذلك ثلاثاً ؛ فقالت

(١) انظر الجزء الثامن ص ٢٥٢ إلى ٢٦٢ في أخبار أبي ذر الغفاري وإخراجه إلى الرينة وموقف عثمان وعلي منه .

(٢) أبو كعب الحارثي ، أورده ابن حجر في الإصابة ١ : ١٦٥ ؛ ونقل خبره ، عن معمر في إجماعه .

(٣) الإداوة ، بالكسر ؛ إناء صغير من جلد .

له أسماء النحرانية : يا أبا كعب ، أحقيتنا كان أم حليياً<sup>(١)</sup> : قال : إنك لبطالة ! كان  
بعض من الجوع ويروي من الظأ ، أما إني حدثت بهذا نفرأ من قومي ؛ منهم علي بن  
الحارث سيد بني قنان ؛ فلم يصدقني ، وقال : ما ظن الذي تقول كما قلت ؛ فقلت : الله أعلم  
بذلك . ورجعت إلى منزلي ، فبت ليلتي تلك ، فإذا به صلاة الصبح طلى بابي ، فخرجت إليه ،  
فقلت : رحمك الله ! لم تمنيت ؛ ألا أرسلت إلي فأتيتك ، فإنني لأحق بذلك منك قال :  
ما نمت الليلة إلا أنا أني أت فقال : أنت الذي تكذب من يحدث بما أنعم الله عليه ! قال  
أبو كعب : ثم خرجت حتى أتيت المدينة ، فأتيت عثمان بن عفان وهو الخليفة يومئذ  
فأخبرته عن شيء من أمر ديني ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، إني رجل من أهل اليمن من  
بني الحارث بن كعب ، وإني أريد أن أحملك فأمر حاجبك ألا يحجبني ، فقال :  
يا وثاب ، إذا جاءك هذا الحارثي فأذن له . قال : فكنت إذا جئت ، ففرحت بالسبب ،  
قال : من ذا ؟ فقلت : الحارثي . فيقول : ادخل ، فدخلت يوماً فإذا عثمان جالس ، وحوله  
نفر سكوت لا يتكلمون ، كأن على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم جلست ، فلم أسأله عن  
شيء إلا رأيت من عالم وحاله ، فبينما أنا كذلك إذ جاء نفر ، فقالوا : إنه أتى  
أبى يحيى . قال : فغضب وقال : أبى أن يحيى . اذهبوا فحيثوا به ؛ فإن أبى  
يحيى جرحه جرحاً .

قال : فكنت قليلاً ، فبعاءوا ومعه رجل آدم طوال أصلع ، في مقدم رأسه شعرات ،  
وفي قفاه شعرات ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : عمار بن ياسر ، فقال له عثمان : أنت الذي  
تأتيك رسلاً فأتى أن يحيى . قال : فكلمة بشيء لم أذير ما هو ، ثم خرج . فسا زالوا

(١) الحقين : الذين الذي قد حق في القضاء لتخرج زبدته . والمليب : الذين المحلوب الذي لم يتغير طعمه .

ينفضون من عنده حتى ما بقي غيري فقام ، فقلت : والله لا أسألُ من هذا الأمر أحداً  
أقول حدثني فلان حتى أدري ما يصنع . فثبتته حتى دخل المسجد ، فإذا عمار جالس إلى  
سارية ، وحوله نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون ، فقال عثمان : يا وثاب  
عليّ بالشرط ، فبعاءوا ، فقال : فارقوا بين هؤلاء ، ففارقوا بينهم .

ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم عثمان فصلّى بهم ، فلما كبرت قالت امرأة من حُجْرَتِهَا : يا أيها  
الناس . ثم تكلمت ، وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما بعثه الله به ، ثم قالت :  
تركتم أمراً لله ، وخالفتم عهده ... ونحو هذا ، ثم صمّئت وتكلمت امرأة أخرى بمثل  
ذلك ، فإذا عمار عائشة وحفصة .

قال : فسلم عثمان ، ثم أقبل على الناس ، وقال : إن هاتين لفتاتان ، يحملان سبهما ،  
وأنا بأصلهما عالم .

فقال له سعد بن أبي وقاص : أتقول هذا لهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال :  
وفيم أنت ! وما هاهنا ، ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه ، فأنسل سعد .

فخرج من المسجد ، فاتبعه عثمان ، فلقى علياً عليه السلام بباب المسجد ، فقال له عليه  
السلام : أين تريد ؟ قال : أريد هذا الذي كذا وكذا - يعني سعداً بشيئمه - فقال له عليّ  
عليه السلام : أيها الرجل ، دع عنك هذا . قال : فلم يزل بينهما كلام ، حتى غضبا ، فقال  
عثمان : الست الذي خلقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم تبوك ! فقال عليّ : ألت  
الفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد !

قال : ثم حجّر الناس بينهما . قال : ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة ،  
فوجدت أهلها أبضا وقع بينهم شر ، ونشبوا في الفتنة ، وردّوا سميد بن العاص فلم يدعوه  
يدخل إليهم . فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومي .

وروى الزبير بن سكر في كتاب "الوفقيات" عن عمه، عن عيسى بن دواد، عن  
رجاله، قال: قال ابن عباس رحمه الله: لما بنى عثمان داره بالمدينة، أكثر الناس عليه  
في ذلك قبله، فخطبنا في يوم جمعة؛ ثم صلى بنا، ثم عاد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه،  
وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد؛ فإن النعمة إذا حدثت لها حساد حسبها،  
وأعداء قدرها؛ وإن الله لم يحدث لنا نصراً ليحدث لها حساد عليها، ومنافسون فيها،  
ولسكنه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه، وضم القاصية إليه، فأتانا  
عن أناس منكم يقولون: أخذ فيثنا، وأتفق شيثنا، واستأثر بأموالنا، يمشون خجراً<sup>(١)</sup>،  
ويقطعون سراً؛ كأننا غيب عنهم، وكأنهم يهابون مواجهتنا؛ معرفة منهم بدخوض  
حببتهم؛ فإذا غابوا عنا بروح بعضهم إلى بعض يذكرنا. وقد وجئوا على ذلك أعواننا من  
نظرائهم، ومؤازرين من شهابهم، فبعداً بعلنا، ورغماً رغماً. ثم انشد بيتين كأنه يومئ  
فيهما إلى علي عليه السلام:

توقد بنار أينما كنت واشتعل  
فلمست ترى مما نعالج شافياً  
نشط فيقضي الأمر دونك أهله  
وشيكاً، ولا تدعى إذا كنت ثانياً

مالي ونفسيكم وأخذ مالكم. ألسن من أكثر قريش مالاً، وأظهرهم من الله نعمة.  
ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده. وهبوني بنيت منزلاً من بيت المال؛ اليس هو  
لي ولكم. ألم أقم أموركم، وأني من وراء حاجاتكم؛ فما تفقدون من حقوقكم شيئاً،  
فلم لا أصنع في الفضل ما أحببت؛ فلم كنت إماماً إذا. ألا وإن من أحبب العجب،  
أنه يلغى عنكم أنكم تقولون: لنفعان به ولنفعان. فيمن تفلون، لله آباؤكم. أيتقد  
البقاع، أم بققع القاع! ألسن أحراركم إن دعا أن يجاب؛ وأمنكم إن أمر أن يطاع.

(١) في اللؤلؤ: «هو يدب له الضراء»، ويعني له الحر، يقال لمن ختل صاحبه.

لنفي كلّي بقائي فيكم بعد أصحابي ، وحياتي فيكم بعد أترابي ! يا ليتني تقدّمت قبل هذا ، لكنّي لا أحبّ خلاف ما أحبه الله لي عزّ وجلّ ؛ إذا شئتم فإنّ للصادق المصدّق محمداً صلى الله عليه وسلم قد حدّثني بما هو كائن من أمرى وأمركم ، وهذا بدء ذلك وأوله ، فكيف المحرب بما حتم وقدر ! أما إنّه عليه السلام قد بشرني في آخر حديثه بالجنة دونكم ، إذا شئتم فلا أفلح من ندّم !

قال : ثمّ همّ بالنزول فبصر بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وناسٌ من أهل هواه يتناجون ؛ فقال : أيّها أيّها ! أميراً لا جهاراً أأما والذي نفسي بيده ما أحتقّ كلّ جرّة ، ولا أوتى من ضفّ ميرة ؛ ولولا النظر لي ولكم والرفق بي وبكم ، لعاجلتكم ؛ فقد اغتررتكم ، وأفلتكم من أنفكم .

ثم رفع يديه بدمع ويقول : اللهمّ قد نعمت بحقي للعافية فألبسنيها ، وإيشاري للسلامة فأثنيها .

بركتك يا خير مني

قال : ففرّق القوم عن عليّ عليه السلام ، وقام عديّ بن الحيار ؛ فقال : أتمّ الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة ، وزادك في الكرامة ، والله لأنّ تحمّداً أفضل من أن تحمّداً ؛ ولأنّ تنافس أجل من أن تنافس ! أنت والله في حسّينا الصميم ، ومنصبنا الكريم ؛ إن دعوت أجبت ؛ وإن أمرت أطعت ، فقلّ نفع ، وادعُ تحبّ ؛ جمّلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختاروا لهم وأميرهم ، وإيهم ليرؤن مكائلك ، ويعرفون مكان غيرك ؛ فاختاروك منيدين طائعين ، غير مكرهين ولا مجبرين ، ما غيرت ولا فارقت ، ولا بدّلت ولا خالفت ؛ فعلام يقدّمون عليك وهذا رأيهم فيك ! أنت والله كما قال الأول :

إذهب ، إليك فاللحسو دِ إلّا طلائبك تحت العشار



حَكَمْتَ فَا جُرْتَ فِي خَلَّةٍ فَحَكَمَكَ بِالْحَقِّ بَادِي لِنَارٍ  
فَإِنْ يَسْبُوكَ فِيرًا وَقَدْ جَهَرْتَ بِسَيْفِكَ كُلَّ الْجَهَارِ<sup>(١)</sup>

• • •

قال : ونزل عثمان فأتى منزله ، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس ، فلما أخذوا بحالهم ،  
أقبل على ابن عباس ، فقال : مالي ولكم يا ابن عباس ! ما أغراكم بي ، وأولعكم بتعقب  
أمرى ! أتقيمون على أمر العامة ؟ أتيت من وراء حقوقهم ، أم أمركم ؟ فقد جعلتهم  
يؤمنون بمنزلةكم إلا والله لكن الحسد والبغى وتثوير الشر وإحياء الفتن ، والله لقد أتى  
النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً ، والله ما كذبت  
ولا أنا بمكذوب .



فقال ابن عباس : على رسيتك يا أمير المؤمنين ، لو الله ما عهدتكم جهرًا بسرك ، ولا مظهرًا  
مافي غيبك ، فما الذي هيجك وتورك أن تألم بولعنا بك أمر ، ولم تتعقب أمرك بشي ، أتيت  
بالكذب ، وأسوّق عليك الباطل . والله ما نقمنا عليك لنا ولا العامة ، قد أتيت من وراء حقوقنا  
وحقوقهم ، وقضيت ما يلزمك لنا ولم ، فأما الحسد والبغى وتثوير الفتن ، وإحياء الشر  
فمق رضيت به عترة النبي وأهل بيته ! وكيف وهم منه وإليه على دين الله يشعرون الشر ،  
أم على الله يحبون الفتن ، كلاً ليس البغى ولا الحسد من طبايعهم . فأتيت يا أمير المؤمنين  
وأبصر أورك ، وأمسك عليك ! فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى ! لعمرى أن  
كنت لأثيراً عند رسول الله ، وأن كان ليفضي إليك سره ما يطوبه عن غيرك ، ولا كذبت  
ولأنت بمكذوب ! أخأ<sup>(٢)</sup> الشيطان عنك ولا يركبك ، وأغلب غضبك ولا يفلحك ، فما  
دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك !

قال : دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب ، فقال ابن عباس : وعسى أن يكذب مبتغاك ! قال عثمان : إنه ثقة ، قال ابن عباس : إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى . قال عثمان : يا ابن عباس ، آله إنك ما تعلم من علي ما شكوت منه ! قال : اللهم لا ، إلا أن يقول كما يقول الناس ، ويفهم كما يفهمون ! فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم ! فقال عثمان : إنما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر ، وهو علي بن عمك ، وهذا والله كله من نكده وشؤمه . قال ابن عباس : مهلاً ، استثن يا أمير المؤمنين ، قل : إن شاء الله ، فقال : إن شاء الله . ثم قال : إني أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحيم فقد والله غلبت واثبتت بكم ، والله لو ددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني لمحتسوه عني ، وكنت أحد أعوانكم عليه ، إنا والله لو جددتوني لكم خيراً مما وجدتمكم لي ، ولقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم ، فوالله ما أدرى أذفوه عنكم أم دفعوكم عنه !

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنا ننشدك الله والإسلام والرحيم ، مثل ما نشدتنا ، أن تطيع فينا وفيك عدواً ، ونشيت بنا وبك حسوداً ! إن أمرك إليك ما كان قولاً ! فإذا صار فضلاً فليس إليك ولا في يدك . وإنا والله لنخالفن إن خولفنا ، ولننازعن إن نوزعنا ! وما نعلمك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ، وبعبب كما عابوا ! فأما صرف قومنا عنا الأمر فمن حدير قد والله عرفته ، وبني قد والله علمته ، فوالله يفتنا وبين قومنا ! وأما قولك : إنك لا تدري أذفوه عنا أم دفعونا عنه ! فلامري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلاً إلى فضلنا ، ولا قدراً إلى قدرنا ، وإنا لأهل الفضل وأهل القدر ، وما فضل فاضل إلا بفضلنا ، ولا سبق سابق إلا بسبقنا ! ولولا هديتنا ما اهتدى أحد ، ولا أبصرُوا من عني ، ولا قصدوا من جور .

فقال عثمان : حتى متى يا ابن عباس ، يأتيني عنكم ما يأتيني ! هبوني كنتُ بعيداً ، أما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن أناظر ! بلى ورب السكبة ، والكن الفرقة

سهلت لكم القول في ، وتقدمت لكم إلى الإسراع إلى . والله المستعان .

قال ابن عباس : مهلاً ، حتى ألقى علياً ثم أجول إليك على قدر ما رأى . قال عثمان :  
افعل فقد فعلت ، وطالبا طلبت فلا أطلب<sup>(١)</sup> ، ولا أجاب ولا أعتب .

قال ابن عباس : نخرجت فلقيتُ علياً ، وإذا به من العصب والتلفظ أضاعف  
ما بعثان ، فأردتُ نكيتته فامتنع ، فأنيبُ مرلي وأغلقت باني ، واعتزلتهما .

فبلغ ذلك عثمان ، فأرسل إلى ، فأنيبه وقد هدأ عصبه ، فنظر إلى ثم ضحك ،  
وقل : يا ابن عباس ، ما أبطأ بك عنا ! إن تركت العود إلينا لندليل على ما رأيت عند  
صاحبك ، وعرفت من حاله ، فافقه يسار وبينه ! خذ بنا في غير ذلك .

قال ابن عباس : فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن علي شيء ، فأردتُ التكذيب  
عنه بقول : ولا يوم الجمعة حين أطلت عنا وتركت العود إلينا ! فلا أدري كيف أرد عليه .



وروى الزبير بن بكار أبا بصير قال في الوفيات : عن ابن عباس رحمه الله ، قال : خرجتُ  
من منزلي سحراً أسابق إلى المسجد ، وأطلب العصيلة ، فسمعت حلياً وكلاماً ، فسمعتُه  
فإذا حس عثمان وهو يدعو ولا يرى أن أحداً بسمه ، ويقول : اللهم قد تعلم بيتي فأعني  
عليهم ، وتعلم الدين ابتليتُ بهم من ذوي رحي وفرايتي ، فأصلحني لهم ، وأصلحهم لي .  
قال : فقصرت من خطوتي وأسرع في مشيتي ، فالتقينا وسلم ، فرددت عليه ، فقال :  
إني خرجت ليلتنا هذه أطلب الفصل والسابقة إلى المسجد ، فقلت : إني أخرجني  
ما أخرجك ، فقال : والله لئن سأقت إلى الخبر ، إنك لمن سابقين مباركين ، وإني  
لأحبكم وأتقرب إلى الله بحسبكم ، فقلت : برحمتك الله يا أمير المؤمنين ! إنا لنحبك  
ونعرف سابقتك وسنتك وقرانتك وصهرك . قل : يا ابن عباس ، فإني ولاين تحمك وابن  
خالي ! قلت : أي بني عمومي وبني أحوالك ؟ قل : اللهم اعف ! أنسال مسألة الجاهل !

(١) أطلب فلان فلانا ، أحياه إلى طلبه .

قلت: إن بني عمو من بني خؤولتك كثير؛ فأبهم تعني؟ قال: أعني علياً لا غيره، فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم منه إلا حيراً، ولا أعرف له إلا حسناً قال: والله بالحرى أن يستردوك ما يظهره أميرك، ويحبص عنك ما يبسط به إلى سواك.

قال: ورؤينا عمار بن ياسر، وسلم، فرددت عليه سلامه، ثم قال: من معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان، قال: نعم، وسلم مكيبته، ولم يسلم عليه بالخلافة، فردّ عليه، ثم قال عمار: ما الذي كنتم فيه، فقد سمعت دَرَوًّا<sup>(١)</sup> منه؟ قلت: هو ما سمعت، فقال عمار: ربّ مظلوم عاقل، وظالم متعاهل! قال عثمان: أما إنك من شُئنا وأتباعهم، وإيم الله، إن اليد عليك لمببطة، وإن السبيل إليك لسهنة، ولولا إيتار العافية؛ ولم الشعث لحررتك زجرة تكفي ماضى، وتمنع ما بقى.

فقال عمار: والله ما أعتذر من معي علياً، ثم ما اليد بمببطة، ولا السبيل بسهولة؛ إنى لأرم حجة، ومقيم على سنة الله وأما إيتار العافية ولم الشعث، فلا رم ذلك. وأما زحرى فأملك عنه، فقد كفلك معقى تعلينى فقال عثمان: أما والله إنك ما علمت من أعوان الشرّ الحاضين عليه، الخذلة عند الخير، والمتبطّين عنه. فقال عمار: مهلاً يا عثمان، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يصيحى بعبير ذلك، قال عثمان: ومضى؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفة عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه، وقعد ففضله<sup>(٢)</sup>، فقبلت صدره ومحوه وحبته، فقال: «يا عمار، إنك لتحتنا وإنا لمحتك، وإليك لمن الأهوان على الخير المتبطّين عن الشر» فقال عثمان: أجل ولسكتك غيرت وبدلت، قال: فرفع عمار يده يدعو، وقال: آمن يا ابن عباس، اللهم من عيق فعبّر به ثلاث مرات.

قال: ودخلنا المسجد، فأهوى عمار إلى مصلاه، ومصبت مع عثمان إلى القنطرة،

(١) القدر: الطرف من القول

(٢) الفصل: التوب بلبه الرجل من بته

فدخل الخراب ، وقال : تابَّتْ عليّ إذا انصرفنا ، فلما رآني عمار وحدي أتاني ، فقال :  
 أما رأيتَ ما بلغ لي آثقا ؟ قلت : أما والله لقد أصعبتَ به وأحزبتَ بك ، وإن له لسنه  
 وفصله وقرايته ، قال : إنَّ له لذلك ؛ ولكن لا حقَّ لمن لا حقَّ عليه . وانصرف .  
 وصلى عثمان ، وانصرفت معه جوكاً عليّ ، فقال : هل سمعتَ ما قال عمار ؟ قلت : نعم ،  
 فسرَّني ذلك وساء لي ، أما مسأته إيتاي فما بلغ بك ، وأما مسرَّته لي فخلعت واحتمالك .  
 فقال : إن عليّاً فارَّقني منذ أيام عليّ للمقاربة ، وإن عماراً آتبه فقاتل له وقاتل ؛ فابذُرهُ  
 إليه ، فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولاً ، فأتى الأمرُ إليه عليّ وجهه ، فقلت : نعم  
 وانصرفت أريد عليّاً عليه السلام في المسجد ، فإذا هو خارج منه ، فلما رآني تفجَّع  
 لي من قوَّة الصلاة ، وقال : ما أدركتها ! قلت : بلى ؛ ولكي خرجت مع أمير المؤمنين ،  
 ثم انقضت عليه القصة ، فقال : أما والله ياربُّ كعباس ، إنه ليقرِف قرحةً ، ليحورن  
 عليه ألماً<sup>(١)</sup> . فقلت : إنَّ له ستموسابغته ، وفرانته وصهره ، قال : إنَّ ذلك له ؛ ولكن  
 لا حقَّ لمن لا حقَّ عليه .

قال : ثم رجعاً<sup>(٢)</sup> عمار ، فبشَّ به عليّ ، ونبشني وجهه ، وسأله ، فقال عمار : يا ابن عباس ،  
 هل أتيتَ إليه ما كتب فيه ؟ قلت : نعم ؛ قال : أما والله إذاً لقد قلتَ بلسان عثمان ،  
 ونطقت بهواه ؛ قلتُ : ما عدوتُ الحقَّ جهدي ؛ ولا ذلك من فعلي ؛ وإنك اعلم أيَّ  
 الخطين أحبُّ إليّ ، وأيَّ الحقين أوجبُ عليّ !

قال : فظنَّ عليّ أنَّ عند عمار غيرَ ما أتيتُ إليه ، فأخذ بيده وترك يدي ، فقلتُ أنه  
 بكره مكاني ، فتخلَّفت عنهما ، وانشعب بنا الطريق ، فلكنا ولم بدعني ، فاطلقتُ إلى  
 منزلي ، فإذا رسول عثمان بدعوني ، فأنيته ، فأجد بيابه مروان وسعيد بن العاص ،

(١) يقال : قرِف القرحة ، أي غمرها جد ببسها ؛ وليحورن : لبرحي .

(٢) رجعاً ، عشيماً .

في رجال من بني أمية ، فأذن لي والطنسي ، وقرّني وأدّني مجلسي ، ثم قال : ما صنعت ؟ فأخبرته بالتبليغ على وجهه ومات قال الرجل ، وقت له - وكنتمته قوله : « إني ليقرّف قرحة » ليحورن عليه ألبها - إبقاء عليه ، وإجلالا له ؛ وذكّرتُ بحى - عمار ، وبشّ على له ، وظنّ على أن قبّله غير ما أتيت عليه ، وسوكتها حيث سلكتها . قال : وفعلت ؟ قلت : نعم . فاستقبل للقبلة ، ثم قال : اللهم ربّ السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم ؛ أصلح لي عيّا ، وأصلح لي أئمتنا يابن عباس ، فأمنت . ثم تحدّثنا طويلا ، وفارقت . وأنت منزل .

\*\*\*

وروى الزبير بن بكار أيضا في الكتاب المذكور ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ما سمعتُ من أى شيئا قط في أمر عثمان يلوّمه فيه ولا يمدّحه ، ولا سأله عن شيء من ذلك بحال ، أن أحجم منه على ما لا يوافقني ؛ وإنما عنده ليلة ونحن نتعشى ، إذ قيل : هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب ، فقال : ائذّنوا له ، فدخل فأوسع له على فراشه ، وأصاب من العشاء معه ، فلما رُفِع قام من كان هناك ، وثبت أما . فحمد عثمان الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا خال ، فإني قد جئتُك أستعذرك من ابن أخيك عليّ ؛ سبني ، وشهر أمرى ، وقطع رحمى ، وطعن في ديني ؛ وإني أعوذ بالله منكم يا بنى عبد المطلب ؛ إن كان لكم حقّ تزعمون أنكم غلبتم عليه ، فقد تركتموه في يدي ، من فعل ذلك بكم ، وأما أقرب إليكم رحما منه ؛ وما لمت منكم أحدا إلا عيّا ، ولقد دعيتُ أن أسط عليه ، فتركت . فتركه الله والرحيم ، وأنا أخاف ألا يتركني فلا أتركه .

قال ابن عباس : فحمد أبي الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا بنى أحمق ، فإن كنت لا تحمد عليّا لنفسيك فإني لا أحمدك لعلّي ، وما علىّ وحده قال فيك ، بل غيره ؛ فلو أملك

اتهمت نفسك للناس، اتهم الناس أنفسهم لك؛ ولو أنك نزلت بما رُقيت وارتقوا بما نزلوا، فأخذت منهم وأخذوا منك، ما كان بذلك بأس. قال عثمان: فذلك إليك يا خال، وأنت بيني وبينهم. قال: أفأذكر لم ذلك عنك؟ قال: نعم، وانصرف؛ فما لبثنا أن قيل: هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب، قال أبي: انذروا له، فدخل قمام قائما، ولم يجلس، وقال: لا تجعل يا خال حتى أودنك، فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالسا بالباب ينتظره حتى خرج، فهو الذي ثناه من رأيه الأول، فأقبل على أبي، وقال: يا بني، ما لي هذا من أمره شيء، ثم قال: يا بني، أم لك عليك لسانك حتى ترى مالا بد منه؛ ثم رفع يديه، فقال: اللهم اسقني مالا حير لي في إدراكه. فما مرت جمعة حتى مات رحمه الله.

وروى أبو العباس اللرد في "الكامل" عن قنبر مولى علي عليه السلام قال: دخلت مع علي بن عثمان، فأحبنا الخلوة، فأومأ إلي علي عليه السلام بالتمسحي، فتدحيت غير بعيد، فجعل عثمان يمانه وعلي مطرق، فأقبل عليه عثمان، وقال: مالك لا تقول؟ قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

قال أبو العباس: تأويل ذلك: إن قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي، فلذلك عتابي، وعندي ألا أفعل - وإن كنت عاتبا - إلا ما تحب<sup>(١)</sup>.

وعندي فيه تأويل آخر؛ وهو: أنني إن قلت واحتذرت فأى شيء حشنته من الأعداء لم يكن ذلك عندك مصدقا، ولم يكن إلا مكروها غير مقبول؛ والله تعالى يعلم أنه ليس لك عندي في باطني وما أطوى عليه جوانحي إلا ما تحب، وإن كنت لا تقبل المماذير التي أذكرها، بل تذكرها وتنو نفسك عنها.

• • •

وروى الواقدي في كتاب "الشورى" عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : شهدت  
عقاب عثمان لملي عليه السلام يوماً ، فقال له في بعض ما قاله : نشدتك الله أن تفتح  
الفرقة باباً ! فلهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ولست بدون واحد منهما ، وأنا أمس بك رجلاً ، وأقرب إليك صبراً ،  
فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فقد رأيتك حين  
توقى نازحتاً ثم أقررت ، فإن كانا لم يركبا من الأمر جديداً ، فكيف أذعنت لهما  
بالبيعة ، وبخعت بالطاعة ! وإن كانا أحسناً فيما ولها ، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي  
وقرايتي ، فكيف لي كما كنت لهما .

فقال علي عليه السلام : أما الفرقة ، فمأذ الله أن أفتح لها باباً ، وأسهل إليها سبيلاً ،  
ولكى أسألك عما ينهك الله ورسوله عنه ، وأهديك إلى رشدك ، وأما عتيق وابن الخطاب  
فإن كانا أحداً ما جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ، فأت أعم بذلك والمسلمون ،  
ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين ! فأما ألا يكون حق بل المسلمون فيه شرع فقد  
أصاب السهم الثمرة <sup>(١)</sup> ، وأما أن يكون حق دونهم فقد تركته لم ، طبت به نفسي ،  
ونفست يدي عنه استصلاحاً . وأما التسوية بينك وبينهما ، فليست كأحدما ، إنها ولها  
هذا الأمر ، فظلفا <sup>(٢)</sup> أنفسهما وأهلها عنه ، وعُنت فيه وقومك عوم الساج في اللجة ،  
فارجع إلى الله أبا عمرو ، وانظر هل يبق من عورك إلا كيطمء الحمار <sup>(٣)</sup> ! فحق متى وإلى  
متى ! ألا نهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم ! والله لو ظلم  
حامل من محالك حيث تقرب الشمس لكان إنعم مشتركاً بينه وبينك .

قال ابن عباس : فقال عثمان : لك العتبي ، وأفعل وأغزل من محالي كل من تكرهه

(١) الثمرة - نقرة البحر بين الغلوتين . (٢) ظلفا أنفسهما ، أى كفا .

(٣) يقال : ما يبق منه من ظم الحمار ؟ أى لم يبق من حمرة إلا اليسير ؛ لأنه ليس شيء أقصر ظمناً من  
الحمار ، والسلام على المثل .



ويكرهه المسلمون ؛ ثم افترقا ، فصده مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال : يحترئ عليك الناس ، فلا تمزل أحدا منهم !

•••

وروى الزبير بن بكار أبصافاً في كتابه ، عن رجال أسند بعضهم عن بعض ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : أرسل إلى عثمان في الهجرة <sup>(١)</sup> ، ففتنمت بشوبى ، وأتيته ، فدخلت عليه وهو على سرير ، وى يده قصيب ، و بين يديه مال دثر <sup>(٢)</sup> : صبرتان من ورقٍ وذهب ، فقال : ذاك حد من هذا حتى نملأ بطنك فقد أحرقتنى . فقلت : وصطك رجم ! إن كان هذا المال ورثته ، أو أعطاك معطٍ ، أو اكتسبه من تحارة ؛ كنت أخذ رجلين : إما آخذ وأشكر ، أو أقر وأجهد ، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل ، فوافقه مالك أن تعطيه ولا لى أن آخذه . فقال : آيت والله إلا ما آيت . ثم قام إلى بالقصيب فضربنى ، والله ما أردبده ، حتى قصى حاجته ، ففتنمت بشوبى ، ورجعت إلى منزلى ، وقلت : الله بينى وبينك إن كنت أمرتك بمعروف أو نهيت عن منكر !

•••

وروى الزبير بن بكار ، عن الزهرى ، قال : لما أتى عمرُ بجوهر كسرى ، وضع في المسجد ، فطلعت عليه الشمس فصار كالجر ، فقل نغاز بيت المال : ونحك أرحني من هذا ، واقسم بين المسلمين ، فإن نفسى تمدنى أنه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قسمته بين المسلمين لم يسمهم ، وليس أحد يشتره لأن ثمنه عظيم ، ولكن تدعه إلى قابل ، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتره منهم من يشتره . قال : ارفعه فأدخله بيت المال .

وقتل عمر وهو بحاله ، فأخذه عثمان لما ولى الخلافة على به بناته .

(٢) الدثر : اللال الكثير .

(١) الهجرة : نعل التمار في القبط .

قال الزبير : فقال الزهري : كل قد أحسن ؛ عمر حين حرم نفسه وأقاربه ، وعثمان حين وصل أقاربه .

\*\*\*

قال الزبير . وحدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا سفیان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : جاء رجلا إلى علي عليه السلام يستشفع به إلى عثمان ، فقال : قتال الخطايا لا والله لا أعود إليه أبدا . فأبى منه .

\*\*\*

وروى الزبير أيضا ، عن شداد بن عثمان ، قال : سمعت عوف بن مالك في أيام عمر ، يقول : يا طاعون خذني ، فقلنا له : لم تقول هذا ؛ وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ لِلتَّوْمَنِ لَا يُزِيدُهُ طَوْلُ الْعَمْرِ إِلَّا خَيْرًا » قال : إني أخاف سقاة خلافة بني أمية ، وإمارة السفهاء من أحدهم ، والرَّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ ، وسفك الدم الحرام ، وكثرة الشرط ، ونشأ يذئبا ، يتخذون القرآن مزامير .

\*\*\*

وروى الزبير عن أبي عثمان ، عن عمر بن زياد ، عن الأسود بن قيس ، عن عبيد بن عارية ، قال : سمعت عثمان وهو يخطب ، فأكب الناس حوله ، فقال : اجلسوا يا أعداء الله ! فصاح به طلحة : إنهم ليسوا بأعداء الله ؛ لكنهم عباد الله ؛ وقد قرءوا كتابه .

\*\*\*

وروى الزبير ، عن سفیان بن عيينة ، عن إسرائيل عن الحسن ، قال : شهدت المسجد يوم الجمعة ، فخرج عثمان ، فقام رجل ، فقال : أشد كتاب الله ؛ فقال عثمان : اجلس ؛ أما ليكتب الله ناشد غيرك ؛ فجلس ، ثم قام آخر فقال مثل مقالته ، فقال : اجلس ، فأبى .  
( ٢ - نهج - ٩ )

أن يحبس ، فبعث إلى الشرط ليحبسوه ، فقام الناس فخالوا بينهم وبينه ، قال : ثم تراموا بالبطحاء ؛ حتى يقول القائل : ما أكاد أرى أديم السماء من البطحاء .

فزل عثمان ، فدخل داره ولم يصل الجمعة

\*\*\*

[ فصل فيما شجر بين عثمان وابن عباس من الكلام بحضرة علي ]

وروى الزبير أيضا في " الموقيات " عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : صليت العصر يوما ، ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفان في أبنام خلافته في بعض أروقة المدينة وحده ، فأتيته إحلالا وتوفيرا لمكانه ، فقال لي : هل رأيت عليا ؟ قلت : حلفت في السعد ، فإن لم يكن الآن فيه فهو من مره ؛ قال : أما منزله فليس فيه فإيه <sup>(١)</sup> لنا في السعد . فتوجهنا إلى المسجد ، وإذا علي عليه السلام يخرج منه ؛ قال ابن عباس : وقد كنت أسس ذلك اليوم عند علي ، فذكر عثمان وتعرّفه عليه ، وقال : أما والله يا ابن عباس ، إن من دوائه لقطع كلامه ، وترك لقائه . فقلت له : برحمتك الله ! كيف لك بهذا ؟ فإن تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع ؟ قال : أعتل ؛ وأعتل ؛ فمن يفسري <sup>(٢)</sup> ! قال : لا أحد .

قال ابن عباس : فلما تراءى بنا له وهو خارج من المسجد ، ظهر منه من التفات والطلب للانصراف ما استبان لعثمان ، فمطر إلى عثمان ، وقال : يا ابن عباس ، أما ترى ابن حاننا يكره لقاء ما ! فقلت : ولم وحقك ألرم ، وهو ما فعل أعلم ؛ فلما تقاربا رماه عثمان بالسّلام ، فردّ عليه ، فقال عثمان : إن تدخل فإياك أردنا ، وإن تمس فإياك طمينا . فقال علي : أي ذلك أحسنت ؟ قال : ندخل ، فدخلوا أحد عثمان بيده ، فأهوى به إلى القبلة ، فقصر عنها ، وحلّس قبالتها ، فجلس عثمان إلى حايه ، فكسبت عهما ، فدعوا إلى جميعا ، فأتيتهما فحيد عثمان الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : أما بعد يا بني ؟ حالتي وإبنتي

(١) إيه : اطله .

(٢) كدائي د ، وق م : « يفسري » .

عني ؛ فإذا جئتك في النداء فسأجيبك في الشكاية ، عن رضائي على أحدكما ، ووجدني على الآخر . إني استعذركما من أهلكما ، وأسألكما فيئتكما ، واستوهبكما رجعتكما ؛ فوالله لو غالبني الناس ما انتصرت إلا بكما ، ولو تهضموني ما تمررت إلا بمرتكما . ولقد طال هذا الأمر بيننا حتى تخوفت أن يحور قدره ، وبمظم الخطر فيه ؛ ولقد هاجني المدون عليكما ، وأغراتي بكما ؛ ففتني الله والرحيم بما أراد ، وقد حلونا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جانب قبره ؛ وقد أحببت أن تظهر إلى رأيتكما في ، وما تنطويان لي عليه وتصدقان ؛ فإن الصدق أنجى وأسلم ؛ واستغفر الله لي ولكما .

قال ابن عباس : فاطرق علي عليه السلام ، وأطرفت معه طويلا ؛ أما أنا فأحلفه أن أتكلم قبله ، وأما هو فأراد أن **أجيب عن ركنه** ثم قلت له : أتتكلم أم أتكلم عنك ؟ قال : بل تكلم عني وعليك . **لحديث الله** وأنيت عليه ، وصليت على رسوله ، ثم قلت : أما بعد يا ابن عمنا وعمنا ، فقد سمعنا كلامك لنا ، ولطأك في الشكاية بيننا على ريس . رحمت . من أحدا ما ووجدك على الآخر ، وسفعل في ذلك ، مذمتك ونحمدك ، اقتداء منك بفعلك حين ؛ فإنا مذم مثل نهيتك إيانا على ما اتهمتنا عليه بلاقة إلا فلنا ؛ ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشرتك ، ثم نستغفرك من نفسك استعذارك إيانا من أنفسنا ، واستوهبك فيئتك ، استيهابك إيانا فيئنا وسألك رجعتك مسألتك إيانا رجعتنا ؛ فإنا معاً أيما حدث وذمت منا ، كذلك في أمر نفسك ؛ ليس بيننا فرق ولا اختلاف ؛ بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله ؛ فوالله ما فعلنا غير معدلين فيما بيننا وبينك ، ولا نمر من غير قاتنين عليك ، ولا نخذلنا غير راجعين إليك ؛ فنحن سألوك من نفسك مثل ما سألنا من أنفسنا . وأما قولك : لو غالبني الناس ما انتصرت إلا بكما ، أو تهضموني ما تمررت إلا بمرتكما ، فأين بنا وبك عن ذلك ، وعن وأنت كما قال أحو كفاية :

بداً محترماً مارام قال ، وإن يؤمَّ يَحْضُرُ قوته غمراً من الغمر رائحة

لنا ولم منا ومنهم على العدا صرات عزٍ مصيبتٍ سلامة

وأما قولك في هيج العدو وإياك علينا ، وإغرائه لك بنا ، فوالله ما ألتاك العدو من ذلك شيئاً إلا وقد ألتانا بأعظم منه ؛ فمنعنا عما أراد مامنهك من مراقبة الله والرحيم ، وما أبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروءتنا ؛ ولقد تعمري طال بنا وبك هذا الأمر حتى نخوفنا منه على أنفسنا ، وراقبنا منه مراقبت .

وأما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك ، وما تطوري عليه لك ، فإننا نخبرك أن ذلك إلى مانع ؛ لا يعلم واحدٌ منكم صاحبه إلا ذلك ، ولا يقبل منه غيره ، وكلانا ضامنٌ على صاحبه ذلك وكفيلٌ به ، وقد برأت أحدهما وبركتيه ، وأسقطت الآخر وأسكتته ، وليس السقيم منا مما كرهت بأنطق من البري فيما ذكرت ، ولا البري منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت ؛ فإما جمعنا في الرضا وإما حمتنا السخط ؛ لمجازيك بمثل ما تعمل بنا في ذلك ؛ مكايبة الصاع بالصاع ؛ قد علمناك رأينا ، وأظهرنا لك ذات أنفسنا ، وحد قنك ؛ والصدق كما ذكرت أنجي وأسلم ، فأجب إلى ماعوت إليه ، وأجبل عن النقص والمذر مسعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره ، واحضق تنج وتسلم ، واستعفر الله لنا ذلك . قال ابن عباس : فنظر إلى علي عليه السلام نظرَ هيبة ، وقال : دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه ، فوالله لو ظهرت له قلوبنا ؛ وبدت له سرائرنا ، حتى رآها بعينه كما يسمع الخبير عنها بأدنه ، ما زال معمر ما منتقما ، والله ما أنا منقئ على وخمة<sup>(١)</sup> ، وإنى لما نزع مارواه ظهرى ؛ وإن هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشرة .

فقال عثمان : مهلاً أما حسن ؛ فوالله إنك تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفني

(١) الوخمة في الأصل : حنة الحرار تطلع عنها اللحم ؛ ووال للث : تركهم لما على وعيهم ، أي أوقع بهم فأوحشهم .

بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده : « إن من أمحاي لقوماً سألين لهم ، وإن عثمان منهم ؛ إنه لأحسنهم بهم ظناً ، وأصحهم لهم حباً » فقال علي عليه السلام : فتصدق قوله صلى الله عليه وسلم بفعلك ، وحالف ما أت الآن عليه ؛ فقد قيل لك ما سمعت ، وهو كافٍ إن قبلت . قال عثمان : فتشق يا أبا الحسن ؟ قال : نعم أثق ولا أظنك إلا فاعلاً ، قال عثمان : قد وثقت وأنت ممن لا يتخفى صاحبه ، ولا يكذب لقيه .

قال ابن عباس : فأخذت ما بيديهما ؛ حتى نصالحا وتصالحا وتمازجا ، ونهضت عنهما ؛ ففشاورا وتآمرا وتذاكرا ؛ ثم افترقا ؛ فوالله ما مرت ثلاثة حتى لقي كل واحد منهما ، يذكر من صاحبه مالا ترك عليه الإبل . فقلت أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها .

\*\*\*

وروى أحمد بن عبد العزيز الحواري في كتاب " أحبار السقيفة " عن محمد بن قيس الأسدي ، عن المعروف بن سويد ، قال : كنت بالمدينة أيام يبيع عثمان ، ورأيت رجلاً في المسجد جالساً ، وهو يصفق<sup>(١)</sup> يأخذ بيده على الأخرى ، والناس حوله ، ويقول : والعجب أن فرش واستشارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت ، ومدن الفصل ، وعموم الأرض ، ومور البلاد ؛ والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى منه بالحق ، ولا أقصى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف ، ولا أسى عن المنكر ، فسألت عنه فقيل : هذا المقداد ؛ فتقدمت إليه ، وقلت : أصلحك الله ! من الرجل الذي تذكر ؟ فقال : ابن عمّ نبيك رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب !

قال : فلبنت ما شاء الله ثم أتني لقيت أباخرّ رحمه الله ، حدثته مقال المقداد ، فقال : صدق ؛ قلت : فما يمنعكم أن تعملوا هذا الأمر فيهم ؟ قال : أتى ذلك قومهم ، قلت : فما يمنعكم أن تبعثوهم ؟ قال : مه لا تقل هذا ، إياكم والعرفة والاختلاف !

(١) يصفق : يصربه .

قال : فكت عنه ، ثم كان من الأمر بعد ما كان .

\*\*\*

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في الكتاب الذي أورد فيه المأذير عن أحداث عثمان ، أن علياً اشتكى ، فصاده عثمان من شكايته ؛ فقال علي عليه السلام :

وَعَائِدَتِي تَمُودُ لِمِيرٍ وَدَرٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ ذَا دَنْفٍ يَمُوتُ

فقال عثمان : والله ما أدري أحياتك أحب إلي أم موتك ! إن ميت هاضى مقدك ، وإن حيت ففنتني حياتك ، لا أعديم ما بقيت طاهنا يتخذك رديئة بلعاً إليها .

فقال علي عليه السلام : ما الذي حملني رديئة للطاعنين المائنين ! إنما سوه ظنك بي أحلني من قلبك هذا المحل ، فإن كنت تخاف جاني فلك حل عهد الله وميثاقه أن لا بأس عليك مني ، ما بل تمر صوفة<sup>(١)</sup> ، وإني لك لم أبيع ، وإني عنك لحام ؛ ولكن لا ينعنى ذلك عندك . وأما قولك : « إن فعدى يهينك » ، فكلاً أن تهاض لعقد ، وما بقى لك الوليد ومروان .

فقام عثمان فخرج .

وقد روى أن عثمان هو الذي أشد هذا البيت ؛ وقد كان اشتكى ، فصاده علي عليه السلام فقال عثمان :

وَعَائِدَتِي تَمُودُ بِمِيرٍ نَصَحَ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ ذَا دَنْفٍ يَمُوتُ

\*\*\*

وروى أبو سعد الأصبهاني<sup>(٢)</sup> في كتابه عن ابن عباس ، قال : وقع بين عثمان وعلي

(١) من قولهم في الثعلب : لا آتيك ما مل بخر صوفة

(٢) هو أبو سعد زين السكفاء منصور بن الحبيب الأصبهاني ؛ وزير عبد الدولة رستم بن نصر الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، صاحب كتاب نثر الدرر في الحاصلات

عليه السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع، إن كانت قريش لا تحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأن وجوههم شفوف الذهب، تصرع أنفهم قبل شفاههم !

وروى المذكور أيضا أن عثمان لما نقم الناس عليه ما نقموا، قام متعرجا على مروان فخطب الناس؛ فقال: إن لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، قوم عيانون علمانون، بطيرون لكم مانحون، ويسرون مانكرون؛ علمام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، ولقد نقموا على ما نقموا قلى عمر مثله، فقمعهم ووقمهم<sup>(١)</sup> وإني لأقرب ناصرا، وأعز نفرا، فإني لا أفعل في فضول<sup>(٢)</sup> الأموال ما أشاء !

وروى المذكور أيضا أن عليا عليه السلام اشتكى، فعاده عثمان، فقال: ما أراك أصبحت إلا ثقيلًا! قال: أجل، قال: والله ما أدري أמותك أحب إلى أم حياتك! إني لأحب موتك، وأكره أن أعيش بعدك، فلو شئت جعلتكم كلها من ضحك عرجا، إما صديقًا مالمًا وإما عدوًا معالبا، وإليك كما قال أبو أيوب<sup>(٣)</sup>:

جَرَّتْ لَمَّا بَيْنَنَا حَبْلُ الشَّمْسِ فَلَا بَأْسَ مَبِينًا رَى مَبَا وَلَا طَمَا

فقال علي عليه السلام: ليس لك عندي منحواف، وإن أحببتك لم أحببك إلا بماتك رحمه.



وكتب عثمان إلى علي عليه السلام حين أحبط به، أما بعد: فقد جاوزَ الماء الزلّى، وبلغ الحرام الطلّين، وتجاوز الأمر في قدره، فطمع في من لا يدفع عن نفسه.

(١) وقهم: أدلهم.

(٢) فضول الأسوال: الزائدة عن الحاجة.

(٣) هو لقيط بن يصر الإيادي من نصبة بدر بها قومه غزو كرى إمام؛ وأولها:

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلِّهَا أَلْجَرَعَا هَاجَتْ لِي أَلْهَمُ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَحَا

في مختارات ابن السكيت ١ - ٦



فإن كنت ما كولا فكن خيرا كلِّ وألا فادركني ولما أمرت<sup>(١)</sup>

•••

وروى الزبير حبر العيادة على وجه آخر قل : مرض علي عليه السلام ، فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم ، فجعل عثمان يسأل علياً عن حاله ، وعلي ساكت لا يجيبه ، فقال عثمان : لقد أصبغت يا أبا الحسن مني بمرقة الولد المارق لأبيه ! إن عاش عقه ، وإن مات لحمه ؛ فلو جعلت لنا من أمرك رجاً ، إما عدواً أو صديقاً ؛ ولم تجعلنا بين السماء والماء ! أما والله لأنا خير لك من فلان وفلان ؛ وإن قُتلت لأجهد مثلي ، فقال مروان : أما والله لا يُرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا ، وتقطع أرحامنا .

فالتفت إليه عثمان ، وقال : اسكت لاسكت ! وما يدحك فيما بيننا !

•••

وروى شيخنا أبو عثمان الخاضع عن زيد بن أرقم ؛ قال : سمعتُ عثمان وهو يقول لعلي عليه السلام : أنكرت علي استعمال معاوية ، وأنت نعم أن تستعمله ! قال علي عليه السلام : شدتك الله ! ألا تعلم أن معاوية كان أطوع لسمر من برء غلامه ! إن عمر كان إذا استعمل عاملاً وطىء على صماخه ؛ وإن لقوم ركبوك وعلبك ، واستبدوا بالأمر دونك . فسكت عثمان .

•••

### [ أسباب المنافسة بين علي وعثمان ]

قلت : حدثني جعفر بن مكي الحاجب رحمه الله ، قال : سألت محمد بن سليمان حاجب الحاجب سوقاً رأيت أنا محمداً هداً ، وكانت لي به معرفة غير مستحكة ، وكان طريقاً

(١) البيت للمعري السدي ، والمدر والكمال ١ : ١٧

أديبا ، وقد اشتمل بالرياضيات من الفلسفة ، ولم يكن يتعصب لذهب بعينه - قال جعفر :  
سألت عما عده في أسر علي وعثمان ، فقال : هذه عداوة قديمة النُسب بين عبد شمس وبين  
بنى هاشم ، وقد كان حرب بن أمية نقر عبد الطلب بن هاشم ، وكان أبو سفيان يحسد محمداً  
صلى الله عليه وآله وحاربه ، ولم ترل الثنن متباغضين وإن جمعتهما المذاقية . ثم إن رسول  
الله صلى الله عليه وآله زوج عليا بابنته ، وزوج عثمان بابنته الأخرى ؛ وكان اختصاص رسول  
الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أكثر من اختصاصه لأمّنت الأخرى ، ولثانية التي تزوجها  
عثمان بمد وفاة الأولى ، واختصاصه أيضا لعليّ وزيادة قرب به منه وامترابه به واستغلاصه  
إياه لنفسه ، أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان . ففقد عثمان ذلك عليه ، فتباعد ما بين قلبيهما ،  
وراد في التباعد ما عساه يكون بين الأحثين من مُباغضة أو مشاجرة أو كلام ينقل من إحداها  
إلى الأخرى ، فيتكدر قلبها على أخيها ، ويكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين  
البعدين أيضا ، كما شاهدته في عصرنا وفي غيره من الأعصار ؛ وقد قيل : ما قطع من الأخوين  
كالزوجتين . ثم اتفق أن عليا عليه السلام قتل جماعة كثيرة من بنى عبد شمس في حروب  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتأكد الثنآن ، وإذا استوحش الإنسان من صاحبه  
استوحش صاحبه منه . ثم مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، فصبا إلى عليّ جماعة يسيرة لم  
يكن عثمان منهم ، ولا حضر في دار فاطمة مع من حضر من الخلفين عن البيعة ، وكانت في  
همس عليّ عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر وعمر ، لقوة  
هم وشده ، وانسلاط يده ولسانه ؛ فلما قتل عمر وجعل الأمر شورى بين الستة ، وعدل  
عبد الرحمن بها عن عليّ إلى عثمان ، لم يملك عليّ نفسه ، فأظهر ما كان كامنا ،  
وأبدى ما كان مستورا ؛ ولم يزل الأمر ترابدا بينهما ، حتى شرف وتفاقم ؛ ومع ذلك فلم  
يكن عليّ عليه السلام لينكر من أمره إلا مفكرا ، ولا ينهاء إلا كما تقتضي الشريعة منه  
عنه ؛ وكان عثمان مستضعفا في نفسه ، رخوا قايلا الحزم ، واهي العفدة ، وسلم عنائه إلى

مرؤان بصرفه كيف شاء ؛ الخلافة له في المعنى ولعثمان في الاسم . فبما انتقص على عثمان أمره ، استصرخ علياً ولآد به ، وألقى زمام أمره إليه ، فدافع عنه حيث لا ينفع الدِّفاع ، ودبّ عنه حين لا يعنى الدِّبّ ، فقد كان الأمرُ فسد فساداً لا يُرجى صلاحه .

قال جعفر : فقلت له : أقول إن عاباً وحَد من خلافة عثمان أعظم مما وَجَدَه من خلافة أبي بكر وعمر ؟ فقال : كيف يكون ذلك ؛ وهو فرع لها ، ولولا هالم يصل إلى الخلافة ، ولا كان عثمان ممن بطع فيها من قبل ، ولا يحظر له ببال أولئك ها هنا أمر يقتضي في عثمان زيادة المافسة ، وهو اجتماعهما في النسب ، وكوسهما من بني عبد مناف ، والإنسان يتأفيس ابن عمه الأدنى أكثر من مسافة الأبعد ، ويهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب

قال جعفر : فقلت له : أقول : في أن عثمان كُفِع ولم يقتل ؛ أكان الأمر يستقيم إلى عليه السلام إذا بويع بعد خلعهِ ؟ فقال : لا ، وكيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه وعثمان حتى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله ، لأنه موجود يُرجى ويتوقع عودُه ، فإن كان محبوباً عظم البلاء والخطأ ، وهتف الناس باسمه في كل يوم ، بل في كل ساعة ، وإن كان مُخَلَّ بمرتبته ، ومكسباً من نفسه ، وغير محول بينه وبين احتياله ، لجأ إلى بعض الأطراف ، وذكر أنه مظلوم عُصيت خلافته ، وفيه على خلق منه ، فكان اجتماع الناس عليه أعظم ، والغمة به أشدَّ أعظم .

قال جعفر : فقلت له : فما تقول في هذا الاختلاف الواقع ؛ أمر الإمامة من مبدأ الحال ، وما الذي نَفَظَه أصله ومنهجه ؟ فقال : لا أعلم لهذا أصلاً إلا أمرين : أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله أهمل أمر الإمامة فلم يصرِّح فيه بأحدٍ بميثه ، وإنما كان هناك رَمَزٌ وإيماء ، وكناية وتعرُّص ، لو أراد صاحبه أن يبيِّن به وقت الاختلاف وحال المنازعة

لم يُقم منه صورة حجة نفي ، ولا دلالة تحسبونكفي ؛ ولذلك لم يحتج على عليه السلام يوم السقيفة بما ورد فيه ، لأنه لم يكن بصاً حياً يقطع العذر ، ويوجب الحجة ؛ وعادة الملوك إذا تمهد ملوكهم ، وأرادوا القتل لولد من أولادهم ، أو نفي من نقابهم ، أن يصرحوا بذكره ، ويخطبوا باسمه على أعناق المابر ، وبين فواصل الخطب ، ويسكتوا بذلك إلى الأفاق البعيدة عنهم ، والأفطار النائية منهم ؛ ومن كان منهم ذا سرير وحصن ومدن كثيرة ، صر اسم على صفحات الدايرو ندرام مع اسم ذلك الملك ؛ بحيث تروى الشبهة في أسره ، ويسقط الارتياح بحاله ؛ فليس أمر الخلافة بهين ولا صعب ليترك حتى يصير في مظنة الاشتباه واللبس ؛ ولله كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك عذر لا تعلمه نحن ؛ إما خشية من فساد الأمر ، أو إرحاف المسقين ، وقولهم : إنها ليس نبوة وإنما هي ملك به أوصى لقريته وسلالته ، ولما لم يكن محمد من تلك الدرية في تلك الحال صالحاً للقيام بالأمر أصير السر وجه لا يهيم ؛ ليكون في الحقيقة لروحته التي هي الله ولأولاده منها من بعده .

وأما ما نقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل : إن الله تعالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الأمر مملأ غير معين أقرب إلى فعل الواجب وتجنب القبيح . قال : ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم في مرضه أنه يموت في ذلك المرض ، وكان يرحو البقاء فيمهد للإمامة قاعدة واضحة . وما يدل على ذلك أنه لما بوزع في إحصار الدواة والكتف ليسكتب لهم مالا يصلون بعده ، عصب وقال : اخرجوا عني ، لم يحممهم بعد المصائب ثاية ويمرتهم رشداهم ، ويهديهم إلى مصالحهم ، بل أرحأ الأمر إرجاء من يرتقب الإهانة ، وينتظر المافية .

قال : فبتلك الأقوال المحضة ، والكذبات المحتملة ، والرموز المشبهة ، مثل حديث

خَصَفَ النمل ، ومنزلة هارون من موسى ، وَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ ، وهذا يصوب الدين ، ولا تَقِي إِلَّا عَلَى ، وأحببت خلقك إليك ... وما جرى هذا الجري ، مما لا يفصل الأمر ، ويقطع المذر ويُسَكِّت الخضم ، ويُفَعِّم للنازع ؛ وَثَبَّتْ الأَبصار فادّعتها ، وَثَبَّتْ بنوها ثم فادّعوها ، وقال أبو بكر : يا أيها عمر أَوَأَبَا عبيدة ، وقال العباس لعلي : امدد يدك لأبيك ، وقال قوم ممن رَعَفَ به الدهر فيما بعد ؛ ولم يكن موجودا حينئذ : إِنَّ الأَمْرَ كَانَ لِلْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ أَلِهُمَّ الْوَارِثُ ، وإن أبا بكر وعمر غصباء حقّه ؛ فهذا أحدهما .

وأما السبب الثاني للاختلاف ، فهو جُتِلَ أمر شورى في الستة ، ولم ينص على واحد بعينه ؛ إِمَّا مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ فَبَقِيَ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ رُشِّحَ لِلْخِلَافَةِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَةِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِمْ وَأَذْهَانِهِمْ مَصَوِّرًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، مَرْتَبًا فِي خِيَالِهِمْ ، مَنَازِعَةً إِلَيْهِ نَفْسِهِمْ ، طَائِعَةً لِحُكْمِ مَوْتِهِمْ ؛ حَتَّى كَانَ مِنَ الشَّقَاقِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَعُمَانَ مَا كَانَ ، وَحَقُّ أَفْضَى الْأَمْرِ إِلَيْهِمَا . وَكَانَ أَكْثَرُ الْأَسْبَابِ فِي قِتْلِهِ طَائِعَةً ؛ وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ أَنْ الْأَمْرَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَوَجُّهٌ ؛ مِنْهَا سَابِقَةٌ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي نَفْسِ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مَرَّةٌ عَظِيمَةٌ ، أَكْثَرُ مِنْهَا الْآنَ . وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مَتَمِّعًا جَوَادًا ، وَقَدْ كَانَ نَازِعَ عَمْرِىَ حَيَاةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَمُوتَ أَبُو بَكْرٍ الْأَمْرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَارَالَ يَفْتِلُ فِي الْقَدَرَةِ وَالْعَارِبِ فِي أَمْرِ عُمَانَ ، وَيَسْكُرُ فِي الْقُلُوبِ ، وَيَكْتَدِرُ عَالِيَهُ النَّفْسِ ، وَيَعْرِى أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَالْأَعْرَابِ وَأَهْلَ الْأَمْصَارِ بِهِ . وَسَاعَدَهُ الزُّبَيْرُ ؛ وَكَانَ أَيْضًا يَرْجُو الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَسْكُنْ رَجَاؤُهَا الْأَمْرَ بِدُونِ رَجَاءِ عَلِيٍّ ، بَلْ رَجَاؤُهَا كَانَ أَقْوَى ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا دَحَصَهُ الْأَوَّلَانِ ، وَأَسْقَطَهُ ، وَكَسَرَ نَامُوسَهُ بَيْنَ النَّاسِ ؛ فَصَارَ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ، وَمَاتَ الْأَكْثَرُ مَنْ يَعْرِفُ خَصَائِصَهُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ النَّبُوَّةِ وَفَضْلِهِ ، وَشَاءَ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ إِلَّا رَجُلًا مِنْ حُرُصِ السَّمِينِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِمَّا يَمُتُ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ لِرَسُولٍ ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ ، وَأَبُو سَيْطَانِهِ ، وَنَسِيَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ ؛ وَاتَّفَقَ لَهُ مِنْ بَقْضِ

قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحد ؛ وكانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحة والزبير ، لأن الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما ، وكانا يتآلفان قريشا في أواخر أيام عثمان ؛ وبمديانهم بالعطاء والإفصال ؛ وهما عند أحسبهما وعند الناس حليفتان بالقوة لا بالفعل ؛ لأن هر نفس عليهما وارتهما للخلافة ، وعمر مشيع القول ومرضى الفصال ، موفق مؤيد مطاع ، نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته ؛ فلما قتل عثمان ، أرادها طلحة ، وحرص عليها ، فلولا الأشر وقوم معه من شعبان العرب جعلوها في حل لم تصل إليه أبدا ، فلما فانت طلحة والزبير ، فتفا ذلك الفتق العظيم على حل ، وأخرجهم المؤمنين معهم ، وقصدا للمراق ، وأثارا الفتنة ؛ وكان من حرب لجل ما قد علم وعرف ، ثم كانت حرب الجمل مقدمة ونمهدا لحرب صفين ؛ فإن معاوية لم يكن ليفعل ما فعل ، لولا طمعه بما حرق في البصرة ، ثم أوقف أهل الشام أن عليا قد سبق بحاربة أم المؤمنين ، وبحاربة المسلمين ، وأنه قتل طلحة والزبير ، وهما من أصل الجنة ، ومن يقتل مؤمنا من أهل الجنة فهو من أهل النار ، فهل كان الفساد للتو في صفين إلا فرعا لفساد السكائن يوم الجمل ؛ ثم نشأ من فساد صفين وضلال معاوية كل ماجرى من الفساد والتببيع في أيام بني أمية ، ونشأت فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم الحار ، لأن عبد الله كان يقول : إن عثمان لما يقن بالقتل نص على بالخلافة ؛ ولي بذلك شهود ، ومنهم مروان بن الحكم أظن أني كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل ، وغصنا من شجرة ، وجذوة من ضرام ؛ هكذا يدور بعضه على بعض ، وكله من الشورى في الستة .

قال : وأعجب من ذلك قول عمرو قد قيل له : إياك استعملت يزيد بن أبي سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلانا وفلانا من اللؤفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وترك أن تستعمل عليا والعباس والزبير وطلحة ؛ فقال : أما على فآبئة من ذلك ، وأما هؤلاء النفر

من قريش ، «إني أخاف أن ينشروا في البلاد ، فيكثروا فيها الفساد ، فمن يخاف من  
 تأمرهم لنلا بطعموا في الملك ، ويدعيه كل واحد منهم لنفسه ، كيف لم يتحفظ من جعلهم  
 سنة متساوين في الشورى ، رشحوا للخلافة ! وهل شيء أقرب إلى الفساد من هذا ! وقد  
 روى أن الرشيد رأى يوماً محمداً وعبد الله أخيه بامبان ويصعكان ؛ فسر بذلك ، فلما غابا  
 عن عينه بكى ، فقال له الفضل بن الربيع : ما بك يا أمير المؤمنين ، وهذا مقام جدل  
 لا مقام حزن ؟ فقال : أمارأيت لهما ومودة بينهما ؟ أما والله ليتبدآن ذلك معاً وشنعاً<sup>(١)</sup>  
 وليدخلن كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب ، فإن لللك عقيم . وكان الرشيد قد  
 عقد الأمر لهما على ترتيب ، هذا بعد هذا ؛ فكيف من لم يرتوا في الخلافة ، بل جعلوا  
 فيها كأسنان المشط !

قلت أما الجعفر : هذا كله تحكيم عن محمد بن سليمان ، فما تقول أنت ؟ فقال :  
 إذا قالت حسداهم قصدنوها فبين القول ما قالت حسداهم<sup>(٢)</sup>

(١) التمدد : التمكرم .

(٢) قلله :

فَلَوْلَا الْمَرْجِعَاتُ مِنَ الْيَاكِلِي لَمَا تَرَكَ الْقَطَا طَيْبَ الْمَنَامِ

نسيهما صاحب القصة ( في رقتي ) فجاء به صعب .

(١٣٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام :

أَمْ تَكُنْ بَيِّنَتُكُمْ إِبَّاءَ فَلْتَةٍ ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا ، إِنِّي أُرِيدُكُمْ اللَّهُ  
وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ؛ وَإِنَّمُ اللَّهُ لَا نَصِيحَ الْمَظْلُومَ وَلَا قُودَنَّ ، الظَّالِمَ  
يَحْزَمُ أَمَّتِهِ ، حَقًّا أُوْرِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَتْ كَارِهًا .

\*\*\*

الشرح :

الفَلْتَةُ : الأمر يقع عن غير تدبر ولا روية ؛ وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر ؛  
وقد تقدّم أنا في معنى قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فَلْتَةٌ وفي الله شرّها » كلام .

والخِزَامَةُ : حلقه من شعر تجمل في أف البعير ، ويُعمل الزمام فيها .

وَأَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ : حدوها بالعدل ، واقنموها عن اتباع الهوى ، وارذعوها  
بقولكم عن السالك التي تُرِيدُهَا وتوجبها ، فإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَعْتَمُونِي عَلَيْهَا ؛ لِأَنِّي  
أَعْظَلُكُمْ وَأَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَإِذَا كَبَحْتُمْ أَمْسِكُمْ بِلِجَامِ الْعَقْلِ الدَّاعِي إِلَى  
مَا أَدْمُو إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ أَعْتَمُونِي عَلَيْهَا .

فإن قلت : ما معنى قوله : « أريدكم الله وتريدونني لأنفسكم » ؟



قلت : لأنه لا يريد من طاعتهم له إلا نصرة دين الله والقيام بحقوقه ؛  
ولا يريد لهم حفظ نفسه ، وأما هم فيأثم يريدونه لحفظ أنفسهم من المعطاء والتقريب ،  
والأسباب للوصول إلى منافع الدنيا .

وهذا الخطاب منه غاية السلام لجمهور أصعابه ؛ فأما الخواص منهم فإنهم كانوا  
يريدونه للأمر الذي يريدون له من إقامة شرائع الدين وإحياء معاليه

( ١٣٧ )

## الأجل :

ومن كلام له عليه السلام في شأن طلعة الزير :

وَأَقْبَهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرٍ ، وَلَا جَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا ؛ وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ  
حَقًّا مُمْ تَرْكُوهُ ، وَدَمًا مُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ ؛ فَإِنْ لَهُمْ نَصِيْبُهُمْ  
مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونَ قَمَاءِ الطَّلَبَةِ إِلَّا قَبْلَهُمْ . وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْعُكْمِ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ ؛ وَإِنْ مَتَى لَبِصِيْرَتِي ، مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ <sup>(١)</sup> عَلَيَّ .  
وَإِنَّهَا لَفِيْئَةُ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحَمَةُ ، وَالشُّبُهَةُ لَلْعَدْفَةِ . وَإِنْ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ؛  
وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِبَاقِدُ عَنْ شَعْبِهِ . وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا فِرْطَانَ لَهُمْ حَرَامًا  
أَنَا مَا نَحْمُهُ ؛ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ يَرِي ، وَلَا يَمُوتُونَ بَعْدَهُ فِي جَنِي .

• • •

## النِّصْفُ :

النِّصْفُ : الإِصَافُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَلَكِنْ نِصْفًا لَوْ سَبَّيْتُ وَسَبَّيْتُ بُوَ عَبْدِ قَتْمَسٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهَاشِمٍ <sup>(٢)</sup>  
وهو على حذف المضاف ؛ أى ذَا نِصْفٍ ، أى حَكَمًا مِصْفًا عَادِلًا يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ .  
وَالطَّلَبَةُ : بِكَسْرِ اللَّامِ : مَا طَلَبْتَهُ مِنْ شَيْءٍ . وَلَبَسْتُ عَلَى فُلَانٍ الْأَمْرَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ  
الْأَمْرُ ، كَلَامًا بِالتَّخْفِيفِ .

(٢) الطمان ١١ : ٢٤٦ .

(١) غلطوة النهج بشديد الاء .

والحمأة : الطين الأسود ، قال سبحانه : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وَحَمَءُ الْمُقْرَبِ : سَمْتُهُ ، أَيْ فِي هَذِهِ الْفَتْةِ الْبَاغِيَةِ الضَّلَالُ وَالْفَسَادُ وَالصَّرَرُ ؛ وَإِذَا أَرَادَتْ الْعَرَبُ أَنْ تَعْبُرَ عَنِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ قَالَتْ : الْحَمُءُ ، مِثْلُ الْحَمَاءِ بِالتَّاءِ ؛ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « كَأَطْلَعْتُ مَدَّتْ بِمَاءٍ » <sup>(٢)</sup> ؛ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ بِشِدَّةِ مَوْقِفِهِ وَجَهْلِهِ ؛ وَالتَّائِلَةُ : الْحَمَاءُ ، وَإِذَا أَصَابَهَا الْمَاءُ أَزْدَادَتْ فَسَادًا وَرَطُوبَةً .

وَيُرْوَى فِيهَا : « الْحَمَاءُ » بِأَلْفٍ مَفْصُورَةٍ وَهُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الزُّبَيْرِ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ بِسَبَبِ الرَّجُلِ فَهُمُ الْأَحْيَاءُ ؛ وَاحِدُهُمْ « حَمَاءٌ » مِثْلُ قَفَا وَأَقْفَاءَ ، وَمَا كَانَ بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ فَهُمُ الْأَخْيَاتُ ؛ فَأَمَّا الْأَصْهَارُ فَيُجْمَعُ الْجَمْعَيْنِ جَمْعًا . وَكَانَ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْلَمَ عَلِيًّا بِأَنَّ فَتْنَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبْعِي عَلَيْهِ أَيَّامَ خِلَاتِهِ ، فِيهَا يَمُوتُ زَوْجَانَهُ وَبَعْضُ أَهْلَانِهِ ، فَفَكَّرَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الرُّؤْيَا بِالْحَمَاءِ وَهِيَ سَمٌّ لِلْمُقْرَبِ ، وَيُرْوَى : « وَالْحَمُءُ » يُضْرَبُ مِثْلًا لِغَيْرِ الطَّيِّبِ وَلِغَيْرِ الصَّافِي ؛ وَظَهَرَ أَنَّ الْحَمُءَ الَّذِي أَحْبَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخُرُوجِهِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْبَعَاءِ هُوَ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِهِ . وَوَيْ الْحَمَاءُ أَرْبَعُ لَفَظَاتٍ : حَمَاءٌ مِثْلُ قَفَا ، وَحَمَاءٌ مِثْلُ كَمْ ، وَحَمَاءٌ مِثْلُ « أَبُو » ، وَحَمَاءٌ مِثْلُ أُسْرٍ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَالتَّشْبَهُةُ الْمُنْدَفِقَةُ » أَيْ الْخَطِيئَةُ ، وَأَصْلُ الْمَرْأَةِ تُعْذِفُ وَجْهَهَا بِقَتَاعِهَا ، أَيْ تَسْتَرُهُ . وَيُرْوَى : « الْمُنْدَفِقَةُ » <sup>(٣)</sup> تَكْسِيرُ الدَّالِ ، مِنْ أَغْدَفَ اللَّيْلُ ، أَيْ أَظْلَمَ . وَزَاغَ الْبَاطِلُ ، أَيْ تَعَدَّدَ وَدَهَبَ ، وَأَرَاخَهُ عَيْرُهُ .

وَعَنْ نَصَائِهِ : عَنْ مَرْكُورِهِ وَمَقْرُورِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِ الْخَدَثِينَ :

قَدْ رَجَسَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ وَأَمْتُ مِنَ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ

وَالشَّعْبُ ، بِالتَّسْكِينِ : تَهْيِيجُ الشَّرِّ ، شَعَبَ الْخُفْدِ بِالْفَتْحِ شَغْبًا ، وَقَدْ جَاءَ بِالتَّحْرِيكِ فِي

لُغَةِ ضَعِيفَةٍ ، وَمَا ضَعِيفُهَا شَغْبٌ ، بِالسَّكْرِ .

(٢) عَمَّ الْأَمْثَالُ لِلْبَيْهَقِيِّ ١ : ١٥٣ .

(١) سُورَةُ الْحَجَرِ ٢٦

(٣) هِيَ رَوَايَةٌ مَحْطُومَةٌ التَّهَجُّ

ولأفرطن لم حوضاً ، أى لأملان ، يقال : أفرطت الزادة أى ملائتها ، وغدير مفرط ، أى ملآن .

والمانع ، بتقطيع من فوق : المستقي من فوق ، وبالياء : على الدلاء من تحت .  
والعَب : الشرب بلام معن كما نشرب الدابة : وفي الحديث : « الكعباد من العَب »<sup>(١)</sup> .

والحصى : ماء كامن في رمل يحفر عنه يستخرج ، وجمعه أحساء .



يحول عليه السلام : والله ما أكرؤا على أمرأ هو منكفر في الحقيقة ، وإنما أنكرؤا ما الحجة عليهم فيه لا لهم ؛ وحلهم على ذلك الحدة وحت الاستتار بالدنيا والتفضيل في العطاء ؛ وغير ذلك مما لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يراه ولا يستجيره في الدين . قال : ولا جعلوا بيني وبينهم بضعاً ، بيني وبينهم بضعاً ، بل حرجوا عن الطاعة بقتلهم ليطلبون حقاً تركوه ، أى يطلبون أنهم يطلبون حقاً تخروجهم إلى البصرة وقد تركوا الحق بالمدينة .

قال : ودما هم سفكوه ؛ بمعنى دم عثمان ؛ وكان طلحة من أشد الناس تحريصاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك .

روى أن عثمان قال : وبلى على ابن الحنظلية - بمعنى طلحة - أمطيت كذا وكذا بهاراً<sup>(٢)</sup> ذهباً ؛ وهو يروم دمي بمعرض على نفسي ؛ اللهم لا تمتعه به ولقاه عواقب بفيه<sup>(٣)</sup> .  
وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقتماً بشوب قد استتر به عن أعين الناس ، يرمى الدار بالسهم . ورووا أيضاً أنه لما امتنع على الدين

(١) النهاية لابن الأثير ٤ : ٣ والكعباد : وجم الكبد .

(٢) البهار : الحبل ، قيل : هو ثلاثة رطل بواقعة .

(٣) انظر النهاية ١ : ١٠٠ .

تَحَصَّرُوهُ الدَّخُولَ مِنْ بَابِ الدَّارِ، حَتَّى مَطَّلَعَهُ إِلَى دَارِ لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، فَأَصْعَدَهُ إِلَى سَطْحِهَا، وَتَوَدَّوْا مِنْهَا عَلَى عِمَّانَ دَارِهِ قَتَلُوهُ .

وَرَدُّوْا أَيْضًا أَنَّ الزَّيْبَرَ كَانَ يَقُولُ : أَقْتَلُوهُ قَدْ بَدَّلَ دِيْنَكُمْ . قَالُوا : إِنْ ابْتَكَيْتَ بِحَاكِيٍّ عَنْهُ بِالْبَابِ، قَتَلْنَا : مَا أَكْرَهَ أَنْ يَقْتُلَ عِمَّانَ وَلَوْ بَدَيْتُ بِأَبِي ! إِنْ عِمَّانَ لَجِيفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِخَةِ .

وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَ الْجَمَلِ : وَلَقَدْ لَا أَتْرُكُ نَارِي وَأَنَا أَرَاهُ ، وَلَأَقْتُلَنَّ طَلْحَةَ بِعِمَّانَ ؛ فَإِنَّهُ قَتَلَهُ . ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ مَا يَنْصَحُ <sup>(١)</sup> ، فَزَفَّ إِلَيْهِمْ حَتَّى مَاتَ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِي دَمِ عِمَّانَ ؛ فَإِنْ لَمْ نَصِيبْهُمْ مِنْهُ ، فَلَا يَجُوزُ لِي أَنْ يَظْلِمُوا بِدَمِهِ وَهُمْ شُرَكَاءُ بِهِ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي ، فَهُمْ لِلْمَطْلُوبِينَ إِذَنْ بِهِ لَا غَيْرَ .

وَأَمَّا لَمْ يَذْكُرِ الْقِسْمَ الثَّالِثَ ؛ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِيَّهِ دُونَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِهِ قَاتِلٌ ، فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى قَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ : أَحَدُهُمَا أَنَّ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزَّيْبَرَ قَسَمَهُمْ لَطَخَ مِنْ عِمَّانَ ؛ لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ بَاشَرُوا قَتْلَهُ ؛ بَلْ بِمَعْنَى الْإِغْرَاءِ وَالْتِمَاسِ ؛ وَثَانِيهَا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْبَرَ غَيْرُ بَرِيْثَيْنِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلٍ لَمْ تَحْكَمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ يَقُولُ : إِنْ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا وَتَضَعُوا الْبَيْعَةَ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ وَإِمَانَةِ الْبَاطِلِ ، وَأَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَحْكُمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ عَلَى غَيْرِهِ ، وَإِذَا كَانَ دَمُ عِمَّانَ قَبْلَهُمْ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَنْكُرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ إِنْكَارِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ .

(١) لِلْأَبْنِ : مَا يَتَّبِعُ عَلَيْهِ النَّفْخَةُ .

قال : وإن معي لهيئتي ، أي عتلي ؛ ما لبستُ على الناس أمرم ولا ليس الأمر على ، أي لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وآله على بل أوضعه لي وعرفني به .

ثم قال : وإني لفئة الباغية ؛ لام التعريف في « لفئة » تشير بأن بعضاً قد كان عنده : أنه ستخرج عليه فئة باغية ، ولم يبين له وقتها ولا كل صفاتها ، بل بعض علاماتها ، فلما خرج أصحاب الجبل ورأى تلك العلامات موجودة فيهم ؛ قال : وإني لفئة الباغية ، أي وإن هذه الفئة ، أي الفئة التي وعدت بخروجها على ، وكولا هذا لقال : « وإني لفئة باغية » ، على التذكير .

ثم ذكر بعض العلامات ، فقال : إن الأمر لو اوضح ، كل هذا يؤكد به عند نفسه وعند غيره أن هذه الجماعة هي تلك الفئة للوعود بخروجها ، وقد ذهب الباطل وزاح<sup>(١)</sup> ، وخرس لسانه بعد شفه .

ثم أقسم ليمْلَأَنَّ لهم حوضاً مرماتمي ، وهذه كناية عن الحرب والميحاء وما يتبعهما من القتل والحلاك . لا يصدرون عنه يرى ، أي ليس كهدم الهياض الحقيقية التي إذا وردّها الظلمان صدر عن رى وقع عليه ، بل لا يصدرون عنه إلا وهم جزر السيف ، ولا يمتنون بعده في جنس لأنهم هلكوا ، فلا يشربون بعده البارد العذب .

وكان عمرو بن الليث الصغار أمير حراسان أخذ جيشاً لحاربة إسماعيل بن أحمد الساماني ، فانكسر ذلك الجيش وهاجوا إلى عمرو بن الليث ، فغضب وأتى القواد بكلام غليظ ، فقال له بعضهم : أيها الأمير ، إنه قد طُبع لك ميرجلٌ عظيم ، وإنا نلصق منه نُهْمَةً<sup>(٢)</sup> بسيرة والباقي مذكور لك ، فلام تتركه اذهب إليهم فكله . فسكت عمرو ابن الليث عنه ولم يجب .

(١) زاح الأمر : ذهب .

(٢) نُهْمَةٌ : الجزء اليسير .

ومرادنا من هذه الشابه والناسبه بين الكتابين .

• • •

### الأصل :

منه :

فَأَقْبَذْتُمْ إِلَى إِقْبَالِ الْعُودِ الْمَظْفِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ : الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ !  
قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُهَا ، وَمَارَعْتُكُمْ بَدِي فَبَاذْتُهَا .  
اللَّهُمَّ إِنِّهَا فَطَمَانِي وَظَلَمَانِي ، وَكُنَّا بَيْعِي ، وَأَلَا النَّاسَ عَلَى . فَاحْلُلْ مَا حَقَّدَا ،  
وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِيهِمَا لِلْسَاءَةِ فِيمَا أُمَلَّا وَهَمَلَّا وَلَقَدْ اسْتَنْبَتْنَاهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ،  
وَاسْتَأْنَيْتُ سِيَّأَ أُمَامِ الْوِقَاعِ ، فَسَطَا لِنُصْرَتِي وَرَدَا الْعَاقِبَةَ .

• • •

### الشرح :

الْعُودُ : النوق الحديريات النتاج ، الواحدة عائد ، مثل حائل وحول ، وقد يقال ذلك  
للغيل والظباء ، ويجمع أيضاً على «عُودَان» مثل رابع ورعيان ، وهذه عائذة بيئنة العُود ،  
وذلك إذا ولدت من قريب ، وهي في عيادها ، أي يحدثان نتاجها<sup>(١)</sup> .  
والمظفيل : جمع مظفل ، وهي التي زال عنها اسم العياد ومعها حلقها ، وقد تسمى  
المظفيل عوداً إلى أن يبعد المهد بالنتاج مجازاً ؛ وعلى هذا الوجه قال أمير المؤمنين : «إقبال  
العود المظفيل» ، وإلا فلا ضمان معاً لا يجتمعان حقيقة ، وإذا زال الأول ثبت الثاني .  
قوله : «وَأَلَا النَّاسَ عَلَى» أي حرّضاً ، يقال : حسود مؤلب .

(١) في اللسان : « ويقال : هي عائذة بيئنة العُود ، إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر ، ثم هي  
مظفل » .

واستغفرتُهما ، بالثناء المعجزة بثلاث : طلبت منهما أن يتوبوا أى يرجعا ، ومعنى للنزل متابة لأن أهله ينصرفون في أمورهم ثم يتوبون إليه ، ويروى : « ولقد استغفرتُهما » ، أى طلبت منهما أن يتوبوا إلى الله من ذنبيهما في هض البيعة .

واستأنيت بهما ، من الأناة والانتظار .

والوقاع ، بكسر الواو : مصدر واقعتهم في الحرب وقاما ، مثل نازلتهم نزالا ، وقتلتهم قتالا .

وغمط فلان النعمة ، إذا حقرها وأزرى بها غمطا ، ويجوز « غمط » النعمة بالكسر والمصدر غير محرك ويقال : إن الكسر أصح من الفتح .

يقول عليه السلام : إياكم أقبلكم مره حين كما تقبل الثوب إلى أولادها ، نسألونني البيعة فامتنعت عليكم حتى علت اجتماعكم فهايتكم . ثم دعا علي على طلحة والزبير بعد أن وصفهما بالقطيعة والنكث والتأليب عليهما أن يحل الله تعالى ما عقدا ، والآ يحكم لهما ما أبرما ، وأن يريهما المساءة فيما أملا وعلا .

فأما الوصف لهما بما وصفهما به ، فقد صدق عليه السلام فيه ، وأما دعاؤه فاستجيب له ، والمساءة التي دعاها هي مساءة الدنيا لا مساءة الآخرة ، فإن الله تعالى قد وعدنا على لسان رسوله بالجنة ، وإنما استوجباها بالتوبة التي ينقلها أصحابنا رحمهم الله في كتبهم عنهما ، ولولاها لكنا من المهلكين .



(١٣٨)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام يوم فيها إلى ذكر الملاحم :

يَمُطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهَدَى ، إِذَا عَطَفُوا الْهَدَى عَلَى الْهَوَى ، وَيَمُطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ ، إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .



الشرح :

هذه إشارة إلى إمام يحتف الله تعالى في آخر الزمان ، وهو الموعود به في الأخبار والآثار ، ومعنى « يطف الهوى » يقهره ويغلبه من جانب الإيثار والإرادة ، عاملاً محلاً الهدى ، فيجعل الهدى قاهراً له ، وظاهراً عليه .

وكذلك قوله : « ويمطف الرأى على القرآن » ، أى يقهر حكم الرأى والقياس والعمل بفتنة الظن عاملاً محلاً القرآن .

وقوله : « إذا عطفوا الهدى » و « إذا عطفوا القرآن » إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام ، المشاكين له ، الذين لا يسلمون بالهدى بل بالطوى ، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأى .

## الأصل :

منها :

حَقِّ تَقْوَمَ الْمَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ؛ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا ، حُلُومًا رَضَاعُهَا ، عُلُقَمًا عَاقِبَتُهَا .

أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَّانِي عَدُوٍّ يَمَّا لَا تَعْرِفُونَ - بِأَخْذِ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَعَالِيدَ كَيْدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سُلْمًا مَقَالِيدَهَا، قَدِيرُكُمْ كَيْفَ عَذْلُ السَّيْرِ ، وَبُحَى مَيْتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .



## الشرح :

الساقي : السادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

والنواجد : أقصى الأضراس ، والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها ، كما أن غاية الضحك أن تبدؤ والنواجد .

قوله : « مملوءة أخلافها » ، والأحلاف للناقة حلقات الضرع ، واحدها حلف .

وكذلك وقوله : « حلوا رضاعها ، علقما عاقبتها » قد أخذ الشاعر ، فقال :

الحربُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً      تَسْمَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ<sup>(٢)</sup>

حتى إذا اشتعلت وشبَّ خُرَافُهَا      عَادَتْ مَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ

تَهْمَلُهُ جَزَتْ رَأْسُهَا وَتَلَكَّرَتْ      مَكْرُومَةً لَشَمِّ وَالتَّضْيِيلِ

(١) سورة الفلم ٤٢ .

(٢) نسب إلى امرئ القيس ، وهي ل ديوانه ٣٥٣ ، من ريلدات نسخة ابن النحاس .

(٣) الديوان : « حتى إذا استعرت » .

وهو الرضاع بالفتح، والماضي رَضِعَ بالكسر، مثل مِمَّع مِمَاعًا، وأهل نجد يقولون :  
« رَضِعَ » بالفتح « يَرْضِعُ » بالكسر رَضًا، مثل ضرب يضرب ضربًا، وأشبهوا :  
وَذَمُّوا لَنَا الْيَوْمَ يَرْضِعُونَهَا أَهْلِيَّ حَتَّى مَا يَلِدَ لَهَا تَعْلُ<sup>(١)</sup>  
بكسر الضاد .

### [ فصل في الاعتراض وإيراد مثل منه ]

وقوله : « أَلَا وَفِي غَدِيرٍ » تمامه « يأخذ الوالى » وبين الكلام جملة اعتراضية ، وهى  
قوله : « وسبأنى غديرٌ بما لا تعرفون » وللرأى تعظيم شأن الغدير الموجود بمجيبته ؛ ومثل ذلك  
في القرآن كثير ، نحو قوله تعالى : « فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَحْسَبُونَهُ  
عَظِيمٌ « إِنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ »<sup>(٢)</sup> ، فقوله تعالى : « إِنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ » هو الجواب  
للتلقى به قوله : « فَلَا أَقْسِمُ » ، وقد اعترض بينهما قوله : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَحْسَبُونَهُ  
عَظِيمٌ » ، واعترض بين هذا الاعتراض وقوله « لَوْ تَحْسَبُونَهُ » ، لأنك لو حذفت لَبِثَ الكلام  
على إفادته ، وهو قوله : « وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ » ، وللرأى تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع  
النجوم ، وتأكيده لإجلاله فى النفوس ؛ ولا سيما بقوله : « لَوْ تَحْسَبُونَهُ عَظِيمٌ » .

ومن ذلك قوله تعالى : « وَيَجْعَلُونَ فِيهِ النَّاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ »<sup>(٣)</sup> ،  
فقوله : « سُبْحَانَهُ » اعتراض ، وللرأى التنزيه . وكذلك قوله : « تَأْتِيهِ - لَقَدْ عَلِمْتُمْ - جَنَّاتٌ  
يَلْقَى فِيهَا الْأَرْضِ » ، فـ « لَقَدْ عَلِمْتُمْ » اعتراض ؛ والمراد به تقرير إتيان البراءة من تهمة السرقة .  
وكذلك قوله : « وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ - مَوَاقِفُ - أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ - قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

(١) اللسان ٩ : ٤٨٤ ، ونسبه إلى ابن هشام اللؤلؤ .

(٢) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧ .

(٣) سورة النحل ٥٧ .

مَقَرَّ<sup>(١)</sup> «اعترض بين « إذا » وجوابها بقوله : « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ » ، فكانه أراد أن يجيبهم عن دعواهم ؛ فجعل الجواب اعتراضا .

ومن ذلك قوله : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي هَامَيْنٍ - أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ »<sup>(٢)</sup> «اعترض بقوله : « حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي هَامَيْنٍ » بين « وصينا » وبين اللومى به ؛ وفائدة ذلك إذ كَارُ الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفضاله .

ومن ذلك قوله : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »<sup>(٣)</sup> «فَلَمَّا أَضْرَبُوهُ بِمَقْصِمٍ»<sup>(٤)</sup> فقوله : « وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » اعتراض بين المطوف والمطوف عليه ، والمراد أن يقرَّر في أنفس السامعين أنه لا ينفع البشر كتمانهم وإخفاؤهم لما يريد الله إظهاره .

ومن الاعتراض في الشعر قول جرير :

وَلَقَدْ أَرَانِي سِرَ الْجَدِيدِ إِلَى يَلَى - فِي مَوَكِبٍ يَبْضُ الْوَجْوهُ كِرَامِ<sup>(٥)</sup>

فقوله : « والجديد إلى يلى » اعتراض ، والمراد تعزيتة نفسه تحتها معنى من تلك اللغات .

وكذلك قول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - رَأَوْكَ تَعْلَمُوا مِنْكَ الْإِطْلَا<sup>(٦)</sup>

فقوله : « وأنت منهم » اعتراض ؛ وفائدته ألا تظن أنها ليست باخلة .

(١) سورة النحل ١٠١ .

(٢) سورة لقمان ١٤ .

(٣) سورة القرة ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) ديوانه ٥٥١ ، والرواية فيه : « في قبة طرف الحديث كرام » .

(٥) ديوانه ١ : ١٥١ .

ومن ذلك قول الشاعر (١) :

فلو سألت سرّاء الخي سئلي      هل أن قد تلّون بي رماي (٢)  
 فطهرها ذؤو أحساب قومي      وأعدائي فكل قد بلّاني  
 يذبني الذم من حسي ومالي      وزبونات أشوس تيجاني (٣)  
 وإني لأزال أبا حروب      إذا لم أجن كنت يحن جاني  
 فقوله :

• هل أن قد تلّون بي رماي •

اعتراض، وفائدته الإخبار عن أن السن قد أخذت منه وتغيرت بطول السر أو صافه.  
 ومن ذلك قول أبي تمام :

رَدَدْتُ رَوْثِي وَجِي فِي صَفِيهِ      رَدَّ الصَّفَالِ سَاءَ الصَّارِمِ الْخَلِيمِ (٤)  
 وما أهلي - وَخَسِيرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ -      حَقَّتْ لِي مَا وَجِي أَمْ حَقَّتْ دِي  
 فقوله : « وخسر القول أصدق » اعتراض، وفائدته إثبات صدقه في دعواه أنه لا يبالي  
 أيها حق .

فأما قول أبي تمام أيضا :

وإن ألقى لي ابن لحظت مطالبي      من الشعر - إلا في مديحك - أطوع (٥)  
 فإن الاعتراض فيه هو قوله : « إلا في مديحك » وليس قوله : « إن لحظت مطالبي »  
 اعتراضاً كما زعم ابن الأثير الموصل (٦)، لأن فائدة البيت معقبة عليه، لأنه لا يريد أن النفي

(١) لسوار بن الضرب الحمدي - ديوان الحماصة بشرح للرزوقي ١ : ١٣٠ .

(٢) سرّاء القوم : خيارهم .

(٣) زبونات : من الزين ، وهو الدفع ، والتيجان : العريض للقدم .

(٤) ديوانه ٣ : ٢١٨ . والخقم : السريح القطع .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٣٣ .

(٦) للعل السائر ٧ : ١٨٨ .

لى على كل حال أطوع من الشر ، وكيف يريد هذا وهو كلام فاسد مختل ! بل مراده  
أن النفي لى بشرط أن تلحظ مطالبي من الشر أطوع لى ؛ إلا فى مديحك ، فإن الشر  
فى مديحك أطوع لى منه ، وإذا كانت الفائدة ممتنة بالشرط المذكور لم يكن اعتراضا .  
وكذلك وم ابن الأثير<sup>(١)</sup> أضاف قول امرئ القيس :

فلو أن ما أمتى لأدى مبعثي كفانى ولم أطلب قليل من اللال<sup>(٢)</sup>  
ولكىما أمتى لجهد مؤثلي وقد يدرك الهد المؤثل أمثالي

فقال : إن قوله : « ولم أطلب » اعتراض ؛ وليس بصحيح ، لأن فائدة البيت  
مرتبطة به : وتقديره : لو سميت لأن آكل وأشرب لكفانى القليل ، ولم أطلب  
المالك ؛ فكيف يكون قوله : ولم أطلب الملك اعتراضا ، ومن شأن الاعتراض أن يكون  
فضة ترد لصعين وتكلمة ، وليست فائدته أصلية !

وقد باني الاعتراض ولا فائدة فيه ؛ وهو غير مستحسن ، نحو قول الذابمة :

بقول رجال يحملون حليقتي لعل زياداً - لا أبالك - غافل<sup>(٣)</sup>

فقوله : « لا أبالك » ، اعتراض لا معنى تحته ها هنا ، ومثله قول زهير :

سمنت تكاليف الحياة ومن بشى ثمانين حولا - لا أبالك - يسأم<sup>(٤)</sup>

فإن جاءت « لا أبالك » تعطى معنى يليق بالوضع فهى اعتراض جيد ، نحو قول

أبي تمام :

• عتابك عني - لا أبالك - واقصدي •

فإنه أراد زجرها وضمها لما أسرفت فى عتابه .

(١) الثعلب السائر ٢ : ١٨٦ .

(٢) ديوانه ٣٩ .

(٣) ديوانه ٢٩ .

ديوانه ٦١ .

وقد يأتي الاعتراض على غاية من القبح والاستهجان ، وهو على سبيل التقديم والتأخير ، نحو قول الشاعر :

قَدْ وَاللَّشْكُ بَيْنَ لِي عَنَسَاءَ    يَوْشِكُ قِرَاقِيهِمْ صُرْدٌ فَصِيحٌ <sup>(١)</sup>

تقديره : : قد بين لي صُرْدٌ يصيح يوشك فراقهم ، والشك هنا ، فلاجل قوله : « والشك هنا » بين « قد » والفعل الماضي ؛ وهو « بين » عند اعتراضا مستهجانا .  
وأمثال هذا للعرب كثير .

قوله عليه السلام : « يأخذ الوالي من غيرها عتالها على مساوي أعمالها » كلام منقطع مما قبله ، وقد كان تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرأة ، فذكر عليه السلام أن الوالي - يعني الإمام الذي يحلفه الله تعالى في آخر الرمان - يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم . وعلى ما هنا متعلقة بـ « يأخذ » التي هي بمعنى « يؤاخذ » من قولك : أخذته بذنبه ، وأخذته بالهزم أفصح .

والأفاليذ : جمع أفلاذ ، وأفلاذ جمع قلند ، وهي القطعة من الكبد ، وهذا كناية عن السكروز التي تظهر للقائم بالأمور . وقد جاء ذكر ذلك في خبر مرفوع في لفظة .  
« وقامت له الأرض أفلاذ كبدها » ، وقد فسر قوله تعالى : ( وَأُحْرِقَتِ الْأَرْضُ أَتْقَالًا ) <sup>(٢)</sup> ذلك في بعض التفسير والمقالب : المفاتيح .

• • •

الأصل

منها :

كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَمَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَبَائِيهِ فِي صَوَاحِي كُوفَانِ ، فَمَطَفَ عَلَيْهَا عَطَفَ الضُّرُوسِ ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِأَرْؤُوسِ . قَدْ فَعَرَّتْ فَأَعْرَتُهُ ، وَتَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، بِعِمْدَ أَجْلُوتَةٍ ، عَظِيمِ الصُّوْلَةِ .

وَأَلِهَ لِيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُفْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوتَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَسْلَامِيهَا .  
فَالزَّمُوا الشَّيْءَ الْفَائِئِمَةَ ، وَالْآثَارَ الْبَيْتَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّشُوءِ ،  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتِي لَكُمْ طَرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ .

• • •

### الْبَيْتُ :

هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق ،  
وما قتل من العرب فيها أبلى عبد الرحمن بن الأشعث ، وقتله أيام مصعب بن الزبير .  
وسمى الرعى نضبه ، والعين للمهمة ، وتسمى الغراب بالعين للمهمة . ونفس برأيه  
ها هنا : مفعول محذوف تقديره : ونفس الناس برأيه ، أى نعام وقلبيهم يمينا وشمالا .  
وكوفان : اسم الكوفة . وصواحيها : ما قرب منها من القرى . والضروس : الناقة  
السيئة الخلق تسمى حالها ، قال بشر بن أبى حازم :  
عَطَفْنَا أُمَّهُمُ عَطَفَ الضَّرُوسِ مِنَ اللَّأْ شَهْبَاءَ لَا يَمْشِي الضَّرَاءُ رَقِيبُهُمَا (١)  
وقوله : « ومرش الأرض بالروس » : عطافها بها كما ينفق المكان بالفراس .  
ومرت فاعرته : كأنه يقول : فتح فاه ؛ والكلام استعارة ، وفمر « فمل » يمتدى ولا  
يتمدى . وثقلت في الأرض وطأته ، كناية عن الجور والظلم .  
بعيد الجولة : استعارة أيضا ؛ والمعنى أن تطواف خيوله وجيوشه في البلاد ، أو جَوْلَانِ  
رجالها في الحرب على الأقران طويل جدا لا يتممه السكون إلا نادرا .  
وبعيد مصوب على الحال ، وإصافته غير مخصصة .

(١) اللسان ٩ : ٤٦٤ ، ديوانه ١٥



وعواذب أحلامها : مذهب من عقولها ، عزب عنه الرأي ، أى بعد .  
ويستى لكم طرقه ، أى يسهل . والعقب ، بكسر القاف : مؤخر القدم ،  
وهى مؤنثة .

فإن قلت : فإن قوله : « حتى تؤوب » يدل على أن غاية ملكه أن تؤوب إلى العرب  
عواذب أحلامها ، وعبد الملك مات في ملكه ولم يزل الملك عنه بأوثة أحلام العرب إليها  
فإن فائدة « حتى » إلى : وهى موضوعة لغاية .

قلت : إن ملك أولاده ملكه أيضا ، ومزال الملك عن بني مروان حتى آتت إلى العرب  
عواذب أحلامها ، والعرب هاهنا : شو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة ،  
كقحطبة بن شبيب الطائي وابيه : حميد والحسن ، وكثيري رزني ، بتقديم الراء المهملة ، الذين  
مهم طاهر بن الحسين وإسحاق بن إبراهيم المصمعي ، وعدادم في خراة وغيرهم من العرب  
من شيعة بني العباس . وقد قيل : لأن أبا مسلم أبضا عزي أصله ، وكل هؤلاء ، وآفاتهم  
كانوا مستضعفين مقهورين مسمورين في دولة بني أمية ، لم يمسهم منهم ناهص ، ولا وئب إلى الملك  
وائب ، إلى أن أفاء الله تعالى إلى هؤلاء ما كان عزب عنهم من إبانهم وحميتهم ، فثاروا  
للدين والمسلمين من جور بني مروان وظلمهم ، وقاموا بالأمر ، وأزالوا تلك الدولة التي كرهها  
الله تعالى ، وأذن في انتقامها .

ثم أمرهم عليه السلام بأن يلزموا بمد روال تلك الدولة الكتاب والسنة ، والعهد  
القريب الذي عليه باقى النبوة - يعنى هذه وأيامه عليه السلام . وكأنه خاف من أن يكون  
بإخباره لم بأن دولة هذا الجبار ستنقص إذا آتت إلى العرب عواذب أحلامها ، كالأمر لم  
باتباع ولاية الدولة الجديدة في كل ما نفعه ، فاستظهر عليهم هذه الوصية ، وقال لهم : إذا ابتذلت  
الدولة ، فالزموا الكتاب والسنة ، والعهد الذي فارقتكم عليه .

(١٣٩)

## الأصل

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى :

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ، وَصِلَةٍ رَحِيمٍ، وَعَائِدَةٍ كَرِيمٍ؛ فَأَسْمَعُوا قَوْلِي،  
وَعُوا مَنَظِقِي. حَتَّى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْيَوْمِ؛ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ،  
وَتُخَانُ فِيهِ الْهُودُ، حَتَّى يَكُونَ تَعَضُّكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الصَّلَاةِ، وَشَيْمَةً لِأَهْلِ  
الصَّالَةِ.



## البيان :

هذا من حلة كلام قاله عليه السلام لأهل الشورى بعد وفاة عمر .

[ من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان ]

وقد ذكرنا من حديث الشورى بما تقدم مافيه كفاية ؛ وعن نذكر هاهنا ما لم نذكره  
هناك ، وهو من رواية عوانة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي في كتاب " الشورى " ،  
و " مقتل عثمان " . وقد رواه أيضا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز العوهري في زيادات  
كتاب " السقيفة " ، قال :

لما طعن عمرُ جميل الأمرِ شورى بين ستة مر : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ،  
وعبد الرحمن بن عوف ، والزيار بن العوام ، وطبعة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك ؛ وكان  
( ١ - نهج ٩ )

طلعة يومئذ بالشام ، وقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عن هؤلاء راضٍ ؛ فهم أحق بهذا الأمر من غيرهم ، وأوصى صهيب بن سنان ، مولى عبد الله بن جُدعان - ويقال : إن أصله من حمى من ربيعة بن زرار ، يقال لهم عَزَزة - فأمره أن يصقّ بالناس حتى يرضى هؤلاء القوم رجلاً منهم ، وكان عمر لا يشك أن هذا الأمر صائر إلى أحد الرجلين : عليّ وعثمان ، وقال : إن قدم طلعة فهو معهم ، وإلا فلتحتز الحصة واحدا منها . وروى أن عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورى ، وقال : الأمر في هؤلاء الأربعة ، ودعوا سعداً على حاله أميراً بين يدي الإمام . ثم قال : ولو كان أبو عبيدة ابن الجراح حياً لما تخالفتني فيه الشوك ، فإن اجتمع ثلاثة على واحد ، فكوموا مع الثلاثة ، وإن اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبد الرحمن

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة ، فوالله لعلنا أعز الله بكم الدين ، ونصركم الإسلام ؛ اختر من المسلمين حسين رجلاً ، فالتفتهم هؤلاء القوم في كل يوم مرة ، فاستحيثوهم حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة رجلاً منهم .

ثم جمع قوماً من المهاجرين والأنصار - فأعلمهم ما أوصى به ، وكتب في وصيته أن يولي الإمام سعد بن مالك الكوفة ، وأياموسى الأشعري ، لأنه كان عزل سعداً عن منخطة فأحب أن يطلب ذلك إلى من يقوم بالأمر من بعده استرضاء لسد .

قال الشعبي : لحدثني من لا أتهمه من الأنصار - وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهري : هو سهل بن سعد الأنصاري - قال : مشيت وراء عليّ بن أبي طالب حيث انصرف من عند عمر ، والعباس بن عبد المطلب يمشي في جابه ، فسمعت يقول للعباس : ذهبت منّا والله ! فقال : كيف علمت ؟ قال : ألا تسمعه يقول : كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن ، لأنه ابن عمه ، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره ، فإذا اجتمع هؤلاء افلوان الرجلين

الباقيين كانوا معي لم يغنيا عني شيئا ، مع أني لست أرجو إلا أحدهما ، ومع ذلك فقد أحبه  
عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلا علينا . لعمرُ الله ما جعل الله ذلك لهم علينا ،  
كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا . أما والله لئن عمر لم يمت لأذكرته ما أتى إلينا قديما ، ولأعلمته  
سوء رأيه فينا ، وما أتى إلينا حديثا ؛ ولئن مات - ولجوتن - ليحتسمن هؤلاء القوم على  
أن يصرفوا هذا الأمر عنا ؛ ولئن فعلوها - وليفعلن - ليروني حيث يكرهون ؛ والله ما بي  
رغبة في السلطان ، ولا حبة الدنيا ؛ ولكن لإظهار العدل ، والقيام بالكتاب والسنة .

قال : ثم التفت فرآني ورائه ، فمرفت أنه قد ساء ذلك ، فقلت : لا ترع أباحسن !  
لا والله لا يستمع أحد الذي سمعت منك في الدنيا ما اصطعبت فيها ؛ فوالله ما سمعته مني  
مخلوق حتى قبض الله عليا إلى رحمة .

قال عوانة : فحدثنا إسماعيل ، قال السجستاني الشامي ، قال : فلما مات عمر ، وأدرج  
في أكفانه ، ثم وُضِع ليصلى عليه ، تقدم عليّ من أتى طالب ، فقام عند رأسه ، وتقدم  
عمران فقام عند رجله ، فقال عليّ عليه السلام : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة ، فقال  
عمران : بل هكذا ، فقال عبد الرحمن : ما أسرع ما اختلفتم يا ضهيّيب ، صل قلى عمر  
كما رضيت أن تصلى بهم المكتومة ، فتقدم ضهيّيب فصلى قلى عمر .

قال الشعبي : وأدخل أهل الشورى دارا ، فأقبلوا يتعادلون عليها ، وكلهم بها صنين ،  
وعليها حريص ؛ إما لدنيا وإما لآخرة ، فما عدل ذلك قال عبد الرحمن : من رجل منكم  
يخرج نفسه عن هذا الأمر ، ويختار لهذه الأمة رجلا منكم ، فإني طيبة نفسي أن أخرج منها ،  
وأحتار لكم ؟ قالوا : قد رصينا ؛ إلا عليّ بن أبي طالب فإنه اتهمه وقال : أنظر وأرى .  
فأقبل أبو طلحة عليه ، وقال : يا أبا الحسن ، ارض برأى عبد الرحمن ، كان الأمر لك  
أو لغيرك ، فقال عليّ : أعطني يا عبد الرحمن موثقا من الله لا تؤثر الحق ، ولا تنفع الهوى ،

ولا تَمِيلْ إِلَى صِهْرٍ وَلَا ذِي قَرَابَةٍ ، وَلَا تَمْلِكْ إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا تَأْلُوْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَخْتَارَ  
لَهَا خَيْرَهَا .

قال : خلف له عبدالرحمن بالله الذي لا إله إلا هو ، لأجتهدن لنفسى ولسكن وللأمة ،  
ولا أميلُ إلى هوى ولا إلى صهر ولا ذى قرابة .

قال : تفرج عبدالرحمن ، فكث ثلاثة أيام بشاور الناس ، ثم رجع واجتمع الناس ،  
وكثروا على الباب لا يشكون أنه يبائع على بن أبي طالب ، وكان هوى قريش كافة  
ماعدا بنى هاشم في عمان ، وهوى طائفة من الأنصار مع علي وهوى طائفة أخرى مع  
عثمان ؛ وهى أقل الطائفتين ، وطائفة لا يبالون : أيهما يبيع .

قال : فأقبل المقداد بن عمرو ؛ والناس محتمون ، فقال : أيها الناس ؛ اسمعوا ما أقول ،  
أنا المقداد بن عمرو ؛ إنكم إن بايعتم عليا سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ؛  
فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن الخيرة المخزومي فنادى : أيها الناس ، إنكم إن بايعتم  
عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عليا سمعنا وعصينا . فقال له المقداد : يا عدو الله وعدو رسوله  
وعدو كتابه ، ومتى كان مثلك بسمع الصالحون ؟ فقال له عبد الله : يا بن الحليف  
السيوف <sup>(١)</sup> ، ومتى كان مثلك يحترى على الله حول في أمر قريش ؟

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : أيها الملا ؛ إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها ،  
فبايعوا عثمان ؛ فقال عمار بن ياسر : إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ؛  
ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فقال : يا فاسق يا بن الفاسق ، أنت بمن يستنصحه  
المسلمون ، أو يستشيرونه في أمورهم ؟ وارتفعت الأصوات ، ونادى مناد لا بدري من هوا  
- قريش تزعم أنه رجل من بني محزوم ، والأنصار تزعم أنه رجل طوال آدم مشرف على  
الناس - لا يعرفه أحد منهم : يا عبد الرحمن ، افرغ من أمرك ، وامض على ما في نفسك  
فإنه الصواب .

(١) السيوف : المشايخ به .

قال الشعبي : فأقبل عبد الرحمن عليّ بن أبي طالب ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه ، وأشدّ ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق : إن بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة أبي بكر وعمر ! فقال عليّ عليه السلام : طائفي ومبلغ عليّ وجه رأيي ؛ والناس يسمعون .

فأقبل عليّ عثمان ، فقال له مثل ذلك ، فقال : نعم لا أزولّ عنه ولا أدع شيئاً منه . ثم أقبل عليّ بن أبي طالب فقال له ذلك ثلاث مرات ، ولعثمان ثلاث مرات ، في كل ذلك يجيب عليّ مثل ما كان أجاب به ، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به .

فقال : اسط يدك يا عثمان ، فبسط يده فبايعه ، وقام القوم فخرجوا ؛ وقد بايعوا إلا عليّ بن أبي طالب ، فإنه لم يبايع .

قال : تفرج عثمان عليّ الناس ووجهه متهاطل ، وخرج عليّ وهو كاسف البهال مظلم ؛ وهو يقول : يا ابن عوف ؛ ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم علينا من دفيننا عن حقنا والاستئثار علينا ؛ وإنها لسنة علينا ، وطريقة تركتموها .

فقال الخيرة بن شمعة لمعثمان : أما والله لو يبيع غيرك لما بايعناه ؛ فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ؛ والله لو يبيع غيره لبايعته ؛ وما أنت وذاك يا ابن الدبابة ؛ والله لو وليها غيره لقلت له مثل ماقلت الآن ، تهربا إليه وطعما في الدنيا ، فلاذهب لا أبالك ! .

فقال الخيرة : لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ماكره . ومضيا .

قال الشعبي ، فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى استلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ؛ فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة !

قال : فانتهره عثمان ، وسامه بما قال ، وأمر بإخراجه .

قال الشعبي : فدخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان ، فقال له : ما صنعت ؟ فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر ، فتعبد الله وتثني عليه ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، ونمذ الناس خيراً .

قال : فخرج عثمان ، فصعد المنبر ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا مقام لم تكن تقومه ، ولم نمذ له من الكلام الذي يقام به في مثله ، وسأعتي ذلك إن شاء الله ، ولن آوامة محمد خيراً ، والله السمعان .  
ثم نزل .

• • •

قال عروة : حدثني يزيد بن جرير ، عن الشعبي ، عن شقيق بن مسعدة ، أن علي بن أبي طالب ، لما انصرف إلى رحله ، قال لبي أبيه : يا بني عبد المطلب ، إن قوةكم مادونكم بعد وفاة النبي كمداتهم النبي في حياته ، وإن يطع قومكم لا تؤثروا أبداً ، والله لا يبيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف .

قال : وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، داخل إليهم ، قد سمع الكلام كله فدخل ، وقال : يا أبا الحسن ، أتريد أن تضرب مصهم بهمص ؟ قال : اسكت ويحك ! فوالله لو لا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ، ما نارعي ابن عفاة ولا ابن عوف . فقام عبد الله فخرج .

قال : وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر ، وقتله إياه ، وبأخ ما قال فيه علي بن أبي طالب فقام عثمان فصعد المنبر ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه كان من قصاء الله أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان ، وهو رجل من

المسلمين ، وليس له وارث إلا الله والسلمون ؛ وأنا إمامكم وقد عفوت ، أضعفون عن  
 حيد الله ابن خفيتمكم بالأمس ؟ قالوا : نعم ، ففعا عنه ، فلما بلغ ذلك عليا نصاحك ، وقال :  
 سبعان الله لقد بدأ بهاعثمان ! أيعفون حق امرئ ليس بواليه ! تالله إن هذا هو المعجب !  
 قالوا : فكان ذلك أول ما بدا من عثمان مما يقيم عليه

قال الشعبي : وخرج القناد من المد ، فلقى عبد الرحمن بن عوف ، فأخذ بيده ، وقال :  
 إن كنت أردت بما صنعت وجه الله ، فأنا بك الله ثواب الدنيا والآخرة ، وإن كنت  
 إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك . فقال عبد الرحمن : اسمع ، رحك الله ، اسمع ! قال :  
 لا اسمع والله ؛ وجذب يده من يده ، ومضى حتى دخل على علي عليه السلام ، فقال : قم  
 فقاتل حتى نقاتل معك ، قال علي : فبسن أقاتل ورحك الله ! وأقبل عتار بن ياسر ينادى :

يا ناعمي الإسلام قم قاتلي قد علمت حرفي وبدانكروا

أما والله لو أن لي أهوايا لقاتلتهم ، والله لئن قاتلتهم واحدا لا كوتن له ثابيا . فقال علي :  
 يا أبا الليثان ؛ والله لا أجيد عليهم أهوايا ، ولا أحب أن أمرهم إلا تطيقون . وبقي عليه  
 السلام في داره ، وعندده نمر من أهل بيته ؛ وليس بدخل إليه أحد بخافة عثمان .

قال الشعبي : واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلهم واحدة على من لم يبايع ،  
 ضاموا إلى علي ، فقالوا : قم فبايع عثمان ، قال : فإن لم أفعل ، قالوا : عاهدك ، قال : فمشى إلى  
 عثمان حتى بابته ؛ وهو يقول : صدق الله ورسوله . فلما بايع أتاها عبد الرحمن بن عوف ،  
 فاعتذر إليه ؛ وقال : إن عثمان أعطانا يده ويمينه ، ولم تفعل أنت ، فأحببت أن أتوثق  
 للمسلمين ، فجعلتها فيه ، فقال : يسها عليك ! إنما آثرته بها لتألفها بعده ، دق الله يشكا  
 عطر منشم<sup>(١)</sup> .

(١) منشم : امرأة عطسارة من خراصة ؛ فتطاف قوم بأدخلوها أيديهم في عطرها على أن يغاثوا حتى  
 يموتوا ؛ فصرّب ذلك مثلا لشدة الامر .



قال الشعبي : وقدم طلحة من الشام بعد ما بويج عُمَان ، فقيل له : رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك ؛ فقال : والله لو بايعتم شرًّا لم أر ضيئًا ، فكيف وقد بايعتم خيرًا ؟ قال : ثم قدًا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ، ثم رما أنها بطلبان بدمه .

قال الشعبي : فأما ما يذكرونه الناس من المناشدة ، وقول علي عليه السلام لأهل الشورى : أفبكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ؛ فإنه لم يكن يوم البيعة ، وإنما كان بعد ذلك بقليل ؛ دخل علي عليه السلام على عُمَان وعنده جماعة من الناس ، منهم أهل الشورى ، وقد كان بلغه عنهم هتات وقولهم : فقال لهم : أفبكم أفبكم ! كل ذلك يقولون لا ، قال : ألكفى أخبركم عن أنفسكم ؛ أما أنت يا عُمَان ففرت يوم حنين ، وتوليت يوم التقي الجمعان ، وأما أنت يا طلحة فقتلت : إن ماتت محمد لتركضن بين خلاخيل نساءه كاركض بين خلاخيل نساءنا ، وأما أنت يا عبد الرحمن ، صاحب قراريط ، وأما أنت يا سعد فتدق من أن تذكر .

قال : ثم خرج فقال عُمَان : أما كان فبكم أحد يرد عليه ؟ قالوا : وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين ؟ وفرتوا .

• • •

قال عوانة : قال إسماعيل : قال الشعبي : لحدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي ، قال : كنت جالسًا بالمدينة حيث بويج عُمَان ، فبعثت فجلست إلى القداد بن عمرو ؛ فسمعت يقول : والله ما رأيت مثل ما آتى إلى أهل هذا البيت أو كان عبد الرحمن بن عوف جالسًا ، فقال : وما أنت وذاك يا قداد ؟ قال القداد : إني والله أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنى لأعجب من قريش وتطاؤمهم على الناس بفضل رسول الله ، ثم انتزعهم سلطانه من أهل . قال عبد الرحمن : أما والله لقد أجهدت نفسي

لَكُمْ . قال القداد : أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرُونَ بالحق وبه يعدُّون !  
أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتلى إيام بيدر وأحد . فقال عبد الرحمن :  
تكلتُك أمك ؛ لا يسه من هذا الكلام الناس ، فإن أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة .  
قال القداد : إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة ؛ ولكن  
من أقسم الناس في الباطل ، وأثر الهوى على الحق ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة .  
قال : فترد وجه عبد الرحمن ، ثم قال : لو أعلم أمك إبلى تنفى لكان لي  
وذلك شأن .

قال القداد : إبلى تهدد ابن أم عبد الرحمن ! ثم قام عن عبد الرحمن ، فانصرف .  
قال جندب بن عبد الله : فأنتمت ، وقت له : يا عبد الله ، أنا من أعوانك ، فقال :  
رحمك الله ! إن هذا الأمر لا ينفي فيه الرجلان ولا الثلاثة ؛ قال : فدخلت من فوري  
ذلك على علي عليه السلام ، فما جلست إليه قلت : يا أبا الحسن ، والله ما أصاب قومك  
بصرف هذا الأمر عنك ، فقال : خير خير والله لكستان .

قلت : والله إنك لاصبور ! قال : فإن لم أصبر فماذا أصنع ؟ قلت : إني جلست إلى  
القداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف ، فقالا كذا وكذا ، ثم قام القداد فاتبعه ،  
قلت له كذا ، فقال لي كذا . فقال علي عليه السلام : لقد صدق القداد ، فما أصنع ؟  
قلت : تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك ، وتخبرهم أمك أول بالنبي صلى الله  
عليه وسلم ، وتسألم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك ، فإن أجابك عشرة من مائة  
شددت بهم على الباقيين ، فإن دانوا لك فذاك ، وإلا قاتلتهم وكنت أولى بالعدو ؛  
فقلت أو ضيت ، وكنت أغلى عند الله حجة .

قال : أترجو يا جندب أن يبايعني من كل عشرة واحد ؟ قلت أرجو ذلك ، قال :  
لكني لا أرجو ذلك ، لا والله ولا من المائة واحد ، وسأخبرك ؛ إن الناس إنما ينظرون

إلى قريش فيقولون : هم قوم محمد وقيمه . وأما قريش بينها فيقول : إن آل محمد يروون لهم على الناس بنبوته فضلا ، ويروون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش ، ودون غيرهم من الناس ، وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا ؛ ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها ؛ لا والله لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبدا !

قلت : جعلت فداك يا بن عم رسول الله ! لقد صدعت قلبي بهذا القول ، أفلا أرجع إلى مصر ، فأوذِن الناس بمقاتلتك ، وأدعو الناس إليك ؟ فقال : يا جندب أيس هذا زمان ذاك .

قال : فانسرفت إلى العراق ، فكنت أذكر فضل عليّ على الناس فلا أعدم رجلا يقول لي ما أكره ، وأحسن ما أسمعه قول من يقول : دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك ؛ فأقول : إن هذا مما يتقضى وينفعك ، فيقوم عليّ ويدعني .

وراد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : حتى رُفِعَ ذلك من قول إلى الوليد ابن عقبة ، أيام ولينا فبعث إلى نجدي حتى كلم في ، فقل سبيلي .

وروى الجوهري ، قال : نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم : يا معشر المسلمين ، إنا قد كُنّا ، ما كنا نستطيع الكلام ، قلّة ودلة ، فأمرنا الله بدينه ، وأكرمنا برسوله ، فالحمد لله رب العالمين يا معشر قريش ، إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت عبيكم ! تحولونه ها هنا مرة ، وها هنا مرة ! ما أبا آمن أن يبرعه الله منكم ويضعه في غيركم ، كما زعموه من أهله ووضعوه في غير أهله !

فقال له هاشم بن الوليد بن الأميرة : يا بن ممية ، لقد عدّدت طورك وما عرفت قدرك ؛ ما أنت وما رأت قريش لأنفسها ! إنك لست في شيء من أمرها وإماراتها ، فتدع عنها . وتكلمت قريش بأجمعها ، فصاحوا بصار واشتهروه ؛ فقال : الحمد لله رب العالمين ؛ ما زال أعوان الحق أدلاء ! ثم قام فانصرف .

( ١٤٠ )

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس :

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصَّةِ وَالْمُنُوعِ الْيَوْمِ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْجَحُوا أَهْلَ  
الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْعَالِيَّ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ،  
فَكَيْفَ بِالْعَالِيَّ الَّذِي عَابَ أَحَاهُ ، وَعَبَّرَهُ بِبَلَوَاهُ . أَمَّا ذِكْرُ مَوْضِعِ سَعْيِ اللَّهِ  
عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ يَمَّا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي هَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ  
قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَيْفَ ذَلِكَ الذَّنْبُ بِعَمَلِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا  
يُؤَاهُ ؛ يَمَّا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ .

وَإِنَّمَا اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَّأَتْهُ عَلَى  
عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ .

يَا عِبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَمَّا هُوَ مَعْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى  
نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَمَّا لَكَ مُعَذِّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ عَنْ عَيْمٍ مِنْكُمْ  
عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ هَبِّهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ  
يَمَّا أَهْلِي غَيْرُهُ بِهِ .

• • •

الْبَرْج :

ليس في هذا الفصل من غريب اللغة ما شرح .

## [ أقوال مأثورة في ذم الغيبة والاستماع إلى المفتابين ]

ونحن نذكر مما ورد في الغيبة لَمَّا مَلَمَّا عَلَى عَادَتِنَا فِي ذِكْرِ الشَّيْءِ عِنْدَ مَرُورِنَا عَلَى مَا بِهِ تَقْضِيهِ وَبِمُتَدْعِيهِ .

وقد ورد في الكتاب العزيز ذم الغيبة : قَالَ مِيعَاءُ : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بِنَفْسِكُمْ بَعْضًا ﴾ (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَهَاغُصُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وروى جابر وأبو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّا كُمُ وَالْمِيبَةُ ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا ، إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي مَهْتَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْمِيبَةِ لَا يُمَقَّرُ لَهُ حَتَّى يَمُوتَ لَهُ صَاحِبُهُ » .

وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « سَمِعْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَرَأَيْتُ قَوْمًا يَخْيِشُونَ وَهُمْ بِأَخَافِهِمْ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَابَعُونَ النَّاسَ » .  
وفي حديث سلمان ، قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّيْ خَيْرًا بِقَمْنِي اللَّهُ بِهِ ، قَالَ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَرَفَضْتَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِيَاءِ الْمُسْتَقِي ، وَالْقَوَّاحِ الْيَشِيرِ حَسَنًا ، وَلَا تَغْتَابَهُ إِذَا أَدِيرَ » .

وفي حديث الرِّاءِ بْنِ عَازِبٍ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْمَوَاتِقَ فِي بُيُوتِهِمْ ، فَقَالَ : « أَلَا لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوَارِيهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْصَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » .

وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم صوم : « إن فلانة وفلانة كانتا تأكلان كلان اليوم شحم امرأة مسلمة - يعني النخبة - فمرهما فليبتئيا ، فقامت كل واحدة منهما علقة دم » (١) .

وفي الصحيح المصحح عليها أنه عليه السلام مرّ بقبرين جديدين ، فقال : إني ليمدّان وما يمدّان بكبير ؛ أما أحدهما ؛ فكان يمتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يتزّم من البول ؛ ودعا بحريضة رطبة فكسرها اثنتين - أو قال : دعا بحريضتين - ثم غرسهما في القبرين - وقال : « أما إنه سيُهون من عذابهما مادامت رطبتين » .

وفي حديث ابن عباس أن راجلين من أصحابه اغتابا محصنة رجلاً ، وهو يمشى عليه السلام ، وهما يمشيان معه ، فرّ على جيفة ، فقال : « انهما مها » ، فقالا : يا رسول الله ، أو نهش الجيفة ؟ فقال : « ما أصبأ من أخيكما أنتن من هذه » .

وفي حديث أبي هريرة : « من أكل لحم أخيه حياً قرّب إليه لحمه في الآخرة ، فليل له : كله ميتاً كما أكلته حياً ، فيأكله ويضجّ وبكح » .

وروى أن رجّلين كانا عند باب المسجد ، فمرّ بهما رجل كان محنتاً ، فترك ذلك ، فقالا : لقد بقى عنده منه شيء ، فأقيمت الصلاة ، فصليا مع الناس ، وذلك يحول في أنفسهما فأتيا عطاء بن أبي رباح ، فسألاه ، فأمرهما أن يبيدا الوضوء والصلاة ، وإن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم .

وعن مجاهد : « وَبِلَّ لِكُلِّ هُمْرَةٍ لَمْرَةٌ » ، الهُمْرَةُ : الطمائم في الناس ، والهَمْرَةُ : النِّمَام .

وعن الحسن : والله لَقَضِيَّةٌ أَسْرَعُ في دين المؤمن من الأكلة في الجسد .

بعضهم : أدركتنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس .

ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك ، فاذكر عيوبك . وهذا مشتق من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

أبو هريرة : يبصر أحدهما القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه ! وهذا كالأول .

الحسن : يا ابن آدم ، إنك إن فضيت حقيقة الإيمان فلا تريب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من نفسك ؛ فإذا فعلت ذلك كان شملك في خاصة نفسك . وأحب العباد إلى الله من كان هكذا .

ويروى أن المسيح عليه السلام مر على جيفة كلب ، فقال بعض التلامذة : ما أشد نكته ! فقال المسيح : ما أشد بياض أسنانه ! كأنه نهام من غيبة الكلب وبتهمهم إلى أنه لا ينبغي أن يدكر من كل شيء إلا أحسنه .

وسمع علي بن الحسين عليه السلام رجلاً يعتاب آخر ، فقال : إن لكل شيء إداماً ، وإدام كلاب الناس للغيبة .

وفي خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . إن الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم » .

عمر : ما يمنعكم إذا رأيتم من يخترق أعراض الناس أن ترموا عليه ، أي تعبهوا ! قالوا : نخاف منه وشراً ، قال : ذلك أدى ألا تكونوا شهداء .

أنس يرفعه : « من مات على الغيبة حُشِر يوم القيامة مزرقة هيئته ، ينادى بالويل والندامة ، يعرف أهله ولا يعرفونه » .

وقال هشام بن عبد الملك في بعض ولد الوليد بن عُقبة :

أبلغ أبا وهب إذا ما قيتَه      بأنك شرّ الناس غيباً لصاحب  
فتبدي له بشراً إذا ما قيتَه      وتلعه بالغيب لنع العقارب

مرّ الشعبي بقوم يتابونه في السعد ، وفيهم بعض أصدقائه ، فأخذ يضادّي

الغاب ، وقال :

هنيئاً مريئاً غير داه مُحامِرٍ      لعرّةٍ من أعراضنا ما استعلت<sup>(١)</sup>

ومن كلام بعض الحكماء : أصر الداس بالنعوار للعوار ؛ هذا مثل قول الشاعر :

وأجراً من رأيتُ بظهر غيبٍ      قلى صيب الرجال ذوو السيوب

فيل لشبيب بن شبة بن عقيل : ما بال صلبهم أقم من الأهم يفتاك وينتقصك ؟ قال :

لأنه شقيق في النسب ، وجاري في البلد ، وشريك في الصنعة .

دخل أبو الميلاء على المتوكل ، وعنده جلساءه ، فقال له : يا محمد كلهم كانوا في غيبتك

منذ اليوم ، ولم يبق أحد لم يدُمك صيرى ، فقال :

إذا رضيت عني كرامٌ مشيرني      فلا زال غَضباناً عليّ لثامها

قال بعضهم : بتّ بالبصرة ليلة مع المسجدين ، فلما كان وقت السحر ، حرّكهم

واحد ، فقال : إلى كم هذا النوم عن أعراض الناس ؟

وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء ، وأسم عليه : ما صنع بك فلان ؟ قال : ما وفّت

نعمته بإساءته ؛ منعني لغة الثلب ، وحلاوة الشكوى .

أعرابي : من عاب سِفلة فقد رفعه ، ومن عاب شريفاً فقد وضع نفسه .

(١) لكثير ، أمالي القالي ٤ : ١٠٨



نظر بعضُ السلف إلى رجل يذأب رجلاً ، وقال : يا هذا ، إنك تمل على حافظيك كتاباً ، فانظر ماذا تقول !

ابن عباس : ما الأسد الضاري على فريسة بأسرع من الذيء في مرض السرى .  
بعضهم :

ومطروقة عينا عن عيب نفسه فإن لاح عيب من أخيه نبهنا  
وقالت رابعة العدوية : إذ انصح الإنسان فله أعلم الله تعالى على مساوى عمله ، فتشاغل بها عن ذكر مساوى خلقه .

قال عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه : يا بني ، عليك بالدين ، فإن الدنيا ما بنت شيئاً إلا هدمته الدين ، وإذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ؛ ألا ترى على بن أبى طالب وما يقول فيه خطباء بنى أمية من ذم وعيبه وغيبته ! والله لكأنما يأخذون بناصيته إلى السماء ! ألا تراهم كيف يندبون موتاهم ، ويرثيهم شعراؤهم ؛ والله لكأنما يندبون جيف الحمر !

ومن كلام بعض الصالحين : الورع في اللطخ أشد منه في الذهب والفضة ، لأنك إذا استودعت أخوك مالا لم يجد بك نفسك ظمائه فيه ؛ وقد استودعت مرضيه وأنت تغتابه ، ولا تبالي .

كان محمد بن سيرين قد جعل على نفسه ، كلما اغتاب أحداً أن يصدق بدينار ، وكان إذا مدح أحداً قال : هو كما يشاء الله ، وإذا ذمته قال : هو كما يعلم الله .  
الأحنف : في خلتان : لا اغتاب جليسى إذا قام عني ، ولا أدخل بين القوم فيما لم يدخلوني .

قيل لرجل من العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هيئناه ، وإذا أدبر اغبتناه .

قيل الربيع بن خثيم : ما نراك نهب أحدا ! فقال : لست راضيا على نفسي ؛ فأنفرت  
لذكر عيوب الناس ! ثم قال :

لنفس أسكى لست أبكى لغيرها      لنفسي في نفسي عن الناس شاغل  
عبد الله بن المبارك : قلت لسيان : ما أهدأ أبا حنيفة من الغيبة ! ما سمعته يفتاب  
حدوا ، قال : هو والله أعدل من أن يسلط على حسنه ما يذهب بها .  
سئل فضيل عن غيبة الفاسق ، فقال : لا تشغل ذكره ، ولا تموت لسانك الغيبة ،  
اشغل لسانك بذكر الله ، وإياك ذكر الناس ؛ فإن ذكر الناس داء ، و ذكر  
الله دواء .

بعض الشعراء :

واستُ بذى نير في الصديق      خروني العشرة ستاتها<sup>(١)</sup>  
ولا تن إذا كان في مجلس      أضاع القبيصة واعتابها  
ولكن أحمل سادتها      ولا أتم القابها  
وكان يقال : العيبة فاكهة القرءاء .

وقيل لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : أي التعمدان أطيب ؟ قال : لحوم الناس ؛  
هي والله أطيب من لحوم الدجاج والدراج<sup>(٢)</sup> - يعني العيبة .  
ابن الميرة : لا تذكر الميت سوء ؛ تكون الأرض أكرم عليه منك .  
وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي إذا ذكر عنده الميت سوء ، يقول : كفوا عن  
أسارى الأثرى .

وفي الأثر : سارع العيبة أحد المتأثرين .

(١) النير : المناوة .

(٢) الدراج : طائر على حافة القطا

أبو نواس :

ما حطك الواشون من رُتبةٍ عندي وما ضرك مقتابُ  
كانهم أشنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا  
الحسن : ذم الرجل في السر ، مدح له في العلانية .

على عليه السلام : الغيبة جهد الماجر ؛ أحذه للثني فقال :

وأكبر نفسي عن جزاء بمبيسةٍ وكل اغتيابٍ جهدٌ من ماله جهدٌ<sup>(١)</sup>

بلغ الحسن أن رجلاً اغتابه ، فأهدى إليه طبقاً من رطب ، فبعاه الرجل معتقراً ،  
وقال : أصلحك الله ! اغتبتك فأهديت لي ! قال : إنك أهديت إلي حسنةً منك ، فأردت  
أن أكاثلك .

أني رجلٌ عمرو بن عبدة الله ، فقال له : إنك الأسواري لم يزل أمس يذكرُك ويقول :  
عمرو الضال ، فقال له : يا هذا ! والله ! أرايت حق مجاسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه ،  
ولا رعت حق حين بليت من أحي ما أكرهه . أهليه أن للوت بمتنا ، والبهت يحشرنا  
والقيامة تبسمنا ؛ والله يحكم بيننا .

• • •

### [ حكم الغيبة في الدين ]

واعلم أن العلماء ذكروا في حدة الغيبة : أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء  
ذكرت قصصاً في بدنه ؛ مثل أن تقول : الأفرع ، أو الأحمود ؛ أو في نسبه نحو أن تقول :  
ابن البطل ، وابن الإسكاف أو الزبال أو الحائك أو الخلق ، نحو سي الخلق أو يخل

أو متكبر؛ أو في أفعاله الدينية نحو قولك: كذاب وظالم ومتهاون بالصلاة؛ أو الدنيوية نحو قولك: قليل الأدب متهاون بالناس، كثير الكلام، كثير الأكل؛ أو في ثوبه كقولك: وسخ الثياب، كبير العمامة، طويل الأذيل

وقد قال قوم: لا غيبة في أمور الدين، لأن المعتاب إنما ذم ما ذمه الله تعالى؛ واحتجوا بما روى أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله امرأة وكثرة صومها وصلاتها، ولكنها تؤذي جارتها، فقال: «هي في النار»؛ ولم يسكر عليهم غيبتهم إياها.

وروى أن امرأة ذكرت عنده عليه السلام بأنها بخيلة، فقال: «فما خيرها إذن»؛ وأكثر العلماء على أن الغيبة في أمور الدين محرمة أيضا، وادعوا الإجماع على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو معتاب؛ سواء أكان في الدين أو في غيره. قالوا: والمخالف مسروق بهذا الإجماع، وقالوا: وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «هل تدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أحاك بما يكرهه»، فقاتل قال: «أرأيت يا رسول الله، إن كان ذلك في أخي؟ قال: «إن كان فيه فقد اغتبتته، وإن لم يكن فقد بهتته»<sup>(١)</sup>.

قالوا: وروى معاذ بن جبل أن رجلا ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال قوم: ما أمجزأ فقال عليه السلام: «احتبتم صاحبكم»، فقالوا: قلنا ما فيه، فقال: «إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتوه».

قالوا: وما احتج به الزاعمون أن لا غيبة في الدين؛ ليس بحجة، لأن الصحابة إنما ذكرت ذلك في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجتها إلى تعرف الأحكام بالسؤال؛ ولم يكن غرضها التنقص.

واعلم أن الغيبة ليست مقصورة على الإنسان فقط، بل كل ما عرفت به صاحبك

(١) بهتته، أي قذفته بالباطل.

نقص أخيك فهو غيبة ؛ ضد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة قول الإجماع ، وبالطحاكاة ،  
نحو أن تمشي خلف الأهرج متعارجاً ؛ وبالسكتاب ؛ فإن أنزل أحد اللسانين .

وإذا ذكر المصنف شخصاً في تصنيفه ، وحقن كلامه ، فهو غيبة . فأما قوله : « قال  
قوم كذا » ، فليس بغيبة ؛ لأنه لم يمتن شخصاً بعينه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما ملأ أوقام يقولون كذا » ، فكان  
لا يمتن ، ويكون مقصوده واحداً بعينه .

وأخبر أنواع العيبة غيبة القراء الرايين ؛ وذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان ، فيقول  
قائلهم : الحمد لله الذي لم يسلنا بدخول أبواب الساعات ، والسد في طلب الخطأ ؛ وقصده  
أن يفهم الغير سبب ذلك الشخص ؛ فيخرج العيبة في مخرج الحمد والشكر لله تعالى ، فيحصل  
من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء ، وإظهار التمتع من العيبة وهو واقع فيها ؛ وكذلك  
يقول : لقد ساءت ما بدكره فلان ؛ يسأل الله أن يمضيه ؛ ويكون كاداً في دعوى أنه ساءه ،  
وفي إظهار الدعاء له ؛ بل لو قصد الدعاء له لأخفاء في حلوة عقب صلواته ، ولو كان قد  
ساءه لساءه أيضاً بإظهار ما يكرهه ذلك الإنسان .



واعلم أن الإصفاء إلى العيبة على سبيل التعجب كالعيبة ؛ بل أشد ، لأنه إنما يظهر  
التعجب ليزيد نشاط الممتاب في العيبة ، ويدفع فيها حكاية ؛ يستخرج العيبة منه بذلك ،  
وإذا كان السامع الساكت شربك الممتاب ، فما ظنك بالمتحدث في حصول العيبة ، والباعث  
على الاستزادة منها ؛ وقد روى أن أبا بكر وعمر ذكرهما إساناً عند رسول الله ، فقال أحدهما :  
إنه لنؤوم ؛ ثم أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حبراً فقاراً ، فطلبا منه أذناً<sup>(١)</sup> ، فقال :  
قد اجتهدتما ، قالا : ما نملأه ، قال : « بل بما أكلنا من لحم صاحبكما » ، ثم مضى في الإنهم ، وقد

(١) الخبر الثمار : ما كان صبر آدم ، والأدم : ما يؤوم .

كان أحدهما "ثلاً" والآخر مستقيماً ، فالمستقيم لا يخرج من إثم النية إلا بأن يفكر بلسانه ، فإن خاف فبقائه ، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك ، فإن قال بلسانه : اسكت وهو يريد قلبية فبقي ، فذلك نفاق ، ولا يخرج عن الإثم إلا أن يكرهه بقلبه ، ولا يكفي أن يشير باليد ، أى الكنف ، أو بالحاجب والعين ، فإن ذلك استعقار المدكور ، بل ينبغي أن يذنب عنه صريحاً ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أدلَّ عده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره ، أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق » .



### [فصل في الأسباب الباعثة على النية]

واعلم أن الأسباب الباعثة على النية على أمور ثلث :

مما شعاه العيظ ، وذلك أن يجري من الإنسان سبب يعض به عليه آخر ، فإذا حاج غصبه تشقى يذكر مساوئه ، وصدق إيهاله له بالعاج إن لم يكن هناك دين وازع ، وقد يمنع تشقى العيظ عند الغضب ، فيحتقن العصب في الداخل ، فيصير حقدًا ثابتًا ، فيكون سببًا دائماً لذكر المساوى .

ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا اجتمعوا رتبا أخذوا يتفكّهون بذكر الأعراض ، فيرى أنه لو أكر أو قطع المجلس استقلوه ، ونفروا عنه فيساعدونهم ، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ، ويظن أنه مجاملة في الصعوبة . وقد ينضب رتقاؤه من أمر فيحتاج إلى أن يعضب له ضيقهم ، إظهاراً للمساهمة في السرراء والضراء فيخوض معهم في ذكر الميوب والمساوى .

ومنها أن يستشعر من إنسان أنه سيذمه وبطول لسانه فيه ، ويحبّ حاله عند بعض الرؤساء ، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يفتح حاله ، فيطمئن فيه ليسقط أثر شهادته عليه . وقد يتعدى بذكر بعض ما فيه صدق ليكذب عليه بعد ذلك ، فيروج كذبه بالصدق الأول .

ومنها أن ينسب إلى أمر فيريد التبرؤ منه ، فيذكر الذي فعله ، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ، ولا يذكر الذي فعله ، لكنه إنما يذكر غيره تأكيذاً لبراءة نفسه ، وكَيْلاً بكون تبرؤا مبتورا ، وربما يمتنر بأن يقول : فلان فعله ، وكنت شريكاً في بعض الأمر ليبرئ نفسه بعض البراءة .

ومنها البهاة وحب الرئاسة ، مثل أن يقول : كلام فلان ركيك ، وعرفته بالفن الفلاني ناقصة ، وغرضه إظهار فضله عليه . ومنها الحسد وإرادة إسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساوئه ، لأنه يشق عليه ثناء الناس عليه ، ولا يجد سبيلاً إلى سدّ باب الثناء عليه إلا بذكر عيوبه .

ومنها اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك والسخرية ، فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على حيل المزمز والمحاكاة .

\*\*\*

واعلم أن الذي يقوى في نفس أن الغيبة لا تكون محرمة إلا إذا كانت على سبيل التقصّد إلى تنقص الإنسان قطع وغض قدره ، فأما إذا خرجت مخرجاً آخر ، فليست بحرام ، كمن يظلمه القاضي ويأخذ الرشوة على إسقاط حقوقه ، فإن له أن يذكر حاله للسلطان معظماً من حيف الحاكم عليه ، إذ لا يمكنه استيفاء حقوقه إلا بذلك ، فقد قال صلى الله عليه وآله : « مَطْلُ النَّفْسِ ظُلْمٌ » ، وقال : « لِي<sup>(١)</sup> الرّاجد يحمل عقوبته وعمره » .

(١) يقال : لي من الأمر ؛ إذا تنازل .

وكذلك النهي عن النكر واجب ، وقد يحتاج الإنسان إلى الاستعانة بالغيرة على تغييره ورد القاضى إلى منهج الصلاح فلا بد له أن يشرح لتغير حال ذلك الإنسان المرتكب للنكر ، ومن ذكر الإنسان بقلب مشهور فمرف عن عيبه ، كالأعرج والأعمش المحدثين ، لم يكن منتابا إذا لم يقصد النص والنقص .

والصحيح أن الجاهر بالفسق لا غيبة له ، كصاحب للاحور والمختث : ومن يدعو الناس إلى نفسه ابنة ، وكالمشار والمتفرج بالصرب ، فإن هؤلاء غير كارهين لما يذكرون به ، وربما تفاخروا بذلك ، وقد قل النبي صلى الله عليه وآله : « من ألقى جلباب الحياء من وجهه ، فلا غيبة له » ، وقال عمر : ليس لفاجر حرمة ، وأراد الجاهر بالفسق ، دون المعتز .

وقال الصلت بن طريب : قالت للحسن رحمه الله ( الرجل الفاجر المعلن بالفجور غير مراقب ، هل يذكرى له بما فيه عيبه ؟ ) فقال : لا ، ولا كرامة له !

• • •

### [ طريق التوبة من الغيبة ]

واعلم أن التوبة من العيبة تكفر عقابها ، والتوبة منها هي الندم عليها ، والعزم على ألا يعود ، فإن لم يكن الشخص المذكور قد بلغته العيبة ، فلا حاجة إلى الاستعلال منه ، بل لا يجوز إعلامه بذلك ، هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله ، لأنه لم يؤلمه فيحتاج إلى أن يستوهب منه إثم ذلك الإيلام ، وفي إعلامه تصيبق صدره ، وإدخال مشقة عليه ، وإن كان الشخص المذكور قد بلغته العيبة ، وجب عليه أن يستعده ويستوهبه ، فإن كان قد مات سقط بالتوبة عقاب ما يختص بالبارئ ، سبحانه من ذلك الوقت ، وبقي ما يختص بذلك الميت لا يسقط حتى يؤخذ الموضع له من الذنب يوم القصاص .



## الأصل

ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْتَمَنَّ فِيهِ  
أَفْوِيلَ الزُّجَالِ. أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرَى الرَّامِيَ، وَتُحْطَى السَّهَامُ، وَتُحْمِلُ الْكَلَامُ،  
وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَدُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ.

أَمَّا إِنَّهُ أَيْسَرُ يَنْ أَلْخَقُ وَالنَّاطِلِ إِلَّا أَرْتَعَ أَصَابِعُ.

\*\*\*

فُسِّطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا: «وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا تَحْتَ أَدْنَاهُ وَهَيْبَهُ  
ثُمَّ قَالَ:

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَأَلْخَقُ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ.

\*\*\*

## التفسير

هذا الكلام هو سَهْيٌ مِنَ التَّسَرُّعِ إِلَى التَّصَدِيقِ بِمَا يُقَالُ مِنَ الْمَيْبِ وَالْقَدْحِ فِي حَقِّ  
الْإِنْسَانِ الْمَسْتَوْرِ الظَّاهِرِ، الشَّهِيرِ بِالصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَهُوَ خِلَافَةُ قَوْلِهِ سَبْعَانَهُ: «إِنْ جَاءَكُمْ  
فَاسِقٌ يَنْبِئُ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَنَصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ مَادِيمِينَ»<sup>(١)</sup>. ثُمَّ  
ضَرَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ مَثَلًا، فَقَالَ: قَدْ يَرَى الرَّامِيَ فَلَا يَصِيبُ الرَّمِيَّ، وَكَذَلِكَ قَدْ  
يُطْعَمُ الطَّامَنُ فَلَا يَكُونُ طَعْنُهُ صَحِيحًا، وَرَدِّهَا كَانَ لِفَرْضِ فَاسِدٍ أَوْ سَمِعَهُ يَنْ لَه غَرَضٌ

فأما ، كالدور والحسود ، وقد يشذبه الأمر فيظن المعروف منكراً ، فيمجل الإنسان بقول لا يتحققه ، كمن يرى غلام زيد يحمل في إباء مستور معطى خلا ، فيظنه خيراً .

قال عليه السلام : « ويحمل الكلام » ، أى يكون باطلاً ، أحال الرجل ، في منطقته ، إذا تكلم الذى لا حقيقة له ، ومن الناس من يرويه : « ويحيك الكلام » بالكاف ، من قوائك : ماحك فيه السيف ، ويحوز « أحاك » بالهمزة ، أى مائثر ، يعنى أن القول يؤثر في المريض وإن كان باطلاً ، والرواية الأولى أشهر وأظهر

ويور : يفسد . وقوله : « وباطل ذلك بسور » ، مثل قولهم : للباطل جولة ، وللعق دولة ، وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْخَلْقُ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .  
والإصبع مؤنثة ، ولذلك ، قل : « أربع أصابع » تحذف الهاء .

فإن قلت : كيف بقول عليه السلام : الباطل ما يسمع والحق ما يرى ، وأكثر المعلومات إنما هي من طريق السماع ، كملنا الآن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله بما بلغنا من معمراته التي لم نرها ، وإنما سمعناها

قلت : ليس كلامه في التواتر من الأخبار ، وإنما كلامه في الأقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد ، التي تتضمن القبح فيمن قد غلبت نزاعته ، فلا يحوز العدول عن المعلوم بالشكوك .

(١٤٢)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمُرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْخَطِّ فِيمَا آتَى إِلَّا مَحْمَدَةٌ  
الْقَتَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجَهْلِ ، مَا دَمَ تَضَمُّعًا عَلَيْهِمْ : مَا أَجُودَ يَدُهُ ! وَهُوَ عَنْ  
ذَاتِ اللَّهِ تَخِيلٌ .

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا يُلْهِصِلُ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلِيُخَسِّنَ مِنْهُ الصُّبَاهَةَ ، وَلِيُفَكَّ بِهِ  
الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلِيُطَيِّبَ مِنْهُ الْقَمِيرَ وَالْعَارِمَ ، وَلِيُصَيِّرَ مَقْتَهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ،  
أَبْتِغَاءَ الثَّوَابِ ، فَإِنْ فُوزًا يَهْدِيهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَسْكَرِيمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ فَصَائِلِ  
الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

• • •

الشرح :

هذا الكلام يتضمن ذمًّا من يخرج ماله إلى الفتيان والأفغان والشعراء ، ويحومهم ،  
ويبتغى به المدح والسمعة ، ويبدل عن إخراجهم في وجوه البر واشتفاء الثواب ، قال عليه  
السلام : ليس له من الخطِّ إلا محمَّدة القَتَامِ وثناء الأشرار ، وقولهم : ما أجود يده ! أي  
ما أجمعه ! وهو بخيل بما يرجع إلى ذات الله - يعني الصدقات وما يجري مجراها من صلة  
الرَّحْمِ والضيافة وفك الأسير والعاني ، وهو الأسير بمعنى ، وإنما اختلف اللفظ .

والفارم: مَنْ عَلَيْهِ الدِّيون وَيُقَالُ: صَبَرَ فلان نَكَتَ عَلَى كَذَا مُحَقَّقًا، أَيْ حَبَسَهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>.

وقال عنقرة يذكر حربًا:

فصبرتُ عارفةً لذلِكَ حُرَّةٌ ترسو إذا نفس الجبان تطلَّعُ <sup>(٢)</sup>

وفي الحديث النبوي في رجل أسك رحلا، وقتله آخر فقال عليه السلام: « اقاتلوا

القاتل واصبروا الصابر »؛ أي احبسوا الذي حبسه لقتل إلى أن يموت.

وقوله: « فإن فوزًا »؛ أفصح من أن يقول: « فإن الفوز » أو فإن في الفوز كما

قال الشاعر:

إن شِواءَ وشِوةً وخَبَبَ البازلِ الأُمونِ <sup>(٣)</sup>

من لَذَّةِ العيشِ، والغنى للدهرِ، والذهرُ ذو شئون <sup>(٤)</sup>

ولم يقل: « إن الشواء والنشوة »، والسرف في هذا أنه كأنه يحمل هذا الشواء شخصًا

من جملة أشخاص، داخلة تحت نوع واحد؛ ويقول: إن واحدًا منها أيها كان فهو من

لذة العيش؛ وإن لم يحصل له كل أشخاص ذلك النوع، ومصادره تقرير فضيلة هذه

الخصال في النفوس، أي متى حصل للإنسان فوزًا ما بها؛ فقد حصل له الشرف، وهذا

المعنى وإن أعطاه لفظة « الفوز » بالألف واللام إذا قصد بها الجنسية إلا أنه قد

يسبق إلى الذهن منها الاستغراق لا الجنسية، فأتى بلفظة لا توهم الاستغراق؛ وهي اللفظة

للذكر؛ وهذا دقيق، وهو من لباب علم البيان.

(١) سورة الكهف ٢٨.

(٢) اللسان ٦: ١٠٧، بقوله: حيث قفا صابرة.

(٣) لسان ٦: ١٠٧، ديوان الحماسة بدمرح الرزوني ٣: ١١٣٧. النشوة: السكر، والخب: ضرب من الخمر.

(٤) الحماسة: « ذو فئون ».

(١٤٣)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء :

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ لَأَتَى تَحْمِيلُكُمْ ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُفَالِكُمْ ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ،  
وَمَا أَصْبَعْنَا نَمُودَاكُمْ لَكُمْ بِرَّ كُنْهِنَا تَوْجُوعًا لَكُمْ ، وَلَا زَلْفَةً لَائِسَكُمْ ، وَلَا لِيُخَيَّرَ  
تَرْحُومَاهُ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَعَايِمِهِمْ وَأَطَاعَتَنَا ، وَأَقِيمْنَا عَلَى حُدُودِ  
مَصَالِحِكُمْ فَطَاعَنَا .

إِنَّ اللَّهَ يُبْتَلَى عِبَادَهُ جِدَّةَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِفُتُوحِ الثَّمَرَاتِ ، وَحَسَنِ الْبَرَكَاتِ ،  
وَأَعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَلْقَاتِ ، بِمُحِبَّةِ تَائِبٍ مُوَفَّقٍ مُقْبِلٍ ، وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرٍ ،  
وَيَزْدَجِرُ مُرْدَجِرٍ .

وَقَدْ جَمَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَشْيَاءَ مَارَسِيًا لِدُرُورِ الرُّزْقِ وَرَحْمَةً أُنْخَلِقُ ، فَقَالَ  
سُبْحَانَهُ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا •  
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١) .

فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ ثَوْبَتَهُ ، وَأَسْتَقَالَ حَاطِيَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيبَتَهُ ،  
اللَّهُمَّ إِنَّا حَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَشْدَارِ وَالْأَكْمَانِ ، وَبِمَدِّ هَجِيجِ الْبَهَائِمِ  
وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاحِينَ فِصْلَ يَمْنَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ  
عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِضِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّيْنِ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا  
بِمَا قَمَلِ الشُّعْمَاءِ مِنَّا ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، الْجَائِنَا الْمَضَائِقُ  
الْوَحْشَةَ ، وَأَجَاءْنَا الْمَاقِحُ الْجَدِيَّةُ ، وَأَغْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَمِّرَةُ ، وَتَلَاخَتْ عَلَيْنَا  
الْفِتْنُ الْمُتَصَنِّبَةُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا حَائِشِينَ ، وَلَا تَقْبِلَنَا وَاحِدِينَ ، وَلَا تُحَاطِبَنَا بِدُورِنَا ؛  
وَلَا تُقَابِسَنَا بِأَعْمَالِنَا .

اللَّهُمَّ أَشْرَعْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَرَرَّكَ وَرَحْمَتَكَ ، وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَاقِصَةً  
مُرْوِيَةً مُشْبِئَةً ، تُغْنِي بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُغْنِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَاقِصَةً أَلْحِيَا ؛ كَثِيرَةً  
الْمُجْتَنِي ؛ تَرَوِي بِهَا الْفِيَمَانَ ؛ وَتُغْنِي الْبَطْنَانَ ، وَتَسْتَوْرِفُ الْأَشْعَارَ ، وَتَرْخِصُ  
الْأَشْعَارَ ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا نَشَاءُ قَدِيرٌ .



## البُزْجُ :

تظلمكم : تعلموا عليكم ، وقد أظلمت الشجرة واستظلمات بها . والزلفة : القرية ، يقول  
إن السماء والأرض إذا جاءتا بمنافعكم - أما السماء فبالطر ، وأما الأرض فبالنبات - فإنهما  
لم تأتيا بذلك تقرُّبا إليكم ، ولا رحمة لكم ، ولكنهما أُمِرَتَا بنفعكم فامتثلتا الأمر ؛ لأنه  
أمرٌ من يجب طاعته ، ولو أُمِرَتَا بمير ذلك لعمته . والكلام محاز واستمارة ، لأن الجاد  
لا يؤسر ؛ والمعنى أن الكل مسخر تحت القدرة الإلهية ، ومراده تمهيد قاعدة الاستسقاء ،  
كأنه يقول : إذا كانت السماء والأرض أيام الحصب والطر والنبات لم يكن ما كان منهما  
محبة لكم ، ولا رحاء منعمة منكم ؛ بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيها مسخرهما له ،

فكذلك السماء والأرض أيام الجذب وانقطاع الطر وعدم السكلا ، ليس ما كان منهما  
بنضاً لكم ، ولا استدفاع ضرر يخاف منكم ، بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيما  
سخرهما له ، وإذا كان كذلك فبالحرى ألا تأمل السماء ولا الأرض ، وأن نجعل آمالنا  
معلقة بالحق للدبر لها ، وأن نستريحه وندعوّه ونستغفره ، لا كما كانت العرب  
في الجاهلية يقولون : مطرنا بنوء كذا ، وقد سخط النوء العلالى على نبي فلان فأعجلوا .

ثم ذكر عليه السلام أن الله تعالى ينقل عباده عند الذنوب بتضييق الأرزاق عليهم ،  
وحبس مطر السماء عنهم ؛ وهذا الكلام مطابق لقواعد الكلامية ، لأن أصحابها يذهبون  
إلى أن العلاء قد يكون عقوبة على ذنب ، وقد يكون لطفاً للمسكّاتين في الواجبات العقلية  
وهو معنى قوله : « ليتوب تائب » ، إلى آخر الكلمات . ويُقْلَع : يكفّ ويمسك .

ثم ذكر أن الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً في دُرُور الرزق ، واستدلّ عليه بالآية  
التي أمر نوح عليه السلام فيها قومه بالاستغفار ؛ يعنى التوبة عن الذنوب ، وقدم إليهم  
الموعِد بما هو واقع في نفوسهم ، وأحث إليهم من الأمور الآجلة ، فتنام الفوائد العاجلة ،  
ترغيباً في الإيمان وبركانه ، والطاعة وتأنجها ، كما قل سبحانه للمسلمين : ﴿ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا  
نَصَرْتُ مَنْ أَلِهَ وَفَتَحْتُ قَرِيبٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فوعدهم بمحبوب الأفس الذي يروونه في العاجل عياناً  
وهذا لأجزاء ونسيئة . وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا  
أَفْتَحْنَا عَنْهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا  
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) سورة الصافات ١٢ .

(٢) سورة الأعراف ٩٦ .

(٣) سورة المائدة ٦٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>.

• • •

[ الثواب والعقاب عند المسلمين وأهل الكتاب ]

وكل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو لمنافع الدنيا ومضارها ، أما منافعها فمثل أن يقول : إن أطيعم بركت فيكم ، وكثرت من أولادكم وأطلت أعماركم ، وأوسعت أرزاقكم ، واستقيت اتصال بسلككم ، وبصرتكم على أعدائكم ، وإن عصيتم وخالفتم احترمتكم وخصت من آجالكم ، وشتت شملكم ، ورمتكم بالجوع والمحل ، وأذلت أولادكم ، وأثمت بكم أعداءكم ، وبصرت عليكم خصومكم ، وشردتكم في البلاد ، وابتليتكم بالمرض والقتل ، ونحو ذلك .

ولم يأت في التوراة وعد ووعيد (بأمر يمتنع) بعد الموت . وأما المسيح عليه السلام ، فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ؛ ولكن جعل العقاب روحانياً ؛ وكذلك الثواب ؛ أما العقاب فالوحشة والمرع وتحميل العامة وخبث النفس وكبرها وخوف شديد ، وأما الثواب فما زاد على أن قال : إسمهم يكونون كاللانسكة ؛ وربما قال : يصعدون إلى ملكوت السماء ، وربما قال أصعابه وعصاه ملته : الضوء والقدرة والسرور والأمن من زوال المدة الحاصلة لهم . هذا هو قول المحققين منهم ؛ وقد أثبت بعضهم نارا حقيقية ، لأن لفظة « النار » وردت في الإنجيل ، فقال محققهم : نار قلبية ، أي نفسية روحانية ، وقلل الأفلون : نار كهذه النار . وممنهم من أثبت عقابا غير النار وهو بدني ، فقال : الرعدة وصري الأسنان ؛ فأما الجنة بمعنى الأكل والشرب والجماع ؛ فإنه لم يقل منهم قائل به أصلاً ، والإنجيل صرح بانتفاء ذلك في القيامة تصريحاً لا يبقى بعده ريب لموتاب ؛ وجاء خاتم الأنبياء محمد



صلى الله عليه وسلم فأثبت العادة على وجه يحقق كامل ؛ أكل مما ذكره الأولان ،  
قال : إن البدن والنفس معاً مبعوثان ؛ ولكل منهما حظ في الثواب والعقاب .

وقد شرح الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا هذا الموضع في رسالة له في  
للعاد ، تعرف " بالرسالة المحمودة " شرحاً حليلاً ، قال : إن الشريعة المحمدية أثبتت في  
القيامة رد النفس إلى البدن ، وجعلت للثواب والعقاب ثواباً وعقاباً بحسب البدن والنفس  
جميعاً ؛ فكان الثواب لذات بدنية من حور عين وولدان محليدين وفاكم ، يشتهون ،  
وكأس لا يصدعون عنها ولا يبرؤون ، وجبات تجري من تحتها الأنهار ؛ من لبن وعسل وخر  
وماء زلال ، وسرور وأرائك وحيام وقباب ، قرشها من سندس وإستبرق ؛ وما جرى مجرى  
ذلك . ولذات نفسانية من السرور ومشاهدة للآسكوت والأمن من المذاب والمعلم اليقيني  
بدوام مأم فيه ، وأنه لا يتدققه عدم ولا ذوال ، والخلق عن الأحران والمخاوي والعقاب  
عقاب بدني ؛ وهو المقامع من الحديد ، والسلاسل ، والحريق والحميم والعذاب والمشرح  
والجلود التي كلما نصبت بدتوا خلوداً غيرها ، وعقاب نفسي من اللس والحرى والحجل  
واللدم والخوف الدائم واليأس من الفرج ، والمعلم اليقيني بدوام الأحوال السيئة  
التي هم عليها .

قال : فوفت الشريعة الحكمة حقها من الوعد الكامل ، والوعيد الكامل ؛ وبهما  
ينتظم الأمر ، وتقوم الآلة ؛ فأما التصاري ومادهما إلى من أمر بهما الأبدان ، ثم خلقتها  
في الدار الآخرة من المطعم والملبس والمثرب والمنكح ، فهو أرك مذهب إليه أرباب  
الشرائع وأسفقه ، وذلك أنه إن كان السب في البعث ، هو أن الإنسان هو البدن ، أو أن  
البدن شريك النفس في الأعمال الحسنة والسيئة ، فوجب أن يبعث ، فهذا القول بعينه  
إن أوجب ذلك ، فإنه يوجب أن يثاب البدن ، ويعاقب بالثواب والعقاب البدني المفهوم  
عند العالم ، وإن كان الثواب والعقاب روحانيا ؛ فما المرص في بيت الجسد ؟ ثم ما ذلك

الثواب والمقاب الروحانيان ! وكيف تصور العلامة ذلك حتى يرغبوا ويرهبوا ! كَلَّابِل  
لم تصور لم الشريعة النصرانية من ذلك شيئاً ، غير أنهم يكونون في الآخرة كاللائكة ،  
وهذا لا يفي بالترغيب التام ، ولا ما ذكره من العقاب الروحاني - وهو الظلمة وخبث  
النفس - كافٍ في الترهيب . والذي جاءت به شريعة الإسلام حسن لا زيادة عليه .

انقضى كلام هذا الحكيم .

•••

فأما كون الاستغفار سبباً لنزول القطر وندور الرزق ، فإن الآية بصريحها ناطقة به ،  
لأنها أمرٌ وجوابه ، قال : « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » يرسل السماء عليكم مدرارا ،  
كما تقول : قم اكرمك ، أى إن قمت اكرمك . وعن عمر أنه خرج يستقي ، فزاد على  
الاستغفار ، قيل له : ما رأيناك استغفرت . فقال : لقد استغفرت بمجاديع<sup>(١)</sup> السماء التي  
يُسْتَنْزَلُ بها المطر .

ومن الحسن أن رجلا شكّا إليه الجذّب ، فقال : استغفر الله ، فشكا آخرٌ إليه  
الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ربح أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع  
ابن صبيح : رجال أتوك يشكون أبواباً ، ويشكون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار ،  
فقال له الآية .

قوله : « استقبل توبته » أى استأنفها وجددها . واستقال خطيئته : طلب الإقالة  
منها والرحمة . وبادر منيئته : سابق الموت قبل أن يدمه .

(١) النهاية لاس الأتيم ١ : ١٤٦ . قال : « المجاديع ، واحدتها مجدح ، والباء رائدة للإشباع ،  
والقياس أن يكون واحدتها « مجداح » ؛ فأما « مجدح » فجمع مجداح ، والمجدح : نجم من النجوم ؛ قيل :  
هو الذبران ، وقيل : هو ثلاثة كواكب كالأنان تشبهها . « مجدح » الذى له ثلاث شعب ؛ وهو من العرب  
من الأنواء الثلاثة على المطر ، تحمل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون ، لا قولاً بالأنواء ،  
وجاء بلفظ الجمع ؛ لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر .

قوله عليه السلام : « لَا تُهْلِكُنَا بِالسَّيْنِ » جمع : سِنَّة ، وهى الجذْب والمَحْل ، قال تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِ » <sup>(١)</sup> ، وقال النبي صلى الله عليه وآله يدعو على المشركين : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَيْنٍ كَسَيْنِ يَوْسَفَ » ، والسَّنة لفظ محذوف منه حرف ، قيل إنه الهاء ، وقيل الواو ، فن قال : المحذوف هاء ، قيل : أصله « سِنَّة » مثل حَبَّة ، لأنهم قالوا : مَخْلَّة سِنَّاء ، أى تحمل سِنَّة ولا تحمل أخرى ، وقال بعض الأنصار : فليست سنهاء ولا رُجْبِيَّةٌ ولكن عرايا في السنين الجوائح <sup>(٢)</sup>

ومن قال أصلها الواو ، احتج بقولهم : أسنى القوم يُسْنون إسْناء ، إذا لبثوا فى الموضع سِنَّة ، فأما التصغير فلا يبدل على أحد المذهبين نبيته ، لأنه يجوز سُنيَّة وسُنْبِيَّة ، والأكثر جمعها بالواو والنون « سِنُون » بكسر السين كما فى هذه الخطبة ، وبعضهم يقول : « سُنُون » بالضم .  
والمصابق للوعرة ، بالتسكين ، ولا يجوز التثنية ، وقد وَهَرُ هذا الشيء بالضم ووعورة ، وكذلك توهَر ، أى صار وَهراً ، واستوعرتُ الشيء : استصعبته .

وأجاءتنا . ألبأتنا ، قال تعالى : « فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ » <sup>(٣)</sup> .

والمقاطع المجدبة : السنون المعلة ، جمع مَقْعَطَة .

وتلاحمت : انصلت .

والواجم : الذى قد اشتدَّ حرُّهُ حتى أمسك من الكلام ، والماضى « وَجَم » بالفتح يحم وُجُوماً .

فواه : « وَلَا تَحَاطَبْتَا بَذُنُونَا ، وَلَا تَقَاسِمَا بِأَعْمَالِنَا » ، أى لا تجعل جواب دعائنا لك ما تقتضيه ذنوبنا ؛ كأنه يجعله كالمدخل لم ، والحبيب عتاً سألوه إياه ، كما يفاوض الواحد

(١) سورة الأعراف ١٣٠ .

(٢) اللسان ( سنه ) ، ونسب إلى سويد بن الصامت الأنصارى .

(٣) سورة مريم ٢٤ .

منّا صاحبه ويسعه ظفه ، فقد يجيبه ومخاطبه بما ينصيه ذبّه إذا اشتدّت موجدته عليه ونحوه .  
ولا تقايضا بأعمالنا ، قسّتُ الشيء بالشيء إذا حذوته ومثله به ، أى لا تجعل ما يجيبنا به  
مقايماً ومماثلاً لأعمالنا السيئة .

قوله : « سُقياً نافعة » هي « قُنْطَرى » مؤنثة غير مصروفة .

والحميا : المطر . وناقمة مروية : مسكنة للمعش ، نَقَعَ الماء المعش نقاً ونُقوعا سكنه ،  
وفي المثل : « الرشف أنقع » أى أن الشراب الذى يُرشف قليلاً قليلاً أعم وأقطع للمعش ،  
وإن كان فيه بطل .

وكثيرة المجتنى ، أى كثيرة الكلا ، والكلا : الذى يجرى ويرعى . والقيمان : جمع  
قاع ، وهو القلعة .

والبطلسات : جمع نطن ، وهو النمامس من الأرض ، مثل ظهّر وظهّزان  
وعَدّ وعبدان .

(١٤٤)

## الإسراء

ومن خطبة له عليه السلام :

بِمَثِّ رَسُولِهِ بِمَا خَمَّسَهُمْ بِهِ مِنْ وَخْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ لِثَلَاثٍ  
تَحِبُّ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِرُكِّهِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاكُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْخَلْقِ .  
أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ؛ لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ  
أَسْرَارِهِمْ وَمَسْكُونِ خَمَائِرِهِمْ ؛ وَلَسَكِنْ يَتْلُوهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، فَيَسْكُونُ  
الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْيَقَابُ بَوَاءً .  
أَيُّ الدِّينِ رَمَحُوا أَنَّهُمْ الرَّاغِبُونَ فِي الْعِلْمِ دُونََنَا ، كَذِبًا وَتَمَيُّا عَلَيْنَا ؛ أَنْ رَفَعْنَا  
اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ ؛ بِنَا يُسْتَمْعَلُ الْهَدْيُ ،  
وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى .

إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرْبَشٍ ، غُرِّسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَائِمٍ ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ،  
وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

• • •

## الْبُرْج :

أول الكلام مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِثَلَاثٍ يَكُونُ  
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ مَعَهُ الرُّسُلُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى  
نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء ١٦٥

(٢) سورة الإسراء ١٥

فإن قلت : فهذا يناقضُ مذهبَ المعتزلة في قولهم بالتواجبات عقلا ، ولو لم نبعث  
الرسول !

قلت : صحة مذهبهم تقتضي أن يُحمل عمومُ الألفاظ على أن المراد بها الخصوص ،  
فيكون التأويل : لئلا يكون للناس على الله حجة فيما لم يدل العقل على وجوبه ولا قبحه ،  
كالشرعيات ، وكذلك : « وما كنا معدّين حق نبوت رسولا » على ما لم يكن العقل دليلا  
عليه حتى نبعث رسولا .

الإعذار : تقديم العذر . ثم قال : إن الله تعالى كشف الخلق بما تبدهم به من  
الشرعيات على السنة الأنبياء ، ولم يكن أمرهم خفيا عنه ، فيحتاج إلى أن يكشفهم بذلك ،  
ولكنه أراد ابتلاهم واحبارهم ، ليعلم أيهم أحسن عملا ، فيمابق المسوء ، وينيب  
المحسن .

فإن قلت : الإشكال قائم ، لأنّ إدا كان يعلم أيهم بحسن ، وأيهم بسوء ، فافائدة  
الابتلاء ؟ وهل هو إلا محض البعث !

قلت : فائدة الابتلاء إيصال نفع إلى ربه لم يكن ليصح إيصاله إليه إلا بواسطة  
هذا الابتلاء ، وهو ما يقوله أصحابنا : إن الابتلاء بالتواب قبيح ، والله تعالى يستحيل أن  
يفعل القبيح .

قوله : « وللمعاقب بواء » أي مكافأة ، فات لبلى الأختلية :

فإن تكن القتل بواء فبأنكم متى ما قتلتم آل عوف بن عامر<sup>(١)</sup>

وأبأت القاتل بالقتيل واستقياته أيضا ، إذا قنته به ، وقد باه الرجل بصاحبه ، أي قتل به

(١) مقتل توبة بن الحخير ، اللسان ١ : ٢٩

وفي الليل : « بابت عرار بكحل »<sup>(١)</sup> وما برتان ؛ قتلت إحداها بالأخرى وقال مهمل  
لجبر لما قتل : « يؤايشع نعل كليب » .

قوله عليه السلام « أين الدين زعموا » ، هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من  
الصحابه كانوا يفازعونه للفضل ؛ فمنهم من كان يدعى له أنه أقرض ، ومنهم من كان  
يدعى له أنه أقرأ ، ومنهم كان يدعى له أنه أعلم بالحلال والحرام . هذا مع تسليم هؤلاء له  
أنه عليه السلام أفضى الأمة ، وأن الله ضاع يحتاج إلى كل هذه المضائل ، وكل واحدة منها  
لا تحتاج إلى غيرها ، فهو إذن أجمع للفقهاء أكثرهم احتواء عليه ، إلا أنه عليه السلام لم يرض  
بذلك ولم يصدق الخبر الذي قيل : « أقرضكم فلان » إلى آخره فقال : إنه كذب واقتراء  
حل قوما على وضعه الحد والبنى والمنافة لهذا المعنى من بنى هاشم ؛ أن رفضهم الله على  
غيرهم ، واختصهم دون من سواهم .

وأن هاهنا للتسليط ، أى « لأن » ، حذف اللام التى هى أداة التسليط على الحقيقة ، قال  
سبحانه : ﴿ يَنْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال بعض الشعراء  
لبعض الفقهاء الزاعمين أن لا حاجة للفقهاء إلى النعم : ما تقول لرجل قال لزوجته : أنت  
طالق إن دخلت الدار ؟ فقال : لا يقع إلا بالدخول ، فقال : فإن فتحت المصرة ؟ قال : كذلك ،  
فصره أن السريّة نافعة فى الفقه ، وأن الطلاق منجز لا معلق ، إن كان مرادّه تسليط  
الطلاق بوقوع الدخول لا شرطه به .

ثم قال : « بنا يستعصى الهدى ، أى يطلب أن يعطى ، وكذلك « يستعجل » أى  
يطلب جلاؤه .

ثم قال : إن الأئمة من قريش ... إلى آخر الفصل .

\*\*\*

(١) اللؤلؤ فى اللسان ٦٤ : ١٠٣ ، قال : ومن أمثالهم : « بابت عرار بكحل » ؛ إذا قتل القتائل  
بقتوله ؛ يقال : كاتبا برتين فى بنى إسرائيل ، قتلت إحداها بالأخرى . ونقل عن ابن برى : كحل  
بجرله « دعد » يصرف ولا يصرف .

(٢) سورة المائدة ٨٠

## [ اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش ]

وقد<sup>(١)</sup> اختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة ، فقال قوم من قدماء أصحابنا : إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً ، وإنما تصلح في القرشي وغير القرشي إذا كان فاضلاً مستجماً للشرائط للمتبعة ، واجتمعت الكلمة عليه ، وهو قول الخوارج .

وقال أكثر أصحابنا وأكثر الناس : إن النسب شرط فيها ، وأنها لا تصلح إلا في العرب خاصة ؛ ومن العرب في قريش خاصة . وقال أكثر أصحابنا : معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « الأئمة من قريش » إن القرشية شرط إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة ؛ فإن لم يكن فيها من يصلح ، فليست القرشية شرطاً فيها .

وقال بعض أصحابنا : معنى الخبر أنه لا تختار قريش أبداً ممن يصلح للإمامة ، فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لما في كل عصر وزمان .

وقال معظم الزيدية : إنها في الفاطميين خاصة من الطاهيين ، لا تصلح في غير الطاهيين ، ولا تصح إلا بشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس . وبعض الزيدية يميز الإمامة في غير الفاطميين من ولد علي عليه السلام ؛ وهو من أقوالهم الشاذة .

وأما الراوندية فإنهم خصصوها بالمباس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلها ؛ وهذا القول هو الذي ظهر في أيام للنصور والهدى ، وأما الإمامية فإنهم جعلوها سارية في ولد الحسين عليه السلام في أشخاص مخصوصين ، ولا تصلح عندهم لغيرهم . وجعلها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده ، ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره .

فإن قلت : إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد للعترة وأصولهم ، فما قولك في هذا

(١) كذا في أ ، ب و د : وقد .



الكلام وهو تصريح بأن الإمامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة ، وليس ذلك بمذهب المعتزلة ؛ لا متقدميهم ولا متأخريهم !

قلت : هذا الموضع مشكل ، ولي فيه نظر ؛ وإن صح أن عليا عليه السلام قاله ، قلت كما قال ، لأنه ثبت عندى أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « إنه مع الحق ، وإن الحق يدور معه حيثما دار » ، ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة ، فيجعل على أن المراد به كمال الإمامة كما جعل قوله صلى الله عليه وآله : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » ، على نفي الكمال ، لا على نفي الصلوة .

•••

## الأصل :



منها :

آزُرُوا عَاجِلًا ، وَأَخْرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِيًا ، وَشَرِبُوا آجِنًا ؛ كَأَن أُنْظَرُ إِلَى قَاصِمِهِمْ وَقَدْ صَعِبَ الْمُسْكِرُ قَالِفُهُ ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَاقِفُهُ ، حَتَّى شَانتَ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُيِفَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُرِيدًا كَانَتْ يَارٍ لَا بُسَالِي مَاعَرِقٍ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْعَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ .

أَيُّنَ الْقَوْلُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَنْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِلِ التَّقْوَى ؛ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ؛ أَرْدَحُوا أَصْلَ الْخَطَايَا ، وَتَشَاحُوا أَصْلَ الْفُرَايَا ، وَرَفِيعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَحُومَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَفَرُّوا وَوَرُّوا ، وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَحَارُوا وَأَقْتَلُوا ؛

## البَرْخ :

آثَرُوا : احْضَرُوا . وَأَحْرُوا : تَرَكَوا . لَأَحْن : الماء المَقْمَر . أَجْن الماء بِأَجْن وبِأَجْن .  
وَتَمِيء به : أَلْع ، وَتَلْقَى تَسْو : أَلِقت الحَب ولا<sup>(١)</sup> تَمْنَعه . وَشَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ : طَالَ  
عَهْدُهُ بِهِ مُدَّ زَمَن الصَّبَا حَتَّى صَارَ شَيْخًا . وَصِفَتْ بِهِ حَلَاتِفُهُ مَصَارِفَ طَبْعًا لِأَنَّ الْعَادَةَ  
طَبِيعَةٌ ثَابِتَةٌ .

مُرْبِدًا ، أَيْ ذَوْرَبْدٍ ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَمِّ كَالرَّغْوَةِ ؛ يَصْرَبُ مِثْلًا لِلرَّجْلِ  
الصَّائِلِ الْمُقْتَعِمِ .

وَالْتِيَارُ : مَعْظَمُ الْحِجَّةِ ، وَالرَّادُّ بِهِ هَذَا السَّيْلُ وَالْهَشِيمُ : دَقَاقُ الْحَطَبِ .  
وَلَا يَحْمَلُ ، فَتَنْفَعُ حُرُوفُ الْمَصَارِعَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ ثَلَاثِي ، أَيْ لَا يَهَالِي .  
وَالْأَنْصَارُ اللَّامِحَةُ : الدَّائِرَةُ . وَتَشَاخَرُوا : تَضَايَعُوا ، كُلُّ مَسْأَلَةٍ يَرِيدُ إِلَّا بِفَوْتِهِ ذَلِكَ ،  
وَأَصْلُهُ الشَّخْخُ وَهُوَ الْبَعْلُ .

فَإِنْ قُلْتَ : هَذَا الْكَلَامُ يَرْجِعُ إِلَى الصَّعْبَةِ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُ فِي أَوَّلِ الْخَطْبَةِ !  
قُلْتَ : لَا ؛ وَإِنْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ عَدَمٌ ؛ بَلْ هُوَ إِمَّا شَارَةً إِلَى قَوْمٍ مَعْنَى بَأْتِي مِنَ الْحَلَفِ  
بَعْدَ السَّامِ ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى قَامَةِهُمْ قَدْ صَعِبَ الْمَسْكِرُ وَأَلْفَهُ ؛ وَهَذَا اللفظُ  
إِمَّا يُقَالُ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَوْحَدْ بَعْدَ ، كَمَا قَالَ فِي حَقِّ الْأَتْرَاكِ : « كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِمْ قَوْمًا كَانُوا  
وَجُوهَهُمْ الْحَمَانُ » ، وَكَأَنِّي فِي حَقِّ صَاحِبِ الرِّيحِ « كَأَنِّي بِهِ يَأْخُفُ قَدْ سَارَ فِي الْحَيْشِ » ،  
وَكَأَنِّي فِي الْخَطْبَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا آخِرًا . « كَأَنِّي بِهِ قَدْ أَمَقْتُ بِالشَّامِ » بِمَعْنَى بِهِ عَهْدُ الْمَلِكِ .  
وَحَوْشِي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ الصَّعْبَةَ ، لِأَنَّهُمْ مَا آثَرُوا الْعَاحِلَ ، وَلَا أَحْرُوا الْأَجَلَ ،  
وَلَا صَحَّحُوا الْمُسْكِرَ ، وَلَا أَقْبَلُوا كَالْتِيَارِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَاعَزِي ، وَلَا كَالنَّارِ لَا يَهَالِي مَا أَحْرَقَتْ ،  
وَلَا أَرْدَحُوا عَلَى الْخَطَامِ ، وَلَا تَشَاخَرُوا عَلَى الْحَرَامِ ، وَلَا حَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَلَا أَقْبَلُوا

إلى النار بأعمالهم ، ولا دعاء للرحمن فوئزاً ، ولا دعاء الشيطان فاستجابوا . وقد علم كل  
أحد حُسن سيرتهم ، وشدّاد طريقهم وإعراضهم عن الدنيا وقد ملكوها ، وزهدهم فيها  
وقد تمكّنوا منها ، ولولا قوله : « كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى قُلُوبِهِمْ » لم أعتقد أن معنى بذلك قوم آمن  
عليه اسم الصعابة وهو رديء الطريقة ، كالمغيرة بن شعبه وعمرو بن العاص ، ومروان بن  
الحكم ، ومعاوية ، وجماعة معدودة أحبوا الدنيا واستغنوا عن الشيطان ؛ وهم معدودون  
في كتب أصحابنا ومن اشتمل علوم السيرة والتواريخ عرفهم بأعيانهم .

(١٤٥)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَرَضٌ تَنْتَصِلُ فِيهِ الْمَنَابِ ؛ مَعَ كُلِّ جَرَّةٍ شَرَقٍ ؛ وَبِى كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٍ ؛ لَا تَتَّالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا بِعَمْرٍ مُعَمَّرٍ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرٌ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ ، إِلَّا بِتَفَادٍ مَاقَلَمَهَا مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ ، إِلَّا تَمَدَّدَ أَنْ يَحُلُقَ لَهُ جَدِيدٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُ مَاجِدَةٌ ، إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ مُرُوعِيهَا ، فَمَا بَقَا فَرِيعٌ نَعْمُ دَهَابٍ <sup>أَصْلُهُ</sup> !

\*\*\*

الشرح :

العَرَضُ : ما يَنْصَبُ أَيُّمَى ، وهو الهدف وتنتصِلُ فيه المنايا : تترامى فيه للشيء ، ومنه الاتصال بالكلام والشعر <sup>(١)</sup> ، كأنه يحمل المنايا أشخاصاً تَنُتَاضِلُ بالسهم ؛ من الناس مَنْ يَمُوتُ قَتْلًا ، ومِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ عَرَقًا ، أو بِنَرْدَى فِي نَرٍّ ، أو تَسْقُطُ عَلَيْهِ حَاضِطٌ ، أو بِمَوْتٍ عَلَى فَرَاشِهِ .

ثم قال : « مَعَ كُلِّ جَرَّةٍ شَرَقٍ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٍ » : بفتح العين ، مصدر قولك : غَصِصْتَ يَافِلَانٍ بِالطَّعَامِ ، وروى : « غَصَصَ » جمع غُصَّة ، وهي الشعاع ، وهذا مثل قول بعضهم : النعمة فيها مقرونة بالنعبة ، والنعمة مشفوعة بالنقمة .

(١) في ١ ، ب : « الشعر » ، و ما أتجه من د ، ج .

وقد بالغ بعض الشعراء في الشكوى ، فأتى بهذه الألفاظ ، لسكنه أسرف ، فقال :

حَفَلَى مِنَ الْبَيْشِ أَكُلُ كُلِّهِ فَفَصَحُ مَرَّةَ الْمَذَاقِ ، وَشَرِبُ كُلِّهِ شَرَقُ

ومراد أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه أن نعيم الدنيا لا يدوم ، فإذا أحسنت أَسَامَتَ ، وإذا أنعمت أنعمت .

ثم قال : « ولا يتألمون منها نعمة إلا يفراقوا أخرى » ، هذا معنى لطيف ، وذلك أن الإنسان لا ينهيها له أن يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها في وقت ، فحال ما يكون آكلًا لا يكون مجامعًا ، وحال ما يشرب لا يأكل ، وحال ما يركب للفنن والرياضة ، لا يكون جالسًا على فراش ، وثبر محمد ؛ وعلى هذا القياس لا يأخذ في شرب من ضروب الملاذ إلا وهو تارك لغيره منها .

ثم قال : « ولا يموت معتر منكم يوماً من كهره إلا يهدم آخر من أجله » ، وهذا أيضا لطيف ، لأن السرور يبقاه إلى يوم الأحد ثم يصل إليه إلا بعد أن قضى يوم السبت وقطعه ، ويوم السبت من أيام عمره ، فإذا قد عدم من عمره يوماً ، فيكون قد قرب إلى الموت ، لأنه قد قطع من المسافة جزءاً .

ثم قال : « ولا تجدد له ريادة في أكله إلا بفساد ما قبلها من رزقه » ، وهذا صحيح فإن فُسّرنا الرق بما وصل إلى البطن على أحد تسميات المتكلمين ، فإن الإنسان لا يأكل لقمة إلا وقد فرغ من اللقمة التي قبلها ، فهو إذاً لا يتجدد له ريادة في أكله إلا بفساد ما قبلها من رزقه .

ثم قال : « ولا يحيا له أثر ، إلا مات له أثر » ، وذلك أن الإنسان في الأعم الأغلب لا ينفش صيته ويشيع فضله إلا عند التيعوخة ، وكذلك لا تعرف أولاده وبصير لهم اسم في الدنيا إلا بعد كبره وعلو سنه ، فإذا ما حي له أثر إلا بعد أن مات له أثر ، وهو قوته ونشاطه وشهيته ، ومثله قوله : « ولا يتجدد له جديد ، إلا بعد أن يخلق له جديد » .

ثم قال : « ولا تقوم له ناجة إلا ونسقط منه محسودة » ؛ هذه إشارة إلى ذهاب الآباء عند حدوث أبنائهم في الأمم الأغلب ، ولهذا قال : « وقد مضت أصول نحن فروعها فبقا فرع بعد ذهاب أصله » ؛ وقد نظر الشعراء إلى هذا المعنى ، فقالوا فيه وأكثروا ؛ نحو قول الشاعر :

فإن أنت لم تصدقك نفسك فاعقب      لعلك تهديك للقرون الأولى<sup>(١)</sup>  
فإن لم نجد من دون عدنان والها      ودون معدٍ قلزجك المواذل  
وقال الشاعر :

فصدت آباءى إلى مرقى الثرى      مدعوتهم فصلت أن لم يسموا  
لا بد من تلفٍ مصيب فانتظر      أيا أرض قومك أم بأخرى تصرع  
وقد صرح أبو العتاهية بالمعنى ؛ فقال :  
كل حياة إلى عيبات      وكل ذي جدوة يحول  
كيف بقا الفروع يوماً      وقد دوت قسماً الأصول

• • •

الأصل :

منها :

وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة ؛ فانقروا البدع ، وألزموا التبع .  
إن عوازم الأمور أضلها ، وإن أحدثنا بها شرارها .

• • •

## البدعة :

البدعة : كل ما أحدث مما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمنها الحسن كصلاة التراويح ، ومنها القبيح كالنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافة العثمانية ؛ وإن كانت قد <sup>(١)</sup> نكّفت الأعداء عنها .

ومعنى قوله عليه السلام : « ما أحدثت بدعة إلا تركت بها سنة » ؛ أن من السنة ألا تحدث البدعة ، فوجود البدعة عدم السنة لاجتماعه .

والمهيّج : الطريق الواضح ، من قولهم : أرض هيمية ، أى مبسوطة واسعة ؛ والميم مفتوحة وهى زائدة .

وعوارم الأمور : ما تقدم منها ، من قولهم : يجوز عوزم أى مسنة ، قال الراجز :  
لقد غلبت حلق الشباب  
أجل عدلين من التراب <sup>(٢)</sup>  
إعوزم وحبية شباب  
فأكل ولا حس وآبى

ويعم « فاعل » على فواعل ، كدورق ، وهو جل ، ويجوز أن يكون « عوازم » جمع عازمة ، ويكون فاعل بمعنى مفعول ، أى معزوم عليها ، أى مقطوع معلوم بيقين صحتها ، ومعنى « فاعلة » بمعنى « مفعولة » كثير ، كقولهم : عيشة راضية بمعنى مرضية ، والأول أظهر عندي ، لأن فى مقابلته قوله : « وإن أحدثتها شرارها » ، والمحدث فى مقابلة القديم .

(٢) ساقط من أ .

(٢) اللسان ١٥ : ٢٩٥ ( عن القراء ) .

(١٤٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر في الشغوص لقتال الفرس

بنفسه :

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خُذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قِلَّةِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي  
أُظْهِرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى يَبْلُغَ مَا نَبَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُمَا <sup>(١)</sup> طَلَعَ؛ وَنَحْنُ عَلَى  
مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَنَايِرُ جُنْدِهِ؛ وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ  
النِّظَامِ مِنَ الْأَنْفَرِ، يَجْمَعُهُ وَيَصْنَعُهُ، فَإِنْ أَفْطَحَ <sup>(٢)</sup> النَّظَامَ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَحْتَسِبْ  
بِحَذَائِرِهِ أَبَدًا.

وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِإِلَاجِ تَجَارِعِ؛  
فَكُنْ قُطْبًا وَاسْتَقْدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ؛ وَأَصْلُهُمْ دُونَكَ فَاذْ أَلْعَرَبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَّصْتَ  
مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَفَقَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ  
مَاتَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَمْرٌ إِلَيْكَ يَمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ بَنْظَرُوا إِلَيْكَ خَدًّا يَحُولُوا؛ هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ؛ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ  
اسْتَرْحَتُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِيَكْلَبِهِمْ عَنْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوَائِمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ  
أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكُونُ؛ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ  
عَدَدِهِمْ؛ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ حَائِلٌ فِيهَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا حَائِلٌ بِالنَّصْرِ وَالْمُؤَنَةِ.

\*\*\*



## الشرح :

نظام العقد : الخيط الجامع له ، وتقول : أخذته كله بحذافيره ، أى بأصله ؛ وأصل الحذافير أعالي الشئ ونواحيه ؛ الواحد حذافير .

وأصليهم نار الحرب : أجمعهم صالين لما ، يقال : صليت اللحم وغيره أصليه صلياً ، مثل رميته أرميه رمية ، إذا شوقته ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله أتى بشاة مصنية<sup>(١)</sup> ، أى مشوية ويقال أيضاً : صليت الرجل ماراً إذا أدخلته النار وجعلته بصلاًها ، فإن أقيمته فيها إقاماً كأنك تريد الإحراق قلت : أصليته بالآلف ، وصليت نصيبة ، وقرئ : ﴿ وَيُصَلِّي سَمِيراً ﴾<sup>(٢)</sup> ومن حذف فهو من قولهم : صلى فلان بالنار - بالكسر - يصلي صلياً احترق ، قال الله تعالى : ﴿ هُمْ أُولَىٰ بِسِئَاسِ صَلَاتِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ويقال أيضاً : صلى فلان بالامر ؛ إذا قاسى حره وشدة ، قال الطهري رحمه الله

وَلَا تَبْلَىٰ لِسَانُهُمْ وَهِيَ هَمٌّ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينَئِذٍ<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا الوجه يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو محار من الإحراق ، والشئ للوضوح أي هذا المعنى حقيقة .

والدورات : الأحوال التي يخلف اختصاصها في ثمر أو حرب ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بَلْ بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> . والكلب : الشر والأذى .

\*\*\*

## [ يوم القادسية ]

واعلم أن هذا الكلام قد اختلف في الحل التي قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله له في

(١) النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٧٣ .

(٢) سورة الانشقاق ١٢ ، وهي قراءة المزمع وبن عاصم والكشائي . تفسير القرطبي ١٩ : ٢٧٠ .

(٣) سورة مريم ٧٠ .

(٤) لأبي النور الطهري ، ديوان الحاسة ، شرح المروقي : ١ : ٤١ .

(٥) سورة الأحراب ١٣ .

غزاة القادسية، وقيل في غزاة نهاوند. وإلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبري في "التاريخ الكبير". وإلى القول الأول ذهب للدائني في كتاب "الفتوح"؛ ونحن نشير إلى ما جرى في هاتين الوقتين إشارة خفيفة على مذهبنا في ذكر السير والأيام.

فأما وقعة القادسية فكانت في سنة أربع عشرة للهجرة؛ استشار عمر المسلمين في أمر القادسية، فأشار عليه علي بن أبي طالب - في رواية أبي الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني - ألا يخرج بنفسه، وقال: إنك إن تخرج لا يكن المعجم حمة إلا استنصاك، لهمم أنك قطب رحا للعرب، فلا يكون للإسلام بعدها دولة. وأشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه، فأخذ برأي علي عليه السلام.

وروى غير المدائني أن هذا الرأي أشار به عبد الرحمن بن عوف؛ قال أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري: لما بدا لعمر في المقام بعد أن كان حرام على الشيوخ بنفسه، أمر سعد ابن أبي وقاص على المسلمين، وبعث يزيد جرد رستم الأرمي أميراً على الفرس، فأرسل سعد القيساني من ممرن رسولاً إلى يزيد جرد، فدخل عليه، وكلمه بكلام غليظ، فقال يزيد جرد: لولا أن الراسل لا تقتل اقتلتك، ثم تحمله وقرأ من تراب على رأسه، وساقه حتى أخرجته من باب من أبواب المدائن، وقال: ارجع إلى صاحبك، فقد كتبت إلى رستم أن يدفعه وجنده من العرب في خندق القادسية؛ ثم لأشعلن العرب بعدها بأنفسهم، ولأصيبينهم بأشد مما أصابهم به سابور ذو الأكتاف. فرجع القيساني إلى سعد فأخبره، فقال: لا تخف، فإن الله قد ملكنا أرضهم تفاؤلاً بالتراب.

قال أبو جعفر: وتنبط رستم عن القتال وكرهه، وآثر المسالمة، واستعمله يزيد جرد مراراً، واستحثه على الحرب، وهو بدافعها، ويرى الطارقة. وكان عسكره مائة وعشرين ألفاً

وكان حسكر سعد بضعاً وثلاثين ألفاً ، وأقام رسمٌ يريد من الرجال ، الواحد منهم إلى جانب الآخر ؛ من القادسية إلى المدائن ، كلما تكلم رسم كلمة أذاها بعضهم إلى بعض ، حتى اتصل إلى سمع بزدجرد في وقتها ، وشهد وقعة القادسية مع المسلمين طليحة بن حويلد ، وعمر بن سعد بن بكر ، والشاخ بن ضرار ، وعبد بن الطيب الشاعر ، وأوس بن معن الشاعر ، وقاموا في الناس يُنشدونهم الشعر ويحرضونهم ، وقرن أهل فارس أنفسهم بالسلاسل لثلاث يهربوا ، فكان المقتلون منهم نحو ثلاثين ألفاً ، والنعم العريقان في اليوم الأول ، فحلت الفيلة التي مع رسم على الخيل فطعننها ، وثبت لها جمع من الرحالة ، وكانت ثلاثة وثلاثين فيلاً ، منها فيل الملك ، وكان أبيض عظيم ، فضربت الرحال حر أطم الفيلة بالسيوف فقطعتها ، وارتفع عواؤها ، وأصيب في هذا اليوم - وهو اليوم الأول - خمسمائة من المسلمين ، وألفان من الفرس . ووصل في الثاني أبو عبيدة بن الجراح من الشام في عسكر من المسلمين ؛ فكان مدداً لغيره ؛ وكان هذا اليوم على الفرس أشد من اليوم الأول ، قتال من المسلمين ألفان ، ومن الأشركين عشرة آلاف . وأصبغوا في اليوم الثالث على القتال ، وكان عظيمًا على العرب والمسلم معاً ، وصبر الفريقان ، وقامت الحرب ذلك اليوم : وتلك الليلة جماء لا ينطقون ، كلاهم الحرير ، فسميت ليلة الحرير .

واقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورسم ، واقطعت سعد إلى الصلاة والدعاء . واليهكاه ، وأصبح الناس حشرى لم يعضوا لياتهم كلها ، والحرب قائمة بعد إلى وقت الظهر ، فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً في اليوم الرابع ، أمالت المبار والنقع على السهم ، فانكسروا ، ووصلت العرب إلى سرير رسم ، وقد قام معه ليركب جلاً ، وعلى رأسه العلم ، فضرب هلال بن عاقبة الحقل الذي رسم فوقه ، فقطع حباله ، ووضع على هلال أحد العدائين ، فأزال تقار ظهره ، ووضع رسم نحو الديقيق ، فرمى نفسه فيه ، واقطع هلال عليه ، فأخذ

برجله ، وخرج به يجره حتى اتاه تحت أرجل الخيل ، وقد قتله وصعد السرير ، فنادى :  
أنا هلال ، أنا قاتل رستم ، فنهزت الفرس ، ونهافتوا<sup>(١)</sup> في الحقيق ، فقتل منهم نحو ثلاثين  
ألفاً ، ونهبت أموالهم وأسلامهم ؛ وكانت عزيمة جداً ، وأخذت العرب منهم كافوراً  
كثيراً ، فلم يعثوا به ، لأنهم لم يعرفوه ، وباهوه من قوم بملح ، كيلاً بكيل ، وسرّوا بذلك  
وقالوا : أخذنا منهم ملعاً طيباً ، ودفعنا إليهم ملعاً غير طيب ، وأصابوا من الجلمات  
من الذهب والفضة ما لا يقع عليه العدّ أكثرته ؛ فكان الرجل منهم يعرض جامئ من  
ذهب مل صاحبه ، ليأخذ منه جاماً واحداً من فضة يعجبه بياضها ويقول : من يأخذ  
صقراوين يبيضاء !

وبعث سعد بالأخال والمغانم إلى عمر ، فكتب إلى سعد : لا تتبع الفرس ، وقف  
مكانك واتخذ منزلاً . فنزل موضع الكوفة اليوم واخط مسجداً ، وبني فيها  
الخلع للعرب<sup>(٢)</sup> .

### [ يوم نهاوند ]

فأما وقعة نهاوند ، فإن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ذكر في كتاب التاريخ<sup>(٣)</sup> : أن  
عمر لما أراد أن يفز للمعجم وحيوش كسرى وهي محجمة نهاوند ، استشار الصعابة ،  
فقام عثمان فتشبه ، فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسبوا  
من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسبوا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين  
إلى المصيرين : البصرة والكوفة ، فتأق جمع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت

(١) تاريخ الطبري ( حوادث سنة ١٤ ) .

(٢) تهافت على الشيء : تساقط وتتابع ؛ وأكدر استعماله في الشعر .

(٣) تاريخه ( حوادث سنة ٢١ ) .

بمن معك ومن عندك ، قل لي نفسك ما تكلم من عند القوم ، وكنت أحرص من  
وأكثر ؛ إنك لا تفتني من نفسك بعد اليوم <sup>(١)</sup> باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعزير ،  
ولا تكون منها في حوز حريز . إن هذا اليوم ما بعده ، فاشهد بنفسك ورأيك وأحوالك ،  
ولا تجلب عنه .

قال أبو جعفر : وقام طلحة ، قتل : أما بعد يا أمير المؤمنين ؛ فقد أحضرتك الأمور ،  
ومجئتك البلايا ، وحضرتك <sup>(٢)</sup> التجارب ، وأنت وشأنك ، وأنت ورأيك ، لا شيوقي  
يديك ، ولا تسكن أمرنا إلا إليك ، فأمرنا نجيب ، وأمرنا نطيع ، وأمرنا نركب ، وقدنا  
نفذ ، فإنك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت واختبرت ، فلم ينكشف شيء من  
خواب الأمور لك إلا من خيار .

قال علي بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه  
بكثرة ولا قلته ، إنما هو دين الله الذي أظهره ، وجنده الذي أمره وأمدته بالملائكة ،  
حق بلغ ما بلغ ، فمن علي موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، وإن  
مكانك منهم مكان النظام من الخرز ، يحمله ويمسكه ، فإن انحلت فترق ما فيه وذهب ،  
ثم لم يجمع عذافيره أبدا ؛ والعرب اليوم وإن كانوا قليلا ، فإنهم كثير عزير بالإسلام ؛  
أثم مكانك ، وأكتب إلى أهل الكوفة ، فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، ولي شخص  
منهم لثلاثين ، ولهم الثلث ، وأكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عدم ،  
ولا تشخص الشام ولا اليمن ، إراك إن أشخصت أهل الشام من شامهم ، سارت الروم إلى  
ذراتهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة إلى ذراتهم ، ومتى  
شخصت من هذه الأرض اشخصت عليك العرب من أقطارها وأطرافها ، حتى يكون  
ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من المورات والمهالات . إن الأحاجم إن ينظروا

(١) الطبري : « العرب »

(٢) الطبري : « واحتكك » .

إليك غداً قالوا : هذا أمير العرب وأصلهم ؛ فكان ذلك أشدَّ لَكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ . وأما ما ذكرت من مسير القوم ، فإن الله هو أكره ليرحم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ؛ وأما ما ذكرت من عدم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالصبر والنصر .

قال عمر : أجل ! هذا الرأي ، وقد كنت أحب أن أتابع عليه ، فأشيروا على رجل أوليه ذلك الأمر . قالوا : أنت أفضل رأياً ، فقال : أشيروا على به ، واجعلوه عاقباً قالوا : أنت أعلم بأهل العراق ، وقد وفدوا عليك ، فرأيتهم وكلمتهم . قال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً يكون غداً لأوّل الأئمة ، قيل : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن ، قالوا : هو لها .

وكان النعمان يومئذ بالبصرة ، فكتب إليه عمر ، فوله أمر الجيش . قال أبو جعفر : كتب إليه عمر : <sup>سير إلى نهاوند</sup> ، فقد ولّيتك حرب الفروزان . وكان القدام على جيوش كسرى . فإن حدث بك حدث فعل الناس حذيفة بن اليمان ، فإن حدث به حدث فعل الناس نعم بن مقرن ، فإن فتح الله عليكم فاقسم على الناس ما آفاه الله عليهم ، ولا ترفع إلى منه شيئاً ، وإن نكت القوم فلا ترائى ولا أراك ؛ وقد جعلت معك طليعة بن خويلد ، وعمرو بن معد بكرب ، لملهما بالحرب ، فاستشرهما ولا تولهما شيئاً .

قال أبو جعفر : فسار النعمان بالعرب حتى ولى نهاوند ، وذلك في السنة السابعة من خلافة عمر ، وتراءى الجمعان ، ونشب القتال ، وحجّزهم للسطون في حنادقهم ، واحتصموا بالحصون والمدن ، وشق على المسلمين ذلك ، فأشار طليعة عليه ، فقال : أرى أن تبعث خيلاً ببعض القوم وتمحشهم <sup>(١)</sup> ، فإذا استعششوا خرج معهم ، واخطبوا بك

(١) تمحشهم : تهيجهم .

فاستطردوا لهم ، فلأنهم يطمعون بذلك ، ثم نطف عليهم حتى يقضي الله بيننا وبينهم بما يحب .

فقتل النعمان ذلك ، فكان كما أعلن طلبه ، وانقطع المعجم عن حصونهم بعض الاقطاع ؛ فلما استنوا في الانكشاف للمسلمين قتل النعمان بالناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون مثله ، وزلزل النعمان فرسه فصريع وأصيب ، وتناول الراية نعيم أحوه ، فأنى حذيفة لما قدفعها إليه ، وكتم للمسلمون مصاب أمرهم ، واقتتلوا حتى أظلم الليل ، ورجعوا واللمون وراءهم ، فمسي عليهم قصدهم فزكوه ، وخشيم للمسلمون بالسيوف ؛ فقتلوا منهم ما لا يحصى ، وأدرك للمسلمون الفيروزان وهو هارب ، وقد انتهى إلى ثنية مشعونة <sup>(١)</sup> بهال موقرة حلا ، فغلبه على أجله ، فقتل ، فقال للمسلمون : إن لله جنودا من حل .

ودخل المسلمون نهاوند فاحتروا على ما فيها ، وكانت أخل هذا اليوم عظيمة ، فحملت إلى عمر ، فلما رآها بكى ، فقال للمسلمون : إن هذا اليوم يوم سرور وجذل ، فما بكاؤك ؟ قال : ما أعلن أن الله تعالى روى <sup>(٢)</sup> هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر إلا غدير أراده بها ، ولا أراه فتعه على إلا لشر أريد بي ، إن هذا للال لا يلبث أن يفتن الناس .

ثم رفع يده إلى السماء يدعو ويقول : اللهم اعصني ولا تكلني إلى نفسي ؛ يقولها صهرا ؛ ثم قسمه بين المسلمين من آخره .

(١) يقال : شعن للدينة بالحبل أو البغال ؛ إذا ملأها .

(١٤٧)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام .

فَبَشِّرْ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ؛ اِيُخْرِجْ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ  
إِلَى عِبَادَتِهِ ؛ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، يَقْرَأُ آيَةَ قَدْ بَيَّنَّهٗ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ  
رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيَقْرَءُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَعَدُوهُ ، وَلِيُنْذِرُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ ، فَتَجَلَّى  
لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ  
سَطْوَتِهِ . وَكَيْفَ تَحَقَّقَ مَنْ تَحَقَّقَ بِالْمَثَلَاتِ ، وَأَحْتَصَرَ مَنْ أَحْتَصَرَ بِاللِّفْمَاتِ !

•••

الشرح :

الأوثان : جمع وثن ؛ وهو الصنم ، وجمع أيضا على وثن ، مثل أسد وآساد وأسد ؛  
وسمى وثنًا لانتصابه وبقائه على حال واحدة ، من قولك : وثن فلان بالمكان ؛ فهو وثن ؛  
وهو الثابت الدائم .

قوله : « فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ » ، أى ظهر من غير أن يُرَى بالبصر ، بل بما نبههم عليه  
في القرآن من قصص الأولين ، وما حل بهم من النقمة عند مخالفة الرسل .

والمثلات ، بضم التاء : المقولات .

فإن قلت : ظاهر هذا الكلام أن الرسول عليه الصلاة والسلام بُشِّرَ إِلَى النَّاسِ  
لِيَقْرَءُوا بِالصَّانِعِ وَيُثْبِتُوهُ ؛ وهذا خلاف قول المنزلة ، لأن فائدة الرسالة عندهم هي إلطاف



المكلفين بالأحكام الشرعية للقرابة إلى الواجبات العقلية ، والمبعدة من المفهومات العقلية ، ولا مدخل للرسول في معرفة الباري سبحانه ، لأن الخلق يُوجبها ، وإن لم يبعث الرسل ! قلت : إن كثيرا من شيوخنا أوجبوا سنة الرسل ؛ إذا كان في حشهم المكلفين على ما في العقول فائدة ؛ وهو مذهب شيخنا أبي علي رحمه الله ، فلا يمتنع أن يكون إرسال محمد صلى الله عليه وآله إلى العرب وغيرهم ، لأن الله تعالى علم أنهم مع تفتيته إياهم على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة أقرب إلى حصول المعرفة ؛ حينئذ يكون بمنه لطفًا ، ويستقيم كلام أمير المؤمنين .

...



الأصل :

وإنه سيأتي عليكم من بملدي زمان ليس فيه شيء أحق من التلق ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ؛ وليس عند أهل ذلك الزمان سيلة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أفق منه إذا حُرِّفَ عن مواضعه ، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ، ولا أعرف من النكر ، فقد نبذ الكتاب حمله ، وتناساه حفظه ؛ فالكتاب بوته وأهله طريدان متفيان ، وصاحبان مضطحيان ، في طريق واحد لا يؤويهما مؤوي ؛ فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم ، ومعهم وليس معهم ؛ لأن الصلاة لا توافق الهدى وإن اجتمعا .

فاجتمع القوم على الفرقة ، وافترقوا عن الجماعة ؛ كأنهم أئمة الكتاب ؛ وليس الكتاب إمامهم ، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه ، ولا يعرفون إلا خطه وذبره ، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله ، وسموا صدقهم على الله فريضة وجعلوا

فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةُ السَّيِّئَةِ ؛ وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَسْلَكُمْ طُولَ آمَالِهِمْ ، وَنَعِيبُ  
آجَالِهِمْ ؛ حَتَّى تَزَالَ بِهِمُ الْوُغُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ  
مَعَهُ الْفَارِقَةُ وَالنَّقْمَةُ .

\*\*\*

## الْبُزْرُ :

أخبر عليه السلام أنه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا وكذا ؛ وقد رأيناه ورآه  
مَنْ كَانَ قَبْلَنَا أَيْضًا ؛ قَالَ شُعْبَةُ إِمَامُ الْحَدِيثَيْنِ : تِسْعَةُ أَصْحَارِ الْحَدِيثِ كَذِبٌ . وَقَالَ الدَّارِقُطْنِي :  
مَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوَرِ الْأَسْوَدِ . وَأَمَّا غَلَبَةُ  
الْهَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَخْفَى الْحَقُّ عَنْهُ ، مَظَاهِيرُهُ  
وَأَثُورُ : أَصْدُ ، مِنْ بَارِ الشَّيْءِ ، أَيْ هَلَكَ ، وَفُلْسُفَةُ : النَّفَاعُ ، وَنَبَذَ الْكِتَابَ : أَلْقَاهُ  
وَلَا يُؤْوِيهِمَا : لَا يَصْنَعُ إِلَيْهِ ، وَيَبْزُلُهُمَا عَنْهُمْ ،  
وَالزُّبُرُ : مَصْدَرُ زَبَرْتُ أَرْبُرُ بِالضَّمِّ ، أَيْ كَتَبْتُ ، وَحَاءُ يَزِيرُ بِالْكَسْرِ ، وَالزُّبُرُ  
بِالْكَسْرِ : الْكِتَابُ وَجَمْعُهُ زُبُورٌ ؛ مِثْلُ يَقْدُرُ وَقُدُورُ ، وَقَرَأَ أَصْمَعُ : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ  
زَبُورًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، أَيْ كَتَبْنَا . وَالزُّبُورُ ، فَتَحُ الرُّضَايُ : الْكِتَابُ الْمَزْبُورُ ، فَعُولٌ مَعْنَى مَفْعُولٌ ؛  
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَنَا أَعْرِفُ يَزِيرُوتِي <sup>(٢)</sup> أَيْ خَطِي وَكَتَابِي .  
وَمَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ ، بِالتَّعْظِيفِ : نَكَلُوا بِهِمْ ، مَثَلْتُ بِفُلَانٍ أَمَثُلُ بِالضَّمِّ مَثَلًا بِالْفَتْحِ  
وَسَكُونِ التَّاءِ ، وَالْأَسْمُ الْمَثَلَةُ بِالضَّمِّ ؛ وَمَنْ رَوَى « مَثَلُوا » بِالتَّشْدِيدِ ؛ أَرَادَ جَدَّعُوهُمْ  
مَدَّ قَتْلَهُمْ .

« وَعَلَى » فِي قَوْلِهِ : « وَسَمِعُوا صَدَقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً » ، لَيْسَتْ مُتَعَلِّقَةٌ بِصَدَقَهُمْ ، بَلْ بِفَرِيَةٍ ،

(١) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ . ٥٥ .

(٢) الصَّحَاحُ ٧ : ٦٦٧ .

أى وسموا صدقهم غربة على الله ؛ فإن امتنع أن يتعلق حرف الجرّ به لتقدمه عليه ، وهو مصدر ، فليكن متعلقاً بفعل مقدر دلّ عليه هذا المصدر للظاهر وروى : « وجعلوا إلى الحسنه المعقوبة السيئة » والرواية الأولى بالإضافة أكثر وأحسن .

والموعود هاهنا : الموت . والقارعة : المصيبة تفرّع ، أى تلقى شدة وقوة .

\*\*\*

### الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَمْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ ؛ وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى فَاتَى هِيَ أَقْوَمُ ، فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِينَ ، وَعَدُوُّهُ حَائِفٌ .

وإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ أَقْبَرِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ؛ فَإِنْ رَفَعَهُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مَا عَظَمْتَهُ أَنْ يَتَوَاصَّوْا لَهُ ، وَلَسَلَامَةُ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مَا قَدَّرْتَهُ أَنْ يَتَسَلَّمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنْ أَلْحَقٍ يَفَارِ الصَّحِيعِ مِنَ الْأَجْرِبِ ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّيِّئِ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ارْتِشَادَ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكُّهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي خَصَّهُ ، وَلَنْ تَتَمَسَّكُوا بِهِ حَقِّ تَعْرِفُوا الَّذِي تَبَذَّه . فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ أَهْلِ ؛ فَبَيْنَهُمْ مَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ؛ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنَاطِقِهِمْ ؛ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَافُونَ الَّذِينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

\*\*\*

### الشرح :

من استمصح الله : من أطاع أوامره وعلم أنه يهديه إلى مصالحه ، ويردّه عن مفسده ويرشده إلى ما فيه نجاته ، وبصره عما فيه عظمه .

والتي هي أقوم : بمعنى الحلة والخلة التي أتباعها أقوم ؛ وهذا من الألفاظ القرآنية ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ <sup>(١)</sup> . والمراد بتلك الحلة المعرفة بالله وتوحيده ووعده .

ثم سبى عليه السلام عن التكبر والتعظم وقال : إن رفعة القوم الذين يعرفون عظمة الله أن يتواضعوا له . وما عايناه ، بمعنى أى شيء ، ومن روى بالنصب جعلها زائدة . وقد ورد في ذم التعظم والتكبر ما يطول استقصاؤه ؛ وهو مذموم على العباد ، فكيف بمن يتمتع على الخلق سبحانه وإياه لمن الهالكين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما افتخر : « أبا سيد ولد آدم » ، ثم قال : « ولا فخر » ، فجهر بلفظة الافتخار ، ثم أسقط استعالة الكبر ؛ وإنما جهر بما جهر به ؛ لأنه أوسع مقام شكر النعمة والتحدث بها ، وفي الحديث المرفوع عنه صلى الله عليه وآله : « إن الله قد أذهب عنكم حجة الجاهلية وفخرها بالآباء ؛ الناس بنو آدم ، وآدم من تراب ؛ مؤمن نقي ، وفاجر شقي . لينسبين أقوام يفتخرون برجال ، إنما هم غم من غم حنم ، أو يكونن أهون على الله من جملان تدفع الثمن بأفها » . قوله : « واعلموا أنكم لن تدفروا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه » ، فيه تنبيه على أنه يجب البراءة من أهل الضلال ؛ وهو قول أصحابنا جيمهم ، فإنهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد والعزل - وهم الأكثرون - أو معشوق ، وهم الأقلون ؛ وليس أحد منهم معذورا عند أصحابنا وإن ضل بعد النظر ، كما لا نمنر اليهود والنصارى إذا ضلوا بعد النظر . ثم قال عليه السلام : « فالتمسوا ذلك عند أهله » ، هذا كناية عنه عليه السلام ؛ وكثيرا ما يسلك هذا المسلك ، ويعرض هذا التعريض ؛ وهو الصادق الأمين العارف بأسرار الإلهية .

ثم ذكر أن هؤلاء الذين أمرَ باتِّباعهم بنبي . حكمهم عن علمهم ، وذلك لأن الامتحان يظهر خبيثة الإنسان .

ثم قال : « وصمتهم عن نطقهم » ، صمت المعارف أبلغ من نطق غيره ؛ ولا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتا .

ثم ذكر أنهم لا يخالفون الله في لأهم قوامه وأرنامه ؛ ولا يختلفون فيه ، لأن الحق في التوحيد والمعدل واحد ، فالذين بينهم شاهد صادق بأحدون محكمه ؛ كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق .

وصامت بامتناع ؛ لأنه لا ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم ؛ هو صامت في الصورة ، وهو في المسمى أنطق بالناطقين ، لأن الأوامر وسوامي والآداب كلها مبنية عليه ، ومتفرعة عليه .

(١٤٨)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَبْطِئُهُ هَتَمُهُ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمْتَدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ صَبٍّ لِصَاحِبِهِ؛ وَهَذَا قَبِيلٌ يَكْشِفُ فِتْنَاهُ بِهِ. وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَهْتَفَرُوا عَنْ هَذَا قَسَ هَذَا؛ وَلَتَأْتِيَنَّ هَذَا قَلْبَ هَذَا.

قَدْ قَامَتِ الْمَنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَابْنُ الْحَنَسِيَّوْنَ ! قَدْ سُتَّ لَهُمُ الشَّنُّ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَلْبُ؛ وَلِكُلِّ ضَوْءٍ حِلَّةٌ، وَلِكُلِّ مَا كَثُرَتْ شُبُهَةٌ.

وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمَنْ تَرَى الْقَدَمَ، يَتَعُ النَّاعِي؛ وَيَحْضُرُ الْبَاكِي، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُ.

...

الشرح:

ضمير التثنية راجع إلى طائفة وزرير رضى الله عنهما. ويمتنان: يتوسلان؛ الماضي ثلاثي؛ مَتَّ يَمْتُ بالصم. والضَّبُّ: الخقد والحسبون: طالبو الحسبة؛ وهى الأجر. ومستمع القدم كناية عن الضمير؛ تسمع وقع الحمر بباب حصرها من يد الصائد فتخطل وتسكف

جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها ؛ يقول : لا أكون مقراً بالضم رافضاً<sup>(١)</sup> ؛  
أسمع الناصي المخير عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه ، فلا يكون عندي من  
التنكير والإنكار قلبك ؛ إلا أن أسمه وأحضر الباكين على قتلام .

وقوله : « لكل ضلة علة ، ولكل ناكث شبهة » هو جواب سؤال مقدر ، كأنه  
يقول : إن قيل : لأي سبب خرج هؤلاء ؟ فإنه لا بد أن يكون لهم تأويل في خروجهم ؛  
وقد قيل : إنهم يطالبون بدم عثمان ؛ فهو عليه السلام قال : كل ضلالة فلا بد لها من علة  
افتضتها ، وكل ناكث فلا بد له من شبهة يستند إليها .

وقوله : « ليهتزعن هذا نفس هذا » قول صحيح لا ريب فيه ، لأن الرئاسة  
لا يمكن أن يدبرها اثنان معا ، فلو صح لما ما أراداه لوثب أحدهما على الآخر فقتله ؛  
فإن الملك عقيم ؛ وقد ذكر أرباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب ،  
فإنهما اختلفا في الصلاة ، فأقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ؛ يصلي هذا  
يوماً ، وهذا يوماً ، إلى أن تنقضى الحرب .

ثم إن عبد الله بن الزبير ادعى أن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار ، واحتج في  
ذلك بأنه استخلفه على الصلاة ، واحتج تارة أخرى بدم صريح زعمه وأدعاه ، وطلب  
طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالإمرة ، وأدلى إليها بالتيمة ، وأدلى الزبير إليها  
بأسماء أختها ، فأمرت الناس أن يسلموا عليهما معا بالإمرة .

واختلفا في تولي القتال ، فطلبه كل منهما أولاً ، ثم نكّل كل منهما عنه  
وتفادى<sup>(٢)</sup> منه .

وقد ذكرنا في الأجزاء للتقدمة قطعة سالحة من أخبار الجمل .

(١) يقال : رغب إليه ، إذا أسمى . (٢) تفادى منه : تخلى عنه .

## [ من أخبار يوم الجمل ]

وروى أبو مخنف ، قال : لما تراخى الناس يوم الجمل والتقوا ، قال على عليه السلام لأصحابه : لا يرمين رجل منكم بسهم ، ولا يطمعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث إليكم ؛ وحتى يبدوكم بالقتال والقتل . فرى أصحاب الجمل عسكر على عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً ، فضج إليه أصحابه ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجىء برجل إليه ، وإنه لى فسقاط له صفيح ، فقيل له : هذا فلان قد قتل . فقال : اللهم اشهد ، ثم قال : أعذروا إلى القوم ، فأتى برجل آخر قتل : وهذا قد قتل : فقال : اللهم اشهد ، أعذروا إلى القوم ، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، بحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي على عليه السلام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا أخى قد قتل ؛ فمد ذلك استرجع على عليه السلام ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفصول قلبها ، فدخلت بطنه فرفضها بيده ، وقال لبعض أهله ، اغزم وسطه بعامة ، وتغلذ ذا العقار ، ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء ، وتعرف بالمعقاب ، وقال لحسن وحسين عليهما السلام : إنما دفعت الراية إلى أخيكما وتركتهما لكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

قال أبو مخنف : وطاف على عليه السلام على أصحابه ، وهو يقرأ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْجُومُ الْأَسْمَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَذَكَرُوا حَتَّى جَاءَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَتَى تَصْرُوهَا إِنْ تَصْرُوهَا قَرِيبٌ ﴾ (١) .



ثم قال : أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأمرنا لنا ولحكم النصر ، وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر . ثم رفع مصحفاً بيده ، فقال : مَنْ يأخذ هذا المصحف ، فيدعوهم إلى ما فيه ، وله الجنة ؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم ، عليه قباء أبيض ، فقال : أنا آخذه ، فنظر إليه عليّ وقال : يا فتى ، إن أخذته ، فإن يدك اليمنى تقطع ، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ، ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال : لا صبر لي على ذلك ، فتأدى عليّ ثابته ، فقام الغلام ، وأعاد عليه القول ، وأعاد الغلام القول مراراً ؛ حتى قال الغلام : أنا آخذه ؛ وهذا الذي ذكرت في الله قاتل ، فأخذه وأطلق ، فلما خالطهم ناداهم : هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فضربه رجل فقطع يده اليمنى ، فتناوله باليسرى فصره أخرى فقطع اليسرى ، فاحتضنه فضربوه بأسيا فمهم ، حتى قتل فقالت أم ذريح المبدية في ذلك <sup>(١)</sup> :

يارب إن مسلماً أتاهم <sup>(٢)</sup> / كمصحف أرسله مولاهم  
للمدل والإيعاز قد دعاهم <sup>(٣)</sup> / بتلو كتاب الله لا يحشاهم  
لخصبوا من دمه طلباهم <sup>(٤)</sup> / وأمههم واقفة ترآهم <sup>(٥)</sup>  
• تأمرهم بالعمى لا تنهاهم <sup>(٦)</sup> •

قال أبو مخنف : فعند ذلك أمر علي عليه السلام ولده محمد أن يحمل الراية ، فحمل وحمل معه الناس ، واستعمر القتل في العربيتين وقامت الحرب على ساق .

• • •

(١) الأسماء والحمر في تاريخ الطبري ( حوادث سنة ٣٦ ) مع الخلاف في الرواية و ترتيب الأسماء .  
(٢) الطبري : « لاهم إلى مسلماً دعاهم » .  
(٣) الطبري : « قد حضبت من عنق لاهم » .  
(٤) الطبري : « وأمههم واقفة » .  
(٥) الطبري : « يأثمرون العمى » .

## [ مقتل طلحة والزبير ]

قال : فأما طلحة ، فإن أهل الجبل لما انضموا قتل مهوان : لا أطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم ! فأتى له بسهم فأصاب ساقه ، فقطع أكماله<sup>(١)</sup> ، فجعل الدم يفيض<sup>(٢)</sup> ، فاستدعى ابن مولى له بقة ، فركبها وأدير ، وقال لمولاه : ومعك أمان مكان أقدركه على النزول ، فقد قتلني الدم ! فيقول له مولاه : انج ، وألا لحقت القوم ، فقال : بالله<sup>(٣)</sup> مارأيت مصرع شيخ أصبح من مصرعي هذا ! حتى انتهى إلى دار من دور البصرة ، فترضا ومات بها .

وقد روى أنه رأى قبل أن يرميه مروان ، وجرح في غير موضع من جسده .

وروى أبو الحسن اللدائي أن عليا عليه السلام مر بطلحة ، وهو يكيد<sup>(٤)</sup> نفسه ، فوقف عليه وقال : أما والله إن كنت لأبض أن أراك مصرعين في البلاد ، ولكن ما حتم واقع ، ثم تمثل :

وما يدري إذا أزمعت أمراً      بأي الأرض يدركك القيل<sup>(٥)</sup>

وما يدري الفقير متى غناه      ولا يدري الفتي متى يعيل<sup>(٦)</sup>

(١) الأكل : عرف في القراع .

(٢) يفيض : يسيل قليلا قليلا .

(٣) بالله : ج د : د تاقه .

(٤) يكيد : هو يكيد نفسه ، أي يجهود بها ! وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على سعد ابن معاذ ، وهو يكيد نفسه ، فقال : « هذا أقمس سيد قوم ، فقد صدقت الله ما وعدته ، وهو صادق ما وعدك » .

(٥) من آيات في القرآن ( عيل ) ونسبها إلى أحيحة ؛ والبيت الأول في الأغانى ٢١ : ١٠٦ ( من غير نسبة ) .

(٦) يعيل : يختار .

وما تدري إذا أتعت شولا<sup>(١)</sup> أنتج بعد ذلك أم تحيل<sup>(٢)</sup>

• • •

وأما الزبير فقتله ابن جرموز غيلة بوادي السباع، وهو منصرف عن الحرب، نادى على مفرط منه؛ وتقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق.

وروى السكلي، قال: كان العرق الذي أصاب السهم إذا أمسكه طلعة بيده استمسك، وإذا رفع بيده منه سال، فقال طلعة: هذا سهم أرسله الله تعالى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً؛ ما رأيت كالهم دم قرش أضيع!

قال: وكان الحسن البصري إذا سمع هذا وحكى له، يقول: ذُقْ عَقَق<sup>(٣)</sup>! وروى أبو مخنف، عن عبد الله بن عون، عن نافع، قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: أما قتلت طلعة.

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي أخبرني أنه رمى طلعة فقتله، ما تركت تيمناً إلا قتله نيمان قال: بنى ابن محمد بن أبي بكر وطلعة قتلاه، وكما تيمنين.

قال أبو مخنف: وحدثنا عبد الرحمن بن حنظل، عن أبيه جندب بن عبد الله، قال: مررت بطلعة، وإن معي عصاية يقاتل بهم، وقد فشت فيهم الجراح، وكثرهم الناس، فرأيت حريصاً، والسيوف في يده، وأصحابه يتصدعون<sup>(٤)</sup> عنه رجلاً رجلاً، واثنين فائتين؛ وأنا أسمعه، وهو يقول: عباد الله، الصبر الصبر؛ فإن بعد الصبر النصر والأجر؛

(١) الشول من النوق: التي حن لها ولرغم صرعها، وآتى عليها صبة أشهر من يوم تساجوا، فلم يبق من ضرعوها إلا شول من القذ أو حنة.

(٢) تحيل: لم تفلح.

(٣) العقق، كشط: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب، وجناحه أكبر من جناح الحمامة، والعرب تضربه به الثقل ذبلاً لا يحمي.

(٤) يتصدعون: يترقبون، ويذعنون.

قلت له : النجاء النجاء ! شكيتك أمك أفوانه ما أجرت ولا نصرت ؛ ولكنك وزرت وخسرت ؛ ثم صيحت بأصحابه ، فأنذروا عنه ، ولو شئت أن أطعمه لطعمته ، قلت له : أما والله لو شئت لجذلتك في هذا الصيد<sup>(١)</sup> ، قال : والله لم لك هلاك الدنيا والآخرة إذن ! قلت له : والله لقد أسيت وإن دمك لحلال ، وإنك لمن النادمين . فأنصرف ومعه ثلاثة نفر ، وما أدرى كيف كان أمره إلا أني أعلم أنه قد هلك .

وروى أن طلعة قال ذلك اليوم : ما كنت أعلن أن هذه الآية زلت فينا : ﴿ وَأَقْنُوا قِذَّةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وروى اللدائقي ، قال : لما أدير طلعة وهو جريح يرتاد مكانا ينزله<sup>(٣)</sup> ، جعل يقول لمن يمر به من أصحاب علي عليه السلام : أنا طلعة ، من يهزني أكررها . قال : فكان الحسن البصري إذا ذكر ذلك يقول : لقد كان في جوار هريص .

(١) الصيد : القرب .  
(٢) سورة الأعراف ٧٥ .  
(٣) ب : « يرتاد منزله » .

(١٤٩)

## الأجل

ومن كلام له عليه السلام قبل موته :

أيها الناس ، كل امرئ لآلئ ما يفر منه في فراره . الأجل مساق النفس والهرب منه موافاته .

كم أطردت الأبيام أجنحتها عن مسكنون هذا الأمر ، فأبى الله إلا إخفاءه . هيئات علم مخزون .

أما وصيتي ، فاقه لا تشركوا الله شيئا ، وكنتم على الله عتية وسلم فلا تضيموا سنته ، أقيموا هذين المودين ، واؤفدوا هذين المصباحين ، وحلاكم ذم ما لم تشردوا . حل كل امرئ منكم تحوده ، وخفف عن الجهلة . رب رحيم ، ودين قويم ، ولإمام عليهم .

أما بالأنس صاحبكم ، وأما اليوم عتبة لكم ، وغدا مفارقكم . اغفر الله لي ولكم إن ثبتت الوطأة في هذه الآلة فذاك ، وإن تدحض القدم ، فإنما كنا في أفياء أغصان ، ومهب رياح ، وتحت طين غمام . اضمحل في الجوى متلفها ، وعفا في الأرض تحطها .

وأما كنت جارا جاوركم بذي أبيام ، وستغيبون مني جنة خلا ، ساكنة بعد حرالك ، وصائمة بعد نطق . لييطاكم هذوني ، وخفوت أطرافي ، وسكون أطراي ؛ فإنه أوغظ المقربين من المنطق البليخ ، والقول المسجوع .

وَدَائِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مَرَصِدٌ فَيَنْتَلِقِ اغْدَا تَرَوْنَ اَبَائِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ  
عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي ، وَتَقِيَامُ غَيْرِي مَقَامِي .

•••

### الشيخ :

أطردت الرجل ، إذا أمرت بإخراجه وطرده ، وطردته إذا نفيتَه وأخرجته ؛  
فالإطراد أدل على العز والقهر من الطرد ، وكأنه عليه السلام جعل الأيام أشخاصا يأمر  
بإخراجهم وإصاדם عنه ، أي ما زِلْتُ أبحث عن كيفية قتل ، وأي وقت يكون بعينه ،  
وفي أي أرض يكون ، يوما يوما ، فإذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده ؛ فأبحث  
فيه أيضا فلا أعم ، فأبده وأطرده ، واستأنف يوما آخر ، هكذا حتى وقع المقدور . وهذا  
الكلام يدل على أنه لم يكن هرق حال كله معرفة مفصلة من جميع الوجوه ، وأن رسول  
الله صلى الله عليه وآله أعلم بذلك علما جَمَلًا ؛ لأنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وآله قال له :  
« ستضرب على هذه » وأشار إلى هامته - فتغضب منها هذه - وأشار إلى لحيته ، وثبت  
أنه صلى الله عليه وآله قال له : « أتسلم من أشقى الأولين » ؟ قال : نعم ، طاهر  
الغاية ، فقال له : « أتسلم من أشقى الآخرين » ؟ قال : لا ، قال : « من يضربك هاهنا ،  
فيغضب هذه » .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على  
أنه يموت من ضربه ، ألا تراه يقول : إن ثبتت الوطأة في هذه المزة فذاك ، وإن تدحّض  
فلنما كُنَّا في أهواء أخصان ، ومهابة دباح ، أي إن سلمت فذاك الذي تطلبونه ، يخاطب  
أهله وأولاده ، ولا ينبغي أن يقال : « فذاك ما أطلب » ، لأنه عليه السلام كان يطلب الآخرة ،

أكثر من الدنيا . وفي كلامه للنقل عنه ما يؤكدهما قلناه ؛ وهو قوله : « إن عشت فأناولي<sup>(١)</sup> دمي ، وإن ميت فضرية بضربة » .

وليس قوله عليه السلام : « وأنا اليوم عيزة لكم ، وغداً مفارقكم » وما يجرى مجراه من ألقاظ الفصل بنافس<sup>(٢)</sup> لما قلناه ؛ وذلك لأنه لا يبنى عدداً بعينه ، بل ما يستقبل من الزمان ، كما يقول الإنسان الصحيح : أنا عدا ميت ، فإني أحرص على الدنيا الآن لأن الإنسان قد يقول في مرضه الشديد لأهله وولده : ودّعكم وأنا مفارقكم ، وسوف يخلو منزلي مني ، وتتأسفون على فراق ، وتعرفون موصي بعدى ؛ كله على غلبة الغن ؛ وقد يقصد الصالحون به المظلة والاعتبار وجذب الداعمين إلى جاب التقي ، وردعهم عن الهوى وحب الدنيا .

فإن قلت : لما نصنع قوله عليه السلام لأبن ملجم :  
أريدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَدِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادٍ<sup>(٣)</sup>  
وقول الخالص من شيمته : فملا نقتله ؛ فقال : فكيف أقتل قاتلي ؛ وتارة قال : إنه لم يقتل ، فكيف<sup>(٤)</sup> أقتل من لم يقتل ؛ وكيف قل في البط الصانع خنقه في المجد ، ليلة صرته ابن ملجم : دعوهم ، فإنهم نوايح . وكيف قال تلك الآية : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوت إاليه ، وقلت : ما بقيت من أودك من الأود والدد ؛ فقال : ادع الله عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم حبرا منهم ، وأبدلهم بي شرأمني ؛ وكيف قال : إني لا أقتل محاربا ، وإنما أقتل فتكاً وعيلة ، يقتلني رجل حامل الذكر . وقد جاء عنه عليه السلام من هذا الباب آثار كثيرة .

قلت : كل هذا لا يدل على أنه كان يعلم الأمر مفصلاً من جميع الوجوه ، ألا ترى أنه

(١) : « عناولى » .

(٢) من أبيات في الآلى ٦٣ ، سبها إلى عمر و بن عبدكرب ؛ وروايته فيها : « أريد حياته » .

ليس في الأخبار والآثار ما يدل على الوقت الذي يقتل فيه بئنه، ولا على المكان الذي يقتل فيه بئنه ! وأما ابن ملجم ، فمن الجائز أن يكون علم أنه هو الذي يقتله ، ولم يعلم حلاً محققاً أن هذه الضربة ترهق نفسه للشرية منها ، بل قد كان يجوز أن يُبيل ويُفريق منها ؛ ثم يكون قتله فيما بعد قتل يد ابن ملجم ، وإن طال الأمد . وليس هنا بمستحيل ، وقد وقع مثله ، فإن عبد الملك جرح عمرو بن سعيد الأشلق في أيام معاوية على منافرة كانت بينهما ففما عمرو عنه ، ثم كان من القضاء والقدر أن عبد الملك قتل عمراً أيضاً بيده ذبحاً ، كما تذهب الشاة .

وأما قوله في البطل : «دعوهن فإهن نوائح» قلعه علم أنه تلك الليلة يصاب ويخرج ، وإن لم يعلم أنه يموت منه ، والنوائح قد ينعن على المقتول وقد ينعن على الجرح ، والتمام والدعاء لا يدل على العلم بالوقت بئنه ، ولا يدل على أن إجابته تكون على الفور لا محالة .

ثم نعود إلى الشرح .

أما قوله : «كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره» ، أي إذا كان مقدوراً ، ولا قد رأياً من يفر من الشيء . وبسبب ، لأنه لم يقدّر ؛ وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَصَاجِمِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ومن قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْمَوْتُ الَّذِي تُقَرِّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وفي القرآن العزيز مثل هذا كثير . قوله : «والأجل مساق النفس» أي الأمر الذي تساق إليه ، وتنتهي عنده ، وتقف إذا بلغت فلا يبقى له حينئذ أكلة في الدنيا .

(١) سورة النساء ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٤ .

(٣) سورة الجمعة ٨ .



قوله : « والمهرب منه موافقته » ، هذا كلام خارج مخرج المبالغة في عدم النجاة ، وكون القرار غير ممن ولا عاصم من الموت ، يقول : المهرب بعينه من الموت موافقة للموت ، أى إتيان إليه ، كأنه لم يرتض بأن يقول : المهرب لا بد أن ينتهى إلى الموت ، بل جعل نفس المهرب هو ملاقة الموت .

قوله : « أبجتها » أى أكشفها ، وأكثر ما يستعمل « بحث » مُعْدَى بحرف الجر ، وقد عُدَّاه هاهنا إلى « الأيام » بنفسه وإلى « مكنون الأمر » بحرف الجر ، وقد جاء : بحث الذجاجة التراب ، أى نبشته .

قوله : « فأبى الله إلا إخفاؤه » هيهات علم مخزون « تحذيره : هيهات ذلك ! مبتدأ وخبره ، هيهات اسم للفعل ، مستلهاً بـ « أبى » علم هذا الصيب علم مخزون مصون ، لم أطلع عليه . فإن قلت : ما معنى قوله : « كم اطردت الأيام أبجتها » ؟ وهل يعلم الإنسان بموته كيف يكون ، وفي أى وقت يكون ، وفى أى أرض يكون ؟ مما يمكن استدراكه بالنظر والفكر والبحث ؟

قلت : مراده عليه السلام أنى كنت فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أسأله كثيراً عن هذا الصيب ؛ فما أنبأنى منه إلا بأسور إجمالية غير مفصلة ، ولم يأذن الله تعالى فى إطلاعى على تفاصيل ذلك .

قوله : « فافقه لا تشركوا به شيئاً » الرواية المشهورة « فافقه » بالنصب ؛ وكذلك « عمداً » بتقدير فعل ، لأن الوصية تستدعى الفعل بعدها ، أى وحدوا الله ، وقد روى بالرفع ؛ وهو جائز على الابتداء والخبر .

قوله : « أقموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم ذم ما لم تشركوا » ، كلام داخل فى باب الاستعارة ، شبه الكتاب والسنة بمودى الخلية ، وبمصباحين

يُعضاء بهما . وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ : كلمة جارية مجرى التثنية ، معناها : ولا ذم عليكم ، فقد أعذرتم . وذم ، مرفوع بالفاعلية ، معناه : عذاكم وسقط عنكم .

فإن قلت : إذا لم يشركوا بالله ولم يضيعوا سنة محمد صلى الله عليه وآله فقد قاموا بكل ما يجب ، وانتهوا عن كل ما يفتقر ، فأى حاجة له إلى أن يستثنى ويقول : « ما لم تشركوا » ، وإنما كان يحتاج إلى هذه اللفظة لو قال : وصيقي إليكم أن تؤخذوا الله ، وتؤمنوا بنبوته محمد صلى الله عليه وآله ، فإن حينئذ يحتاج إلى قوله : « ما لم تشركوا » ويكون مراده بها فعل الواجبات ، وتجنب المنهات ، لأنه ليس في الإقرار بالوحدانية والرسالة للعمل ، بل العمل خارج عن ذلك ، فوجب إذا أوصى أن يؤمن بالاعتقاد والعمل ، كما قال عمر لأبي بكر في واقعة أهل الردة : كيف تقاتلهم وهم مقررون بالشهادتين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فقال أبو بكر : إنه قال تحية هذا : « فإذا هم قالوها عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها » وأداء الزكاة من حقها .

قلت : مراده بقوله : « ما لم تشركوا » ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال : خلاكم ذم إن وحدتم الله وأنتم سنة رسوله ، ودمتم على ذلك ولا شبهة أن هذا الكلام منقطع ، وأن اللفظين الأولين ليستا بمعنىين عن اللفظة الثالثة <sup>(١)</sup> وبقتدير أن يتنبا عنه ، فإن قيل ذكره مزيد تأكيذاً وإيضاحاً غير موجودين لولم يذكر ، وهذا كقوله تعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَحَسَّ اللَّهُ وَبَقَّهْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » <sup>(٢)</sup> ، وليس لقائل أن يقول : إن ليل شيء الله لا يكون مطيعاً لله والرسول ، وأى حاجة به إلى ذكر ما قد أغنى اللفظ الأول عنه . قوله : « نُحِلَّ كُلُّ أَمْرٍ مَحْمُودٍ » ، وخُفِّتَ عن الجهة ، هذا كلام متصل بما قبله ،

(١) به : « اللفظ الثالث » .

(٢) سورة النور ٥٢ .

لأنه لما قال : « عالم تشرذوا » أنبأ عن تكليفهم كل ما وردت به السنة النبوية : وأن يدوموا عليه ؛ وهذا في الظاهر تكليف أمور شاقة ، فاستدرك بكلام يدل على التخفيف ، فقال : إن التكليف على قدر الكيفين ، فالعناء تكليفهم غير تكليف العامة ، وأرباب الجمل والمبَادِي كائناء وأهل البادية وطوائف من الناس ، الغالب عليهم البلادة وقلة الفهم ، كأقصى الحشنة والتزك ومحوم ، وهؤلاء عند للكفين غير مكلفين ، إلا بحمل التوحيد والمدل ، بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المعقدة وحل المشكلات العامضة. وقد روى « تحمل » على صيغة الماضي ، و « مجهوده » بالنصب ، و « خفف » على صيغة الماضي أيضا ، ويكون الفاعل هو الله تعالى المقدم ذكره ، والرواية الأولى أكثر وأليق .

ثم قال : « رب رحيم » أي رتبكم رب رحيم ودين قويم ، أي مستقيم . وإمام عليم ، يمسى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الناس من يحمل « رب رحيم » فاعل « خفف » على رواية من رواها قسلا ماضيا وليس بمحسن لأن عطف « الدين » عليه يقتضى أن يكون الدين أيضا مخففا ، وهذا لا يصح .  
ثم دعا نفسه ولهم بالعفوان .

ثم قسم الأيام الماضية والحاضرة والمستقبلة قسمة حسنة ، فقال : « أنا بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عبئة لكم ، وغدا معارفكم » ، إنما كان عبرة لهم لأنهم يرونه بين أيديهم ملقى صريحا بعد أن صرع الأبطال ، وقتل الأقران ، فهو كما قال الشاعر :  
أَكَلُ أَشْلَاءِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَاءِ أَضْحَى بَيْنَ وَشِلْوِهِ مَا كُولُ  
ويقال : دَحَضْتُ قَدَمُ فُلَانٍ ، أي رَلْتُ وَرَلْتُ .

ثم شبه وجوده في الدنيا بأفياء الأغصان ومهاب الرياح وخلال الممات ، لأن ذلك كله مريع الاقضاء لا ثبات له .

قوله : « اضْمَلْ فِي الْجَوْ مَتَلَفَقَهَا ، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا » ، اضْمَعْلْ ذَهَب ، وَالْمِ زَائِدَةُ ، وَمِنَ الصَّنْعِثِلْ وَهُوَ اللَّاءُ الْقَلِيلُ ، وَاضْمَعْلْ السَّحَابُ : تَقَشَّعَ وَذَهَبَ ، وَفِي لَفَةِ الْكَلَابِيَيْنِ اضْمَعْلْ الشَّيْءُ بِتَقْدِيمِ اللَّيْمِ . وَمَتَلَفَقَهَا : مَجْتَمِعُهَا ، أَيْ مَا اجْتَمَعَ مِنَ النَّيُومِ فِي الْجَوْ ؛ وَالتَّلَفِيقُ : الْجَمْعُ : وَعَفَا : دَرَسَ ، وَمَخْطُهَا : أَثَرُهَا ؛ كَالْمَخْطَةِ .

قوله : « وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوِرًا نَدَّيْنِي أَيْمًا » ، فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ بِمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ ، وَأَنَّ هَوِيَّةَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا الْهَدَنِ .

وقوله : « سَتَمَقْبُونِ مِنِّي » أَيْ إِنَّمَا تَجِدُونِ عَقِيبَ قَعْدِي جُنَّةً ؛ بِمَعْنَى بَدَنًا خَلَاءً ، أَيْ لَا رُوحَ فِيهِ ؛ بَلْ قَدْ أَقْرَبَ مِنْ تِلْكَ الْمَعْنَى الَّذِي كُنْتُمْ تَسْرِفُونَهَا وَهِيَ الْعَقْلُ وَالنُّطْقُ وَالْقُوَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ . ثُمَّ وَصَفَ تِلْكَ الْجُنَّةَ قَالًا : « سَأَكُنُّ بَعْدَ حَرَكَاتِكَ » بِالْفَتْحِ ، أَيْ بَعْدَ حَرَكَةِ « وَصَامَتُهُ بَعْدَ نَطْقِ » وَهَذَا الْكَلَامُ أَيْضًا يُشِيرُ<sup>(١)</sup> بِمَا قُلْنَا مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ ، بَلْ بِصَرَاحٍ بِذَلِكَ ، أَلَا تَرَاهُ قَالًا : « سَتَمَقْبُونِ مِنِّي جُنَّةً » ، أَيْ تَسْتَقْبِلُونِ بِي جُنَّةً صَفَتَهَا كَذَا ؛ وَتِلْكَ الْجُنَّةُ جَنَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَحَالُ أَنْ يَكُونَ الْعِمُوسُ وَالْمَوْضُوعُ عَنْهُ وَاحِدًا ، قَدْ لَحِيَ أَنْ هَوِيَّتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي أَعْقَبَهَا مِنْهَا الْجُنَّةُ غَيْرَ الْجُنَّةِ .

قوله : « لِمَعْظَلِكُمْ هَدَوِي » ، أَيْ سَكُونِي ، وَخُفُوتِ إِطْرَاقِي ، مِثْلُهُ خَفَّتْ خُفُوتَا سَكَنَ ، وَخَفَّتْ خُفَاتَانَا مَاتَ فُجَاءَةً . وَإِطْرَاقُهُ : إِرْحَاؤُهُ هِينَهُ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ ، اضْمَعْلُهُ مِنْ رَفْعِ جَنْفِهِ ، وَسَكُونُ إِطْرَاقِهِ : يَدَاهُ وَرِحْلَاهُ وَرَأْسُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال : « فَإِنَّهُ أَوْعِظَ الْمُصْغِرِينَ مِنَ الْمَلُوقِ الْبَلِيغِ ، وَاقْتَوْلَ الْمَسْمُوعَ » ؛ وَصَدَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ خَطَبًا أُخْرَسَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا تِلْكَ الْقُوَّةُ لِمَخْطَبِ جَلِيلٍ ، وَيَجِبُ أَنْ يَتَمَطَّ الْعُقَلَاءُ بِهِ . وَمَا عَسَى يَبْلُغُ قَوْلُ الْوَاعِظِينَ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الْحَالُ ، بَلْ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَنْ سَمِعَهَا ، وَأَفْكَرَ فِيهَا ، فَضَلَّ عَنْ مَشَاهِدَتِهَا عِيَانًا ؛ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ شَبَهٌ مِنْ كَلَامِ الْحَكَمَاءِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا عِنْدَ تَابُوتِ الْإِسْكَندَرِ قَالًا أَحَدُهُمْ : حَرَكْنَا بِسَكُونِهِ .

وقال الآخر : قد كان سيفك لا يحف ، وكانت مراقبك لا ترام ، وكانت قهقاتك لا تؤمن ، وكانت عطائك بفرح بها ، وكان صياؤك لا ينكشف ، فأصبح ضوءك قد سجد ، وأصبحت قهقاتك لا تخشى ، وعطائك لا ترجى ، ومراقبك لا تمنع ، وسيفك لا يقطع .

وقال الآخر : انظروا إلى حلم المنام كيف انحلى ، وإلى ظل العمام كيف انسل !  
وقال آخر : ما كان أحوجنا إلى هذا الحلم ، وإلى هذا الصبر والسكون أيام حياته !  
وقال آخر : القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة ؛ طويّت في ذراعين .

وقال الآخر : أصبح أسر الأسراء أسيرا ، وقاهر الملوك مقهورا . كان بالأمس مالكا ، فصار اليوم هالكا .  
ثم قال عليه السلام : « وَدَعَيْتُمْ وَدَاعِ أَمْرِى بِمِرْصَدِى التَّلَاقِ » ، أرصدته لكدا ، أى أعدته له ، وفي الحديث : « إِنْ لَأَنْ أُرْصِدَهُ قَدِيمِ ظَلِّ » . والتلاقى ها هنا : لقاء الله .  
وبروى : « وَدَاعِيَكُمْ » أى وداعى إياكم ، والوداع مفتوح الواو .

ثم قال : « غدا ترون أبابى ، ويكشف لكم عن سرائرى ، وتعرفوننى بعد حلولى مكانى ، رقيام غيرى مقامى » ؛ هذا معنى قد تداوله الناس قديما وحديثا ، قال أبو تمام :  
رَاحَتٌ وَفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِى      قَارِعَةُ الْأَيْدِى مِلَاءُ الْقُلُوبِ  
قَدِ عَلَتْ مَا رَزَتْ إِيَّامَا      يُعْرِفُ قَدْرُ الشَّمْسِ بَعْدَ الْعُرُوبِ  
وقال أبو الطيب :

وَنَدَمَهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ      وَبَصَدَّهَا تَقْبِيْنُ الْأَشْيَاءِ<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٢٩ ، وروايته : « وَبَدَمَهُمْ » .

ومن أمثالهم :

• الصد يظهر حسنه الصد •

ومنها أيضا : فولا سرارة المرض لم نعرف حلاوة العافية  
وإنما قال عليه السلام : « وبكشف لكم عن سرائري » ؛ لأنهم بعد فقدده وموته  
يظهر لهم ويثبت عندهم إذا رأوا وشاهدوا إسرته من بعده ، أنه إنما كان يريد بتلك  
الحروب العظيمة وجه الله تعالى ، وآلا يظهر المكرب في الأرض ، وإن ظن قوم في حياته  
أنه كان يريد الملك والديار .

(١٥٠)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام ويوم فيها إلى الملاحم :

وَأَحْذُوا بَيْنَنَا وَشِمَالًا ظُلُمًا فِي مَسَالِكِ أَلَمِي، وَتَرَا كَأَيْدَاهِ الرُّشْدِ؛ فَلَا تَسْتَعْمِلُوا  
مَاهُ كَائِنٌ مُرَصَّدٌ، وَلَا تَسْتَظِلُّوا مَا يَحْيِي بِهِ الْعَدُوُّ؛ فَسَكَمٌ مِنْ مُسْتَعْمِلٍ بِمَا إِنْ  
أَذَرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يَذَرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ عَدُوًّا

بِأَقْوَمٍ، هَذَا إِبَانُ وَرُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَدُورٍ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ. أَلَا وَإِنْ  
مَنْ أَذَرَكَكُمْ مِثْلًا يَسْرِي فِيهَا بِسِرِّهِ مُبِيرٌ، وَتَحْذُوا فِيهَا قَلِي مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ  
فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا، وَيَصْدَحَ شَهْبًا، وَيَشْتَبَ صَدْعًا؛ فِي سُرْرَةٍ عَنِ النَّاسِ؛  
لَا يُصِيرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ؛ ثُمَّ لَيْشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ،  
تُجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ أَنْصَارُهُمْ، وَبُرْمَى بِالتَّسْبِيرِ فِي مَسَامِيهِمْ، وَيُنْبَقُونَ كَأَنَّ الْجِسْمَ  
بَعْدَ الصَّبُوحِ.

...

الشرح :

يذكر عليه السلام قوماً من فرق الصلال أخذوا بيننا وشمالاً ، أى ضلوا عن الطريق  
الوسطى التى هى منهاج الكتاب والسنة ؛ وذلك لأن كل فضيلة وحق فهو محبوس بطرفين  
خارجين عن العدالة ، وهما حابيا الإفراط والتفريط ؛ كالقطاة التى هى محبوسة

بالجر بزة والاضباوة، والشجاعة التي هي محبوسة بالهبور والجهن ، والجهود المحبوس بالتهذير  
والشع ؛ فمن لم يقع على الطريق الوسطى وأخذ يميناً وشمالاً فقد ضل .

ثم فسر قوله : « أخذ يميناً وشمالاً » ، فقال : « ظلموا ظمناً في مسالك النى » ، وتركوا  
مذاهب الرشd تركاً . ونصب « تركاً » و « ظمناً » على المصدرية ، والعامل فيهما من غير  
لفظهما <sup>(١)</sup> ؛ وهو قوله : « أخذوا » .

ثم نهام عن استعجال ما هو معد ، ولا بد من كونه ووجوده ، وإنما سماه كأننا لقرب  
كونه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَعَهُتٌ وَإِهُم مَّتُونٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ونهام أن يستعجلوا ما يجي في  
الغد لقرب وقوعه ، كما قال :

• وإن خدا للناظرين قريب •

وقال الآخر :

• غدٌ ماخذنا أقرب اليوم من غد •

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ثم قال : كم من مستعمل أسماً ويحرص عليه ، فإذا حصل ودأبه لم يحصل !  
قال أبو المناهية :

مَنْ عاش لاق مايسو • من الأمور ومايسر <sup>(٤)</sup>

ولرب حنّ فوقه ذهبٌ وياقوت ودُرّ

وقال آخر :

فلا تتسبّن الدهر شيئاً فكم أمتية جلبت منية

(١) ب : « لفظها » .

(٢) سورة الزمر ٣٠ .

(٣) سورة هود ٨٦ .

(٤) ديوانه ٩٩ .



وقال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وتباشير الصبح : أوائله .

ثم قال : يقومُ قد دما وقت القيامة ، وظهور العتق التي تظهر أمامها .  
وإبان الشيء ، بالكسر والتشديد : وقته ورمانه ، وكى عن تلك الأحوال بقوله :  
« وَذُنُوبٌ مِنْ طُلُوعِ مَالٍ تَعْرِفُونَ » ؛ لأن تلك الملاحم والأشراط المائلة غير معهود مثلها ، نحو دابة  
الأرض ، والدجال وفتنته ، وما يظهر على يده من الخاريق والأمور للوهمة ، وواقعة  
السفينة وما يقتل فيها من الخلائق الذين لا يحصى عددهم .

ثم ذكر أن مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله ، وهو الذي عني بقوله : « وَإِنْ مِنْ  
أَدْرَاكِهِمَا مَثَلٌ يَسْرِى فِي ظُلُمَاتٍ هَذِهِ الْعِتْقِ بِسَرَّاجٍ مَنِيرٍ » ؛ وهو المهدي ، وأتباع  
الكتاب والسنة .

ويحذو فيها : يقتفى ويتبع مثال الصالحين ، ليحل في هذه العتق . وريقاً : أى حبلًا  
مفقودا .

ويستق ريقاً ، أى يستفك أسرّى ، وينقذ مظلومين من أيدي ظالمين .  
ويصدع شعباً ، أى يفرق جماعة من جماعات الضلال . ويشمب صدماً : يجمع  
ما تفرق من كلمة أهل الهدى والإيمان .

قوله عليه السلام : « فِي سِتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ » ، هذا الكلام يدل على استتار هذا الإنسان  
المشار إليه ، وليس ذلك بنافع للإمامية في مذهمهم ، وإن ظنوا أنه تصريح بقولهم ؛ وذلك  
لأنه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخفيه الله تعالى في آخر الزمان ، ويكون مستترا مدة ،  
وله دعاة يدعون إليه ، ويقررون أمره ، ثم يظهر بعد ذلك الاستتار ؛ ويملك الممالك ؛

ويظهر الله طول ؛ ويمهّد الأرض ؛ كما ورد في قوله : « لا يبصر القائف » ، أى هو فى استتار شديد لا يدركه القائف ، وهو الذى يعرف الآثار ، والجمع « قافة » ، ولا يعرف أثره ولو استقصى فى الطلب ؛ وتابع النظر والتأمل .

ويقال : شَحَذْتُ السَّكِينَ أَشْعَدَّهُ شَحْذًا ، أى حَدَدْتَهُ ، يريد : لِيُجَرِّضَنِي فِي هَذِهِ لِللَّاحِمِ قَوْمِ عَلَى الْحَرْبِ وَقَتْلِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَلِنُشْعِزَنِي عَزَائِمَهُمْ كَمَا يَشْحَذُ الْمُثْقِلُ السِّيفَ ، وَيَرْقُقُ حَدَّهُ .

ثم وصف هؤلاء القوم المشعوذى المرائىم ؛ فقال : تَحْمَلِي مَصَائِرُكُمْ بِالْفَزِيلِ ، أى يكشف المرئين والقطاء من قلوبهم تلاوة القرآن وإلهامهم تأويله ومعرفة أسرار .

ثم صرح بذلك فقال : « ويرمى بالتفسير فى مسامعهم » ، أى يكشف لهم السطاء ، ويخلق المعارف فى قلوبهم ، ويلهمون فهمهم الموامض والأسرار الباطنة ، ويفتقون كأس الحكم صد المصباح ، أى لا تزال المعارف الربانية والأسرار الإلهية تفيض عليهم صابحا ومساء ؛ فالفتوق كناية عن العيىس الحاصل لهم فى الأصل ، والمصباح كناية عما يحصل لهم منه فى العداوات ، وهؤلاء هم العارمون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة ؛ وحقيق بمنزلهم أن يكونوا أنصارا لولى الله الذى يعتنيه ، ويحققه فى آخر أوقات الدنيا ، فيكون خاتمة أوليائه ، والذى باقى عصا التكليف عنده .

•••

الأصل :

منها :

وَمَا لَئِنْ أَلَمْتُ بِهِمْ لَيَسْتَكْبِرُوا إِلَهَئِى ، وَبَسْتَوْجِبُوا الْعِبْرَةَ ، حَتَّى إِذَا أَخْلَقُوا

( ٩٠ هـ )

الْأَجَلُ، وَاسْتَرَّاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ؛ لَمْ يَمْنُتُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّغِيرِ،  
وَلَمْ يَسْتَمِظُوا بَذَلِ أَشْيَائِهِمْ فِي الْخَلْقِ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ،  
سَحَلُوا نَصَائِرَهُمْ عَلَى أَشْيَائِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

• • •

### الْتِمِزُ :

هذا الكلام يتصل بكلام قبله ، لم يذكره الرسمى رحمه الله ، وهو وصف فئسة ضالة  
قد استولت ومنتسكت ، وأمل لها الله سبحانه . قال عليه السلام : وطال الأمد بهم  
ليستكولوا الخمرى ، ويستوجبوا العير ، أى السم<sup>(١)</sup> التى يفرها بهم من سم الله سبحانه ،  
كما قال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ  
فدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وكما قال تعالى : ﴿ سَنَنْذِرُكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
حق إذا خلوات الأجل ، أى قارب أسرارهم القضاء ، من قولك : انحلق السحاب ،  
أى استوى ، وصار خليقاً بأن يحطر ، وانحلق الرسم : استوى مع الأرض .  
واستراح قوم إلى الفتن ، أى صبا قوم من شيعتنا وأوليانا إلى هذه الفئسة ، واستراحوا  
إلى صلاحها وفئسها ، واتبعوها .

واشتالوا عن لقاح حربهم ، أى رفضوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشنوا الحرب بينهم  
وبين هذه الفئسة ، مهادنة لها وسلما وكرامية للقتال ، يقال : شال فلان كذا ، أى عرفه ، واشتال  
« التمل » هو فى نفسه ، كقولك : حَبَّمْ زيد عمراً ، واحتشم هو نفسه . ولقاح حربهم :  
هو بفتح اللام ، مصدر من لَقَحْتُ القاتلة .

قوله : « لَمْ يَمْنُتُوا » ، هذا جواب قوله : « حَتَّى إِذَا » ، والصمير فى « يَمْنُتُوا » راجع إلى

(١) كذا فى د ، و ، ا ، ب : « والسم » .

(٢) سورة الاسراء ١٦ .

(٣) سورة الاعراف ١٨٢ .

العارفين بالدين تقدم ذكرهم في الفصل السابق ذكره ، بقول : حق إذا ألقى هؤلاء السلام إلى هذه الفتنة مجزأ عن القتال ، واستراحوا من مبادئهم بدخولهم في ضلالهم وخفتهم ، إنما تنقية<sup>(١)</sup> منهم ، أو لشبهة دخلت عليهم ، أنهم الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خستهم بحكمته ، وأعلمهم على أسرار ملكوته قهضوا ، ولم يثبوا على الله تعالى بصبرهم ، ولم يستعملوا أن يبذلوا في الحق بموسمهم ؛ قال : حتى إذا وافق قضاء الله تعالى وقدره كي ينهض هؤلاء بقضاء الله وقدره في اقضاء مدة تلك الفتنة ، وارتفاع ما كان سبيل الخلق من البلاء بملكها وإمرتها ، حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم . وهذا معنى لطيف ، يعني أنهم أطهروا بصائرهم وعقدتدم وقلوبهم للناس ، وحكشوها وجردوها من أجفانها ، مع تحريد السيوف من أجفانها ، فكانت شيء محمول على السيوف يصير من يصير السيوف ، ولا ريب أن السيوف المحرقة من أجل الأجسام للأبصار ، فكذلك ما يكون محمولا عليها ، ومن الناس من هذا الكلام ، فقال : أراد بالبصائر جمع بصيرة ، وهو الدم ، فكأنه أراد طمسوا بآثارهم وتلذذوا التي سفكتها هذه الفتنة ، وكان تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على أسيافهم التي جردوها للعرب ، وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بهذه :

رَأَوْا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْطَافِهِمْ      وَتَصِيرَتِي بِمَذْهَبِهَا عَتَدُ وَأَي<sup>(٢)</sup>

ومسره أبو عمرو بن العلاء ، فقال : يريد أنهم تركوا دم أبيهم وجملوه حلقهم ، أي لم يثأروا به ، وأما طلبت ثأري وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول في هذا البيت : البصيرة : الترس أو الدرع ، ويرويه : « حلوا بصائرهم » .

• • •

(١) كذا في ج ، وفي ا ، ب : « نية » ، وفي د : « نية » .

(٢) البيت في الصحاح ٢ : ٩٢ ، وفيه إلى الأسر المحض ، وهو أيضا في اللسان ٥ : ١٢٣ .

## الأصل .

حَتَّى إِذَا قَبَسَ اللَّهُ رُسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَغْصَابِ ، وَعَاثَهُمُ الشَّيْلُ ، وَأَتَسَكَّلُوا  
 عَلَى الْوَلَانِجِ ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِيمِ ، وَهَمَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمُودَّتِهِ ، وَتَقَلُّوا  
 الْبِنَاءَ عَنْ رَمَى أَسَابِهِ ، فَخَوَّهُ فِي غَيْرِ مَوْجِعِهِ  
 مُعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَنْتَوَابُ كُلِّ صَارِبٍ فِي عَمَرِهِ قَدْ مَادُوا فِي الْخِزْفِ ،  
 وَذَهَلُوا فِي الشُّكْرَةِ ؛ عَلَى شَيْءٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ؛ مِنْ مُنْقَلِبٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبٍ ،  
 أَوْ مُفَارِقٍ لِلَّذِينَ مُنَابِنِ

• • •

## الشرح .

رَجَعُوا عَلَى الْأَغْصَابِ : تَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، قَالَ سَمْعَاءُ : ﴿ وَمَنْ مُنْقَلِبٌ عَلَى  
 عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ أَفْئَةً شَيْئًا ﴾ <sup>(١)</sup>  
 وَعَاثَهُمُ الشَّيْلُ : أَهْلَكَهُمْ اخْتِلَافُ الْأَرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ ، عَاثَهُ كَذَا ، أَيْ أَهْلَكَهُ ،  
 وَالشَّيْلُ : الطَّرْفُ .  
 وَالْوَلَانِجُ : جَمْعُ وَلِيجَةٍ ، وَهِيَ الْبِطَاطَةُ يَتَّخِذُهَا الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ ، قَالَ سَمْعَاءُ : ﴿ وَلَمْ  
 يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِيمِ ، أَيْ غَيْرَ رَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَذَكَرَ هَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) سورة آل عمران ١٥٥

(٢) سورة البقرة ١٦٥

ذِكْرًا مطلقاً غير مصافق لها ، كما يقول القائل : « أهل البيت » ، فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول .

وَهَجَرُوا السَّبَّ ، يَمْشِي أَهْلُ الْبَيْتِ أَيْضًا ؛ وهذه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « حَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي » ؛ حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، لَا يَمْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْخَوْضِ » ، فَمَثَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ بِلَفْظِ « السَّبِّ » لَمَّا كَانَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ قَالَ : « حَبْلَانِ » ، وَالسَّبْبُ فِي الْقَمَةِ : الْجَهْلُ .

عَنِ نَفْوِهِ : « أَمِرُوا عَمُودَتَهُ » قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا التَّوَدُّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

قوله : « وَثَقَلُوا الْبِنَاءَ مِنْ رَمَى أَهْلِهِ » ؛ الرَّمَى مِنْ مَصْدَرِ رَمَعْتُ الشَّيْءَ . أَرْضَهُ ، أَيْ أَصَفَتْ لِمَنْ يَمَسُّ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْصُوعًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَتَرَامِي الْقَوْمِ فِي الصَّفِّ ، أَيْ تَلَاصَقُوا . فَبَيَّنَتْهُ فِي عَمَرِ مَوْصِفِهِ أَوْ ثَقُلُوا <sup>(٣)</sup> الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِهِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ . ثُمَّ ذَمَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُمْ مَعَادِنُ كُلِّ حَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ صَارِبٍ فِي عَمْرَةٍ » ، الْعَمْرَةُ : الصَّلَالُ ، وَالْجَهْلُ ، وَالصَّارِبُ فِيهَا : الدَّاحِلُ لِلْعَقْدِ لَهَا .

قَدْ مَارُوا فِي الْخَيْرَةِ ، مَارَ يَمُورُ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ ، فَكَأَنَّهُمْ يَسْبَحُونَ فِي الْخَيْرَةِ كَمَا يَسْبَحُ الْإِنْسَانُ فِي الْمَاءِ .

وَدَهَلُ فُلَانٍ ، بِالْفَتْحِ ، يَدْهَلُ عَلَى سَنَةِ مِنْ آلِ مَرْهُونٍ ، أَيْ عَلَى طَرِيقَةٍ ، وَآلُ مَرْهُونٍ : أَتْبَاعُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَذْهِلُوا آلَ مَرْهُُونٍ أَشَدَّ الْقَذَابِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) سورة الصف ٥ .

(٣) ب : « وَثَقَلُوا » ، وَمَا أَتَيْهِ مِنْ د .

(٤) سورة طه ٥٦ .

من منقطع إلى الدنيا : لا مَ له غيرها . راكن : يَخِلُّ إليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ <sup>(١)</sup> . أو مفارق للدين مبين <sup>(٢)</sup> : مزابل .

فإن قلت : أى فرق بين الرجلين ؟ وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلا مفارقا للدين ؟ قلت : قد يكون فى أهل الصلال مَنْ هو مفارق للدين مبين ؛ وليس براكن إلى الدنيا ولا منقطع إليها ؛ كما نرى كثيراً من أخبار النصارى ورهبانهم .

فإن قلت : أليس هذا <sup>(٣)</sup> النص صريحاً فى تحقيق مذهب الإمامية ؟ قلت : لا ، بل نحمده على أنه عَنِ عليه السلام أعداء الدين حاربوه من قريش وغيرهم من أفتاء العرب ، فى أيام صِفِّين ، وهم الذين قتلوا البناء ، وهدموا السب ، ووصلوا غير الزَّحِيم ، وابتكروا على الولائج ، وغالطهم السُّبُل ، ورجموا على الأعقاب ؛ كسمرو بن الماص ، والغيرة بن شعبه ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عُقبة ، وحبيب بن مسلمة ، وبشر بن أرطاة ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن الماص ، وحوشب ، وذى الكلاع ، وشُرْحَبِيل ابن السَّمط <sup>(٤)</sup> ، وأبى الأمور السُّلَمي ؛ وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له فى الفصول المتصلة بصِفِّين وأخبارها ، فإن هؤلاء قتلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية ، فقتلوا البناء عن رضى أصله إلى غير موضعه .

فإن قلت . لفظ الفصل يشهدُ بخلاف ما تأولتَه ، لأنه قيل عليه السلام : حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعهم على الأعقاب عَقِيبَ قبض الرسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرته أنتَ كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة ! قلت : ليس يمنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجموا على الأعقاب ، لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحدروا فى أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين وأداء ، وقد كان فيهم مَنْ

(٢) كذا فى د ، و ، ا ، ب : « ومبين » .

(٤) ب : « الصمت » .

(١) سورة هود ١١٣ .

(٣) ساقطة من د

بجنتك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان، ويشعر من له؛ ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله . ولا يمتنع أيضاً أن يريد رجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالسكينة ، فإن كثيراً من أصحابنا يطمنون في إيمان بعض من ذكرناه وبعدونهم من المنافقين ، وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقتلهم ويردهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك ؛ خصوصاً فيما يتعلق بأمر المؤمنين ، الذي ورد في حقه : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا يمين على بن أبي طالب » ، وهو خبرٌ محققٌ مذكور في الصحيح .

فإن قلت : يملك من هذا التأويل قوله : « وبقروا البناء عن رصن أساسه » ، لمعناه غير موضعه ، وذلك لأن « إذا » ظرفٌ ؛ والمعامل فيها قوله : « رجع قوم على الأعقاب » وقد عطف عليه قوله : « وبقروا البناء » ؛ فإذا كان المصحوح على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور ، وهو وقت قبض الرسول، وحسب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً ، لأن أحد الفعلين مطبوف على الآخر ، ولم ينقل أحدٌ وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنما نقل عنه إلى شخص آخر ، وفي إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحاً .

قلت : إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً وقت قبض النبي صلى الله عليه وآله فقد قلنا بما يجب من وجود عامل في الظرف ، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً ، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر ؛ إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف ، أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لاني وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَنْتَبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبْرَأَ أَنَّ



بُصِفَتْهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ <sup>(١)</sup>؛ فالعامل في الطرف «استطاع»  
ويجب أن يكون استطاعهما وقت إتيانهما أهلها لا محالة . ولا يجب أن تكون جميع  
الأعمال المذكورة المعطوفة وقمة حال الإتيان أيضاً؛ إلا ترى أن من جعلها «أقامه» ولم يكن  
إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل منازحياً عنه برمان ما ؛ اللهم إلا أن يقول قائل : أشار  
بيده إلى الجدار فقام ، أو قال له : قم ، فقام ، لأنه لا يمكن أن يحمل إقامة الجدار مقارناً  
للإتيان إلا على هذا الوجه ؛ وهذا لم يكن ، ولا قاله مفسر ولو كان قد وقع على هذا الوجه  
لما قال له : (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أُخْرًا) ؛ لأن الآخر إنما يكون على أعمال عمل فيه  
مشقة : وإنما يكون فيه مشقة إذا ساء بيده ، وبناشره محوارجه وأعضائه

واعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه مؤداه الجليل ،  
ومنصبه العظيم ، ودينه القويم ، (من الإغصم) أعما حلف ممن سلف ؛ فقد كان صاحبهم  
بالمعروف مَرْهُةً من الدهر ، وإما أن يكون ما كانوا فيه حَقَمَ أو حَقَه ، فتركه لهم رفعا  
نفسه عن الممارسة ، أو لما رآه من المصلحة ؛ وعلى كلا التقديرين فالواجب عايناً أن  
طبق بين آخر أعماله وأقواله بالنسبة إليهم وبين أولها ، فإن تعد تأويل ما يتأوله من  
كلامه ، لبس بأحد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المنشأة في القرآن ، ولم يمنع  
بدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة . وكذلك هاهنا .

( ١٥١ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

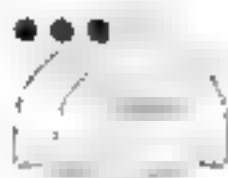
وَأَسْتَمِعُهُ عَلَى مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَرَاجِرِهِ ، وَإِلَاقَةِ صَامٍ مِنْ حَبَائِلِهِ وَنَحَائِلِهِ ،  
وَأُشْهِدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَحْيُهُ وَصَفْوَتُهُ ؛ لَا يُؤَارَى فَضْلُهُ ، وَلَا يُحْتَرَفُ  
فَقْدُهُ ؛ أَحْصَاَتْ بِهِ الْبِلَادُ تَعَدَّ الْمَلَاةُ الْمُطْلِقَةُ ، وَالْجَمَاهُ الْعَالِيَةُ ، وَالْجَمُوعُ الْجَلِيفَةُ ؛  
وَالنَّاسُ يَسْتَحِيلُونَ الْخَرِيمَ ، وَيَسْتَدْأُونَ الْخُسْكَيمَ ؛ يَحْيَوْنَ عَلَى قَتَرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ  
عَلَى كُفْرَةٍ .

ثُمَّ لَأْسَكُمْ مَفْشَرُ الْمَرْبِ الْغَرَامِ بِلَايَةٍ قَدْ اقْتَرَبَتْ ؛ فَاتَّقُوا سَكْرَاتِ النِّعَةِ ،  
وَأَحْذَرُوا تَوَاقِقَ الْعِقَةِ ، وَتَمَبَّتُوا فِي قَدَمِ الْيَمْنَةِ ، وَأَعْرِجُوا حَاجِ الْعَيْتَةِ ، عِنْدَ طُلُوعِ  
حَبِيبِهَا ، وَظُهُورِ كَيْبِهَا ، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا ؛ تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ حَقِيقَةٍ ،  
وَتَوُودُ إِلَى فَلَاحَةِ حَقِيقَةٍ ؛ شِبَابُهَا كِشَابُ الْفُصْلَامِ ، وَآثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ ؛  
يَتَوَارِثُهَا الطُّلُوعُ بِالْمُحُودِ ، أَوْلَهُمْ قَائِدُ لِأَجْرِهِمْ ؛ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدِرُ بِأَوَّلِهِمْ ؛  
يَنْفَاقُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَتَسْكَنُونَ عَلَى جِبْفَةٍ مُرِيحَةٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ  
يَتَبَرَّأُ النَّاسُ مِنَ التَّشْوِيعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْقُودِ ، قَائِدًا بِلُورٍ بِالنَّفْصَاءِ ، وَيَتَلَاغُونَ  
عِنْدَ الْإِقَاءِ .

ثُمَّ يَأْتِي مَعْدَ ذَلِكَ طَالِيعُ الْفَيْحَةِ الرَّحُوفِ ، وَالْفَاصِيَةِ الرَّحُوفِ ، فَتَرِيحُ قُلُوبٍ تَعْدُ  
أَسْفَافَةً ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ تَعْدُ سَلَامَةً ، وَتَحْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ الْأَرَاهُ  
عِنْدَ مُجُومِهَا .

مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَصُهُ ، وَمَنْ سَتَى فِيهَا حَقِيقَتُهُ ؛ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادَمَ الْحُمُرِ  
فِي الْعِمَانَةِ . قَدْ اضْطَرَبَ مَقْنُودُ الْحَبْلِ ؛ وَتَحْمَى وَجْهُ الْأَمْرِ ، تَمِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ ،  
وَنَهْطُ فِيهَا الظُّلْمَةُ ، وَتَذُقُ أَهْلُ الْبَدْوِ مِمَّا حَلَّهَا ، وَتَرُضُهُمْ بِكُلِّ سَكَلِيهَا ؛ يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا  
أَلْوَحْدَانُ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ ، تَرْدُ يَمْرُ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ حَبِيطَةُ الدَّمَاءِ ، وَتَنْشِلُ  
مَنَارَ الدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ .

يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ، وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ . يَرْعَادُ مِيزَانُ ، كَاشِفَةٌ عَنْ  
سَاقٍ ، تَقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ، وَبُخَارُقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ؛ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ ،  
وَوَظَائِنُهَا مُقِيمٌ :



### الْمِنْخُ :

مَدَاخِرُ الشَّيْطَانِ : الْأُمُورُ الَّتِي يُدْخَرُ بِهَا ، أَيْ يُلَوَّدُ وَيَسْتَد ، وَحَرَّتُهُ أَذْخَرُهُ  
دُخُورًا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَخْرِجْ مِنْهَا  
مَذْذُومًا مَذْخُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أَيْ مَقْصُوسٌ .

وَمِزَاجُهُ : الْأُمُورُ يَزْجُرُ بِهَا ؛ جَمْعُ مَزْجَرٍ : وَمِزْجَرَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا يَبْنَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ  
الْأَفْصَالِ « مَقْمَلًا » وَ « مَقْمَلَةٌ » وَجَمْعُهُ ؛ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَهُ عَرَفْتَ ذَلِكَ .  
وَحِبَائِلُ الشَّيْطَانِ : مَكَائِدُهُ وَأَشْرَاكُهُ الَّتِي يُضِلُّ بِهَا الْبَشَرَ . وَخَائِلُهُ : الْأُمُورُ الَّتِي  
يُخْتَلِ بِهَا ، بِالْكَسْرِ ، أَيْ يَجْدَعُ .

لَا يُؤَاوِي فَضْلَهُ : لَا يَأْوِي ، وَالْفِظَةُ مَهْمُوزَةٌ ، آزَيْتُ فَلَامًا : حَازَبْتُهُ ،

وَلَا يَحْمُوزُ « وَازَيْتُهُ » .

(١) سورة الصافات ٩ .

(٢) سورة الأعراف ١٨ .

ولا يحبر قهده : لا يبدأ أحد مسده بعده . والجفوة الجافية : غلظ الطبع وبلاغة الفهم .

ويستدلون الحكيم : يستضيئون الفلاء ، واللام هاهنا للجنس ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .

يحيون على فترة : على انقطاع الوحي ما بين بيوتين .

ويموتون على كفر ، بالفنح ، واحد الكفرات ، كالصربة واحدة الصربات .

ويروى : « ثم إنكم معشر الناس » والأعراض الأهداف . وسكرات النعمة : ما يحدثه اللذم عند أربابها من العقلة للشبهة للشكر ، قل الشاعر :

تُخسر سكرات إذا بقي الزمان  
سكرة المال والحدادة والعيش والسكر للشراب والسلطان

ومن كلام الحكماء : للوالى سكرة لا يفيق منها إلا بالمرل . والبواثق : الذواهي ، جمع باثقة ؛ يقال : باثقتهم الداهية نوحاً ، أى أصابتهم ، وكذلك : باثقتهم يؤوق على « فصول » ، واثقت عليهم باثقة نر ، مثل اباحت ، أى انفتحت ، واثقت عليهم الذهر : هجم بالداهية ، كما يخرج الصوت من البوق ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » ، أى غوائله وشره .

والقتام ، بفتح القاف : العبار . والأقم : الذى يملوه قتمة ؛ وهو لون فيه غبرة وسحرة .

والعشوة ، بكسر العين : ركوب الأمر على غير بيان ووضوح ويروى : « وتبينوا في قتام العشوة » كما قرئ : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> و « تبتوا » .

(١) سورة النجم ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات ٦ .

واهو جاج العتة : أخذها في غير القصد ، وعدوها عن المسجع .

ثم كنى عن ظهور المستور الحق منها بقوله : « عند طلوع جنيتها ، وظهور كمينها » ،  
والجنين : الولد مادام في البطن ، والجمع أجنة ، وبحور ألا يكون الكلام كناية بل صريحا ؛  
أي عند طلوع ما سجن منها ؛ أي استر وظهور ما كن ، أي ماطن .

وكنى عن استحكام أمر العتة بقوله : « وانتصاب قطبها ، ومدار رحاها » .

ثم قال : إنها تبدر بسيرة ، ثم نصير كثيرة .

والفطاعة . مصدر فطع بالضم ، فهو فطيع أي شديد شيع تجاوز للقدار ، وكذلك  
أفطع لرحل فهو مفطع ، وأفطع الرجل على ما لم يسم فاعله : رل به أمر عظيم ، وأفطعت  
الشيء : وجدته عظيما ، ومثله استمطعته ، وهذا المعنى كما قال الشاعر :

وَأَرُبُّهَا حَاجَ السَّكِينِ رَ مِنْ الْأُمُورِ لَكَ الصَّيْرِ

وفي المثل : « والشر تبدو منهارة » ، وقال الشاعر :

فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُؤَدِّينَ تَذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامٌ<sup>(١)</sup>

وقال أبو تمام :

رَبِّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرًا كَمْ مَطَرٍ بِدَوِّهِ مَطِيرٌ

وقال أيضا :

لَا تَدِيلُنْ صَمِيرَ هَمِّكَ وَأَطَارُ كَمْ لَدَى الْأَسْلِ دُوْحَةٌ مِنْ قَصَبٍ<sup>(٢)</sup>

قوله : « شبابها كشباب العلام » بالسكسر ، مصدر شبّ الفرس والفيلام يشبّ

ويشبّ شبابا وشبيبا ، إذا قص وامب ، وأشبته أنا ، أي هيئته

(١) لصير بن سيار ، ألفه لاس عند ربه ١١٠ : ٢

(٢) ديوانه ١ : ١٢٧ . والأثل شجر مروف بفضه ، والدوحة : الشجرة العظيمة .

والسلام: الحجارة جمع، واحدة سحبة بكسر اللام؛ يذكر الفتنة، ويقول: أنها تبدو في أول الأمر وأرامها يرحون وبشيتون كما يشبّ الدلام ويبرح، ثم تقول إلى أن تمثب فيهم آثاراً، كآثار الحجارة في الأبدان، قال الشاعر:

والحب مثل الحرب أولها التخييل والنشأط  
وحسامها أم الرية في النكر والصرع القطأط<sup>(١)</sup>

ثم ذكر أن هذه الفتنة يتوارثها قوم من قوم، وكلهم ظالم، أولهم يقود آحرم؛ كما يقود الإنسان الفطار من الإبل وهو أمامها وهي تنسه. وآحرم يقتدى بأولهم، أي يفعل فعله، ويحذو حذوه.

وجيفة مريجة: منتنة، أراحت: ظهر ربحها ويحوز أن تكون من أراح الدمير، أي مات، وقد جاء في «أراح» بمعنى أمتن «أراح» بلام مر.

ثم ذكر خبراً التابع من النبوع، بسى يوم الصيامة

فلن قلت: إن الكتاب العزيز إنما ذكر خبراً للنبوع من التابع في قوله: ﴿إِذْ يَرْأى الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا قد عكس ذلك، فقال: إن التابع يبرأ من النبوع!

قلت: إنه قد ورد في الكتاب العزيز مثل ذلك، في قوله: ﴿أَيْنَ شَرَّ كَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾<sup>(٤)</sup>، فتوهم: ﴿لَمْ تَكُنْ تَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾ هو النبؤ، وهو قوله حكايته عنهم: ﴿وَأَقْبِرَ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وهذا هو الخبر.

(١) أم الرية كناية عن الحرب.

(٢) سورة الفرقة ١٦٦

(٣) سورة الأنعام ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة غافر ٢٤

ثم ذكر عليه السلام أن الفائد جبراً من اللقود ، أى بغير المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبراً من صاحبه ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْمَنُ نَفْسُكُم بِنَفْسٍ ﴾ (١) .  
ويتزايلون : يتفرقون .

قوله : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » . طالعها : مفعلاتها وأمثالها ؛ وسماها « رجوها » ، لشدة الاضطراب فيها .

فإن قلت : ألم تكن قلت : إن قوله : « عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع » يعنى به يوم القيامة ، فكيف يقول : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة » وهذا إما يكون قبل القيامة ؟ قلت : إنه لما ذكر تافس الناس على الجملة المتنعة وهى الدنيا ، أراد أن يقول بعده بلا فصل : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » ، لكنه لما تعجب من تراحم الناس وتكائهم على تلك الجيفة ، أراد أن يؤكد ذلك التعجب ، فأتى بحملة معترضة بين الكلامين . تؤكد معنى تعجبه منهم ، فقال : إياهم على ما قد ذكرنا من تكائهم عليها ؛ من قليل يتبرأ منهم من بعض ، وليس بعضهم بعضاً ، وذلك أدعى لهم — لو كانوا يعقلون — إلى أن يتركوا التكالب والتهاوش على هذه الجيفة الخسيسة . ثم عاد إلى نظام الكلام ، فقال : « ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرخوف » ، ومثل هذا الاعتراض في الكلام كثير ، وخصوصاً في القرآن ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم طرقاً .

قوله : « والقاصصة الرخوف » القاصصة : الكاسرة ، وسماها رخوفاً تشبيهاً لمشبهاتها بتمشي الدابة الذى يهلك الزروع ويبيدها ، والرخوف : السير على تركة كثير الجيوش بعضها إلى بعض .

قوله : « وتزيغ قلوب » أى تميل ، وهذه اللفظة والتى بعدها دلتان على خلاف ما تذهب إليه الإمامية من أن المؤمن لا يكفر ، وناصرتان لمذهب أصحابنا .

ونجوسها : مصدر نجس الشر إذا ظهر .

من أشرف لها : من صادمها وقابنها . ومن سى فيها ، أى فى نكبتها وإطفاؤها ، وهذا كله إشارة إلى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان .

والتكادّم : التماسخ بأدنى التمسك ، كما يكدر الحار ، ويقال : كدّم يسكدر ، ولكدّم : المعنى .

والعامة : القطيع من حمر الوحش ، واجمع حيون .

تعيص فيها الحكمة : تنقض .

فإن قلت : ليس قوله : « وتنطق فيها الظلمة » واقفاً فى تعيص قوله : « تعيص فيها الحكمة » ، فأين هذا من الخطابة التى هو فيها سيج وحده ؟

قلت : بل المناقضة ظاهرة ؛ لأن الحكمة إذا غاصت فيها لم ينطق بها أحد ولا بدّ من ينطق ما ، فإذا لم تنطق الحكماء وجب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء ؛ فهو من الظلمة ، فقد ثبت التناقض .

والمستعمل : المبرد . يقول : تنعت أهل البدو وتسعنت الحديد والخلشب بالمبرد . وأهل البدو : أهل البادية ، ويجوز أن يريد بالمستعمل الحلقة التى فى طرف شكيم الأجسام المعرضة بإزاء حلقة أخرى فى الطرف الآخر ، وتدخل إحداها فى الأخرى ؛ بمعنى أن هذه الحلقة تصدم أهل البدو بمقدمة جيشها كما يصدم الفارس الراجل أمامه بمستعمل لجام فرسه .

والكئكل : الصدر . وترضهم : تدقهم دقا جريشا .



قوله : « نضيق في غبارها الوُحْدان » ، جمع واحد ، مثل شاب وشبان ، وراع ورُعيان ، ويجوز « الأُحْدان » بالهمز ، أى من كان يسير وحده فإنه يهلك بالكثرة في غبارها ، وأما إذا كانوا جماعة ركبانا فإنهم يضلون ، وهو أقرب من الهلاك ، ويجوز أن يكون الوُحْدان جمع أوحِد ؛ يقال : فلان أوحِد الدهر ، وهؤلاء الوُحْدان أو الأُحْدان ، مثل أسود وسودان ، أى يصل إلى هذه الفتنة ، وضلالتها الذى كفى عنه بالتباعد فضاء عصرها وعطاء عهدها ؛ لنموض الشبهة واستيلاء الباطل على أهل وقتها . ويكون معنى الفقرة الثانية على هذا التفسير أن الراكب الذى هو بمنزلة النجاة لا يتجوز . والركبان : جمع راكب ، ولا يكون إلا ذائبيد . قوله : تَرِدُ بِمَرِّ القضا ، أى بالهوار والهلاك والاستئصال .

فإن قلت : أيجوز أن يقال لفتنة القبيحة : إياها من القضاء ؟

قلت : نعم ، لا بمعنى انطلق بل بمعنى الإعلام ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَضْبْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> أى أعلناهم ، أى ترد هذه الفتنة بإعلام الله تعالى لمن يشاء إعلامه من المكلفين إياها أم القيم <sup>(٢)</sup> التى لا تبقى ولا تذر ، فذلك الإعلام هو الذى لا يبلغ الوصف سرارته ، لأن الإخبار عن حلول الكروء الذى لا مدفع عنه ولا محص منه ، مرةً جداً .

قوله : « ونحلب عبيط الدماء » ، أى هذه الفتنة يحلبها الحالب دماً عبيطاً ، وهذه كناية عن الحرب ، وقد قال عليه السلام فى موضع آخر : « أما والله ليحلبتها دماً ، وليتب منها دماً » والعبيط : الدم الطرى الخالص .

وثلثت الإناء ، أئلمه بالكسر .

والأكياس : القلاء .

(١) سورة الاسراء ٤ .

(٢) أم القيم : الجامعة .

والأرجاس : جمع رجس ، وهو القدر والتجس ، وللمراد هاهنا الفاسقون ، فلما أن يكون على حذف المضاف ؛ أى ويدبرها ذور الأرجاس ، أو أن يكون جعلهم الأرجاس أنفسهم ، <sup>(١)</sup> لما كانوا قد أسرفوا فى الفسق ، فصاروا كأهم الفسق والتجاسة نفسها <sup>(٢)</sup> كما يقال : رجل عدل ، ورجل رضا .

قوله : « مِرْعَادٌ مِرَاقٍ » ، أى ذات وهيد وتهدد ، وبحوز أن يعنى بالترعد صوت السلاح وقبضته ، وبالبرق لونه وضوءه .  
وكاشفة عن ساق : عن شدة ومشقة .

قوله : « برينها سقيم » ؛ يمكن أن يبنى بها أنها لشدةها لا يكاد الذى يبرأ منها وينفض يده عنها ببراً بالحقيقة ، بل لا بد أن يستثنى شيئاً من الفسق والعلال ، أى لشدة التباس الأمر واشتباء الحال على المكلفين حينئذ .  
ويمكن أن يبنى به أن المارِبَ منها غير تاجر ، بل لا بد أن يصيبه بعض معرفتها ومضرتها .

وظاعها مقيم ، أى ما يعارق الإنسان من أذاها ومضرها ؛ فكأنه غير مفارق له ، لأنه قد أبقى عنده أدوباً وعقائيل من ضرورها وغوائلها .

• • •

## الافضل

منها :

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَحْتَلُونَ بِمَقْدِ الْإِيمَانِ ، وَيُرْوِرُ الْإِيمَانِ ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ .

(١-١) ساقط من ب .

وَالزُّمُوا مَا عَقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبَيِّتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ . وَأَقْدَمُوا عَلَى  
 اللَّهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَأَنْتُمَا مَدَارِجُ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِلُ الْعُدْوَانِ ،  
 وَلَا تَدْخُلُوا بَطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بَيْنَ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَنَاصِيَةَ ،  
 وَسَهْلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

• • •

### البَيْخ :

يُقَالُ : طَلَّ دَمُ فُلَانٍ فَهُوَ مَطْلُولٌ ، أَيْ مُهْدَرٌ لَا يُطْلَبُ بِهِ ، وَيَجُوزُ أُطْلَ دَمُهُ ، وَطَلَّ  
 اللَّهُ وَأَطَلَهُ : أَهْدَرَهُ ، وَلَا يُقَالُ : طَلَّ دَمُ فُلَانٍ بِالْفَتْحِ ، وَأَبُو حَبِيذَةَ وَالْكَلْبِيُّ يَقُولَانِهِ .  
 وَيُخْتَلَوْنَ : يَخْدُمُونَ بِالْإِيمَانِ الَّتِي يَفْقِدُونَهَا وَيَقْسِمُونَ بِهَا ، وَبِالْإِيمَانِ الَّتِي يَظْهَرُونَ  
 وَيُفَرِّقُونَ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ : « فَلَا تَكُونُوا أَبْصَارَ الْعَيْنِ ، وَأَعْلَامَ الْبَدْعِ » ، أَيْ لَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَشَارُ  
 إِلَيْكُمْ فِي الْبَدْعِ كَمَا يَشَارُ إِلَى الْأَعْلَامِ النَّبِيَّةِ الْعَامَّةِ ، وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ : « كُنْ فِي  
 الْفِتْنَةِ كَابْنِ الْأَيُّونِ ، لَا ظَهَرَ فَبُرِكَبَ ، وَلَا ضَرِمَ فَيَعْلَبَ » ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ بِرُويهَا كَثِيرٌ  
 مِنَ النَّاسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَوْلُهُ : « وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ » ، جَاءَ فِي الْخَبَرِ : « كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَتُولِ » .  
 وَمَدَارِجُ الشَّيْطَانِ : جَمْعُ مَذْرَجَةٍ ، وَهِيَ السَّبِيلُ الَّتِي يَدْرَجُ فِيهَا . وَمَهَابِلُ الْعُدْوَانِ :  
 مَحَالَّةُ الَّتِي يَهْبِطُ فِيهَا .  
 وَلَعَقَ الْحَرَامِ : جَمْعُ لَعْفَةٍ ، بِالضَّمِّ ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَا تَأْخُذُهُ اللَّعْفَةُ ، وَاللَّعْفَةُ ، بِالْفَتْحِ :  
 الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ .

قَوْلُهُ : « فَإِنَّكُمْ بَيْنَ مَنْ حَرَّمَ » ، يُقَالُ : أَيْتَ بَيْنَ فُلَانٍ ، أَيْ أَنْتَ بِعَرَأْيٍ مِنْهُ ، وَقَدْ  
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِصِفَتَيْنِ : « فَإِنَّكُمْ بَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ » ، وَهَذَا  
 مِنْ بَابِ الْاسْتِمَارَةِ ، قَالَ سُبْعَانُهُ : « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ : « تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا » <sup>(٢)</sup> .

(١٥٢)

## الأصل

ومن خطبة له عليه السلام :

أَتُخَذُ فِي الدَّالِّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَيُحَدَّثُ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَاقِهِ ، وَيُشْتَبَاهِمُ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ؛ لَا تَخْلُقُهُ لِلشَّاعِرِ ، وَلَا تَحْبُبُهُ السَّوَابِرُ ؛ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمُصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَاللَّعْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ ، الْأَحَدِ بِلا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَتَصَبُّرٍ ، وَالسَّيِّعِ لَا بِأَذَانٍ ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ ، وَالشَّاهِدِ لَا بِعَمَاسَةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِتَرَاثُحِ مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَاةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِعَطَافَةٍ .

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَبَانَ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُصُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَدَّاهُ ، وَمَنْ أَدَّاهُ فَقَدْ أَرَاهُ ، وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ » فَقَدْ اسْتَوْصَمَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » ، فَقَدْ حَبَّزَهُ ، عَالِمٌ إِذَا لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذَا لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذَا لَا مَقْدُورٌ .

• • •

## الشرح :

[أبحاث كلامية]

في هذا الفصل أبحاث :

أولها في وجوده تعالى ، وإثبات أن للعالم صانعاً ؛ وهاتان طريقتان في الدلالة على وجوده الأول سبعانه :

إحدهما : الطريقة المذكورة في هذا الفصل ، وهي طريقة للتكلمين ، وهي إثبات أن الأجسام محدثة ، ولا بدّ للحديث من محدث .

والثانية : إثبات وجوده تعالى من النظر في نفس الوجود .

وذلك لأنّ الوجود ينقسم بالاعتبار لأول إلى قسمين : واجب وممكن ، وكلّ ممكن لا بدّ أن ينتهي إلى الواجب ، لأنّ طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقلّ بنفسه في قوامه ؛ فلا بدّ من واجب يستند إليه ؛ وذلك الراجب الوجود الضروري الذي لا بدّ منه ، هو الله تعالى .

وثانيها : إثبات أوليته ؛ وببانه ما ذكره في هذا الفصل ؛ وهو أن العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهة ، والمحدث لا بدّ له من محدث ، فإن كان ذلك المحدث محدثاً ، عاد القول فيه كالقول في الأول ، ويتسلسل ، فلا بدّ من محدث قديم ؛ وذلك هو الله تعالى .

وثالثها : أنه لا شبهة له ، أي ليس يحسم كنهه الأجسام ، وببانه ما ذكر أيضاً أن مخلوقاته متشابهة ، يعني بذلك ما يريد المتكلمون من قولهم : الأجسام متماثلة في الجسمية ، وأن نوع الجسمية واحد ، أي لا يختلف جسمٌ جسماً بذاته ، وإذا كانت متماثلة صحّ على كلّ واحد منها ما صحّ على الآخر ، فهو كال [ هـ ] سبحانه شبيهٌ منها - أي لو كان جسماً مثلاً - لوجب أن يكون محدثاً كمثلها ، أو تكون قديمة مثله ؛ وكلاً الأمرين محال .

وراسها : أن الشاعر لا تستطه ، وروى « لا تفسه » ؛ والشاعر الخواص ، وببانه أنه تعالى ليس يحسم لما سبق ؛ وبالس محسم استعمل أن تكون الشاعر لامية له ؛ لأنّ إدراك الشاعر مدركاً مَقْصُور على الأجسام وهيئتها . والاستسلام في اللغة : لس الحجر باليد وتقبيله ؛ ولا يهزم ، لأن أصله من السّلام وهي <sup>(١)</sup> الحجارة ؛ كما يقال : استنوّق الجمل ، وبمضمهم يهزمه .

وخامسها : أن السواتر لا تحجب ؛ وبما أنه أن السواتر والحجب ؛ إنما تحجب ما كان في جهة ؛ وذلك لأنها ذوات أين ووضع فلا نسبة لها ، إلى ما ليس من ذوات الأين والوضع .

ثم قال عليه السلام : « لا فتراف الصانع وللصنوع » ، إشارة إلى أن للصنوع من ذوات الصفة والصانع منزّه عن ذلك ؛ يرى عن اللوآء ، فلا يلزم فيه ما يلزم في ذوات المادة والحمة .

وسادسها : معنى قولنا . إنه أحد ، « أنه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس : أول العدد أحد وواحد ، بل المراد بأحديته كونه لا يقبل التجزؤ ؛ واعتبار آخر كونه لا ثاني له في الربوبية .

وسامها : أنه خالق ، لا بمعنى الحركة (والنصب) وهو النصب ؛ وذلك لأن الخالقين منّا يحتاجون إلى الحركة من حيث كانوا أجساما تعمل بالآلات ، والبارئ سبحانه ليس بحم ، ولا يفعل بالآلة ، بل كونه قادرا إنما هو لداته لطفة ، لا لأمر زائد عليها ، فلم يكن فاعلا بالحركة .

وثامسها : أنه صميع ، لا بأداة ؛ وذلك لأن حاجتنا إلى الحواس ، إنما كانت لأمر يخصنا ؛ وهو كوننا أحياء بحياة حالة في أوضاعنا ، والبارئ تعالى حي لداته ؛ فلم يحتاج في كونه مدركا إلى الأداة والجارحة .

وتاسمها : أنه بصير لا بتعريف آلة ، والمراد بتعريف الآلة هاهنا الشعاع الذي باعتباره يكون الواحد منّا مبصرا ، فإن القائلين بالشعاع يقولون : إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هي الأنسة ؛ وتكون آلة للعين في إحصاء البصرات ، فيتفرق عليها ، فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا ، والبارئ تعالى بصير لا شعاع يحمله آلة في الإدراك ، ويتفرق على المراتب

فمدرَكها به ؛ وذلك لما قد مناه من أنه حي لذاته ؛ لا بمعنى ، فلا يحتاج إلى آلة وأداة ووصلة تكون كالواسطة بينه وبين المدركات .

وعاشرها : أنه الشاهد لا عملة ؛ وذلك لأن الشاهد متنا هو الحاضر بحسبه عند المشهود ؛ ألا ترى أن من في الصين لا يكون شاهداً من في المغرب ؛ لأن الحضور الجسماني يقتصر إلى القرب ، والقرب من لوازم الجسمية ، فما ليس بجسم - وهو عالم بكل شيء - يكون شاهداً من غير قرب ولا بمائة ، ولا أين مطلوب .

وحادي عشرها : أنه الباطن لا يتراخى مسافة بينونه المارق عن المادة بينونه ليستأبئية ، لأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر بالجهة ؛ فلا جرم كان الباري تعالى مبايناً عن العالم ، لا بمسافة بين الذاتين .

وثاني عشرها : أنه الظاهر لا برويق ، والباطن لا باطافة ؛ وذلك لأن الظاهر من الأجسام ما كان مرئياً بالبصر ، والباطن منها ما كان لطيفاً حذاً ؛ إما لعنصره أو لشفافيته ، والباري تعالى ظاهر للبصائر لا للأبصار ، باطن ؛ أي غير مدرك بالحواس لأن ذاته لا تقبل المدركة إلا من حيث كان لطيف الحجم أو شفاف الجرم .

وثالث عشرها : أنه قال : بان من الأشياء بالظهور لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه <sup>(١)</sup> بالمضوع له ، والرجوع إليه ؛ هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء ، والفرق بينه وبين الموجودات كلها أنه واجب الوجود لذاته ، والأشياء كلها ممكنة الوجود <sup>(٢)</sup> بذواتها ، فكلها محتاجة إليه ، لأنها لا وجود لها إلا به ؛ وهذا هو معنى خضوعها له ، ورجوعها إليه . وهو سبحانه غني عن كل شيء ؛ ومؤثر في كل شيء ؛ إما بنفسه ، أو بأن يكون مؤثراً فيها هو مؤثر في ذلك الشيء ، كأفصاكا ، فإنه يؤثر فينا ؛ ونحن تؤثر فيها ، فإذا هو قاهر لكل شيء ، وقادر على كل شيء . فهذه هي البينونة بينه وبين الأشياء كلها .

(١) ج : هـ عه .

(٢) ساطعة من د .

ورابع عشرها : أنه لا صفة له زائدة على ذاته ؛ ونعني بالصفة ذاتاً موجودة قائمة بذاته ؛ وذلك لأن مَنْ أثبت هذه الصفة له فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، وهذا كلام غامض ، وتفسيره أن مَنْ أثبت له علماً قديماً أو قدرة قديمة ، فقد أوجب أن يعلم بذلك العلم معلومات محدودة ، أى محصورة ، وكذلك قد أوجب أن يقدر بتلك القدرة على مقدورات محدودة ؛ وهذه المقدمة فى كتب أصحابنا المتكلمين مما يذكرونه فى تقرير أن العلم الواحد لا يتعلق بمعلومين ، وأن القدرة الواحدة لا يمكن أن تتعلق فى الوقت الواحد من الجنس الواحد فى المحل الواحد إلا بجزء واحد ؛ وسواء فرض هذان المعنيان قديمين أو محدثين ، فإن هذا الحكم لازم لهما ، فقد ثبت أن مَنْ أثبت المسمى القديمة فقد أثبت البارئ تعالى محدود العلية والقادرية ، ومن قال بذلك فقد عدّه ، أى جعله من جهة الجنة المعدودة فيها بيننا كسائر البشر والحيوانات ، ومن قال بذلك ؛ فقد أبطل أزله ، لأن كل ذات مماثلة لهذه القدرات المحدثّة ؛ فإنها محدثة مثلها ، والمحدث لا يكون أزلياً .

وحامس عشرها : أن من قال : « كيف » ، فقد استوصفه ، أى من قال لزيد : كيف الله ؟ فقد استدعى أن يوصف الله بكيفية من الكيفيات ، والبارئ تعالى لا تجوز الكيفيات عليه ، والكيفيات هى الألوان والطعوم ونحوها ، والأشكال والمسمى وما يحرى تحرى ذلك ؛ وكل هذا لا يجوز إلا على الأجسام .

فإن قلت : ينبى أن يقول : « فقد وصفه » ، ولا يقال : « فقد استوصفه » ؛ لأن السائل لم يستوصف الله ؛ وإنما استوصف صاحبه الذى سأل عن كيفية الله .

قلت : « استوصف » ها هنا بمعنى « وصف » ؛ كقولك : استغنى زيد عن عمرو ، أى غنى عنه ، واستغنى عليه ، أى علا ، ومثله كثير .

وسادس عشرها : أن من قال : « أين » فقد حيزه ، لأن « أين » سؤال عن المكان ، وليس الله تعالى فى مكان ، ويأتى أنه فى كل مكان بمعنى العلم والإحاطة .



وسابع عشرها : أنه عالم إذ لا معلوم ، وربّ إذ لا مروب ، وقادر إذ لا مقدور ، وكلّ هذا صحيح ومدلول عليه ، لأنه عالم فيما لم يزل وليس شيء من الأشياء بموجود ، وهو ربّ كلّ شيء قبل أن يخلقه ، كما تقول إنه سميع بصير قبل أن يدرك السموات وللبررات ، أي قبل أن يخلقها ، وقادر على الأشياء قبل كونها ، لأنه يستحيل حال كونها أن تكون مقدورة ، لاستحالة إيجاد الموجود .

وقد شرحنا كل هذه المسائل التوحيدية في كتابنا المصنّف في علم الكلام .

• • •

## الأصل

منها :

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَاحِقٌ ، وَلَاحَ لَاحِقٌ ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا ؛ وَانْتَظَرْنَا الْغَيْبَ ، أَنْتَظَرُ الْجَدِيبَ الْمَطَرُ .  
وَإِنَّمَا الْأُتِيَةُ قَوْمًا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ .  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْمُ سَلَامَةٍ ، وَجَاءَ كَرَامَةٍ ، أَعْطَانِي اللَّهُ تَعَالَى مَسْجِدَهُ وَبَيْنَ حُجَّجِهِ ، مِنْ ظَاهِرٍ عِلْمٍ ، وَبَاطِنٍ حُكْمٍ ؛ لَا تَقْنِي غَرَابِيَهُ ، وَلَا تَنْقِضُ عَمَائِيهِ .

فِيهِ مَرَايِيعُ النِّعَمِ ، وَمَصَابِيحُ الطُّلَمِ ، لَا تُهْتَجُّ أَنْظِيرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ ، قَدْ أَتَى حَمَاءُ ، وَأَرْعَى مَرَعَاءُ ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَقَى ، وَكِفَاةُ الْكَتَنَى .

• • •

## البَينُج :

هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه .  
 قد طلع طالع ، يعنى عَوْدُ الخلافة إليه ، وكذلك قوله : « ولمع لامع ، ولاح لائح » :  
 كل هذا يراد به معنى واحد .  
 واعتدل مائل ، إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان ،  
 واستبدل الله عثمان وشيعته علياً وشيعته ، وبأهـام ذلك أيام هذا .  
 ثم قال : « وانتظرونا المير انتظار المجدب للمطر » ؛ وهذا الكلام يدل على أنه قد كان  
 يترقب عثمان الدوائر ، ويرتقب حلول الخطوب بساحته ، ليلى الخلافة .  
 فإن قلت : أليس هو الذى خلق الدنيا ، فأين هذا القول من طلائها ؟  
 قلت : إنه طلق الدنيا أن جهل<sup>(١)</sup> بها حفظاً دنيوياً ، ولم يطلقها ، أن يسهى فيها عن  
 المنكرات التى أمره الله تعالى بالنهى عنها ، ويقيم فيها الدين الذى أمره الله بإقامته ، ولا  
 سبيل له إلى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة .

• • •

## [ عقيدة على في عثمان ورأى المتزلة في ذلك ]

فإن قلت : أيموز على مذهب المتزلة أن يقال : إنه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان ،  
 انتظار المجدب المطر ، وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة ؟  
 قلت : إنه عليه السلام لم يقل : « وانتظرونا قتله » وإنما انتظر المير ، فيحوز أن يكون  
 أراد انتظار حله وعزله عن الخلافة ، فإن علياً عليه السلام عند أصعابنا كان يذهب إلى  
 أن عثمان استعق الخلع بإحداثه ، ولم يستعق القتل ، وهذا الكلام إذا قيل على انتظار  
 الخلع كان موافقاً لمذهب أصعابنا .

(١) د : « ينال » .

فإن قلت : أتقول المعتزلة إن عليا كان يذهب إلى فتق عِمان المستوجب لأجله الخلع ؟ قلت : كذلك حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك أو إنما تقول إن عليا كان يرى أن عِمان يضاعف عن تدبير الخلافة ، وأن أهله غمُّوا عليه ، واستبدوا بالأمر دونه ، واستمجزه المسلمون ، واستسقطوا رأيه ، فصار حكمه حكم الإمام إذا غيى ، أو أسره العدو ، فإنه يتصلح من الإمامة .

• • •

ثم قال عليه السلام : « الأئمة قوام الله على خلقه » ، أى يقومون بمصالحهم ، وقيم المنزل : هو المدير .

قال : « وعرفاؤه على عبادته » : جمع عريف ، وهو النقيب والرئيس ، يقال : عريف فلان بالضم عرافة بالفتح ، مثل خطبة أى خطب عريفا ، وإذا أردت أنه عمل ذلك قلت : عريف فلان عليهما سنين ، بعريف عرافة بالكسر ، مثلي كتب يكتب كتابه .

قال : « ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه » ، هذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قال المفسرون : ينادى فى الموقف : يا أتباع فلان ، ويا أصحاب فلان ، فينادى كل قوم باسم إمامهم ، بقول أمير المؤمنين عليه السلام : لا يدخل الجنة يومئذ إلا من كان فى الدنيا عارفا بإمامه ، ومن بعرفه إمامه فى الآخرة ، فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة ، وإن لم يكونوا رأواهم فى الدنيا ، كأن النبى صلى الله عليه وآله يشهد <sup>(٢)</sup> للمسلمين وعليهم ، وإن لم يكن رأى أكثرهم ، قال سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ <sup>(٣)</sup> وجاء فى الخبر

(١) سورة الإسراء ٧١ .

(٢) ب : « شهد » .

(٣) سورة النساء ٤١ .

للفروع : « مَنْ مات بغير إمام مات ميتة جاهلية » ، وأصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية ؛ وهي أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة ؛ ألا ترى أنهم يقولون : الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان ، ويمدّونهم واحدا واحدا ، فلو أن إنسانا لا يقول بذلك ؛ لكان عندهم فاسقا ، والفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا ، أعنى مَنْ مات على فسقه . فقد ثبت أن هذه القضية ، وهي قوله : عليه السلام : « لا يدخل الجنة إلا مَنْ عرفهم » قصيدة صحيحة على مذهب المعتزلة ، وليس قوله : « وعرفوه » بمنكر عند أصحابنا ؛ إذا فسرنا قوله تعالى : ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ) على ما هو الأظهر والأشهر من التفسيرات ، وهو ما ذكرناه .

وبقيت القضية الثانية فيها الأشكال ، وهي قوله عليه السلام : « ولا يدخل النار إلا مَنْ أنكرهم وأنكروه » ، وذلك أن قائل أن يقول : قد يدخل النار مَنْ لم ينكرهم ؛ مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة إمامة القوم الذين يذهب أنهم أئمة عند المعتزلة ، ثم يزني أو يشرب الخمر من غير توبة ، فإنه يدخل النار ؛ وليس بمنكر للأئمة ؛ فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية وبين الاعتزال !

فالجواب أن الواو في قوله « وأنكروه » بمعنى « أو » كافي قوله تعالى : ( فَانْكِرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ )<sup>(١)</sup> فالإنسان للفروض في السؤال وإن كان لا ينكر الأئمة إلا أنهم ينكروه ، أى يسخطون يوم القيامة أفعاله ، يقال : أنكرت فعل فلان أى كرهته ؛ فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا ، فأما الإمامية فإنهم يحصلون ذلك على تأويل آخر ، وينسبون قوله : « ولا يدخل النار » ، فيقولون : أراد ولا يدخل النار دخولا مؤبداً إلا من ينكرهم وينكروه .

ثم ذكر عليه السلام شرف الإسلام ، وقال : إنه مشتق من السلامة ، وإنه جامع للكرامة ، وإن الله قد بين جميعه ، أى لأدلة على صحته .

ثم بين ما هذه الأدلة ، فقال : « من ظاهر علم ، وباطن حكم » أى حكمه ، « من » ها هنا للتبيين والتفسير ؛ كما تقول : دفعت إليه سلاحاً من سيف ورمح وسهم ؛ ويعنى بظاهر علم وباطن حكم ، والقرآن ، ألا تراه كيف أتى بهذه الصفات ونعوت لا تكون إلا للقرآن ؛ من قوله : « لا تنفى عزائمه » أى آياته المحسنة . و « براهينه العازمة » أى القاطعة ولا تنفص عجزائه ؛ لأنه مهما تأمل الإنسان استخرج منه بكفر غرائب مجانب لم تسكن عنده من قبل .

« فيه سرايع للثمن » : السرايع الأمطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سبباً لظهور الكلأ ، وكذلك تدبر القرآن سبباً للثمن الدينية وحصولها .

قوله : « قد أحى حماء ، وأرعى سراطه » ، الصير فى « أحى » يرجع إلى الله تعالى ، أى قد أحى الله حماء ، أى عرضة لأن يحى ، كما تقول : أقتلت الرجل ، أى عرضته لأن يقتل . وأضرته ، أى عرضته لأن يضرب ؛ أى قد عرض الله تعالى حى القرآن ومحارمه لأن يمتنع ومكن منها ، وعرض مراءاه لأن يرعى ، أى مكن من الانقناع بما فيه من الزواجر واللواغظ لأنه خاطبنا بلسان عربى مبين ، ولم يفتح بياناً لا نعلم إلا بالشرع حق فيه فى أكثره على أداة العقل .

( ١٥٣ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَهُوَ فِي مَثَلَةٍ مِّنْ أَنفِهِ يَهْوَىٰ مَعَ الْعَافِينَ، وَيَمْدُو مَعَ الْمُدْنِيِّينَ ، بِأَلَّا سَبِيلَ قَاصِدٍ ،  
وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

\*\*\*

الشرح :

يصف إماماً من أهل الصلال غير معتب ، بل كما تقول : رحم الله أمراً اتقى ربه وخاف  
ذنبه ، وأمس الرجل رجل قلّ حياؤه ، وعدم وقاره ؛ ولست تسمى رجلاً نعيه .  
ويهوى : يسقط . والسبيل القاصد : الطريق المؤدية إلى المطلوب .  
والإمام : إما الخليفة ، وإما الأستاذ ؛ أو الدين ، أو الكتاب ؛ على كل من هؤلاء تطلق  
هذه اللفظة .

\*\*\*

الأصل :

منها :

حَتَّىٰ إِذَا كُشِفَتْ لَهُمْ عَنْ جَرَائِهِمْ مَعْصِيَتُهُمْ ، وَاسْتَفْخَرَتْ جَهَنَّمُ مِنْ جَلَالِ بَيْتِ غَفَاتِهِمْ ،  
اسْتَفْتَلُوا مُذِيرًا ، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا ؛ فَلَمْ يَنْقَضِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا  
مِنْ وَطَرِهِمْ .

وَأَنِّي أَعِزُّكُمْ وَتَقِي هَذِهِ لَأَنزِلَةً ، فَهَذَا تَفْعَلُ أَمْرًا بِنَفْسِهِ ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ  
تَمَحَّصَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِعًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ  
الضَّرْعَةَ فِي الْمَهَادِي ، وَالضَّلَالَ فِي الْمَهَادِي ، وَلَا يُسِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْفَوَاةَ بِتَمَكُّفٍ فِي حَقِّهِ ،  
أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَفْقِهِ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقِهِ .

فَأَنقِ أَهْلًا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَأَسْتَنْفِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَأَحْصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ؛  
وَأَنْتُمْ الْيَكْرُ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ الَّذِي الْأَمْرُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ ،  
وَلَا تَحِمْصَنَّ عَنْهُ . وَحَافِلٌ مَنْ حَافِلٌ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَاهُ وَمَارَضِي لِنَفْسِهِ ، وَضَعُ  
فَخَرَّكَ ، وَأَخْطَطُ كِبْرَكَ ؛ وَأَذْكَرُ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ تَمَرُّكَ ، وَكَأَمَّا تَدِينُ تَدَانُ ؛  
وَكَأَمَّا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ؛ وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا ؛ فَاثْمَدَ إِقْدَمِكَ ، وَقَدَّمَ لِيَوْمِكَ .  
فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ أَهْلًا السَّامِعُ أَوْ الْجَدُّ الْجَدُّ ؛ أَهْلًا الْعَاقِلُ ؛ (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) <sup>(١)</sup> .



### التفسير :

فَاعِل « كَشَفَ » هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا كَشَفَ لَهُمْ  
عَنْ حِزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ بِمَا أَرَاهُمْ حَالِ اللُّوتِ مِنْ دَلَائِلِ الشَّقْوَةِ وَالْعَذَابِ ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ  
الصَّحِيحِ أَنَّهُ : « لَا يَمُوتُ مَيِّتٌ حَقٌّ بَرِيٍّ مَقْرَهُ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ » .

وَلَمَّا انْفَتَحَتْ أَعْيُنُ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ مَعَارِقَةِ الدِّيَارِ ؛ تَنَبَّاهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَخْرَاجًا لَهُمْ مِنْ  
جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ النِّفْلَةِ وَالتَّهْوِيلِ فِي لِبَاسٍ نَزَعَ عَنْهُمْ .

قَالَ : « اسْتَظْلَمُوا مَدْبَرًا » ، أَيْ اسْتَظْلَمُوا أَمْرًا كَانَ فِي ظُهُورِهِمْ وَاعْتَادَهُمْ مَدْبَرًا عَنْهُمْ ؛ وَهُوَ  
الشَّقَاءُ وَالْمَذَابُ . « وَاسْتَدْبَرُوا مَقْبَلًا » تَرَكَوْا وِرَاءَهُمْ ظُهُورَهُمْ مَا كَانُوا خَوَّلُوهُ مِنَ الْأَوْلَادِ  
وَالْأَمْوَالِ وَالنِّفَمِ ، وَفِي قُوَّةِ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : عَرَفُوا مَا أَنْكَرُوهُ وَأَنْكَرُوا مَا عَرَفُوهُ :

ودرى : « أحذركم ونفسى هذه للزلة » بفعلة ، من الزلزال ، وفى قوله : « ونفسى » لطافة وشيقة ؛ وذلك لأنه طيب قلوبهم بأن جعل نفسه شريكة لهم فى هذا التحذير ، ليكونوا إلى الاتقياء له أقرب ، وعن الإباء والثفرة أبعد ؛ بطريق جدير لأحب .

والمهاوى : جمع مهواة ؛ وهى الهوة يتردى فيها .

والمناوى : جمع منواة ، وهى الشبهة التى يفرى بها الناس ، أى يصلون .

يصف الأمور التى يمين بها الإنسان أبواب الضلال على نفسه ، وهى أن يستغنى حق بقوله ، أو يأمر به ، فإن الرقى أنجح ، وأن يحرف للطلق فإن الكذب لا يثمر خيرا ، وأن يخوف من الصدق فى ذات الله ، قال سبحانه : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فذم من لا يصدق ويحلف فى الحق .

قوله : « واخضِر من مهلك » ، أى لا تكن مهلك كثيرة ، بل إذا كانت لك حجة فلكن شيئا يسيرا .

وتقول : أنمت النظر فى كذا ، أى دققته ، من قولك : أنمت سحق الحمر ، وقيل : إنه مقلوب « آمن » .

والنبي الأمي : إما الذى لا يحسن الكتابة ، أو للنسب إلى أم القرى ؛ وهى مكة . ولا يحصى عنه : لا مفر ولا مهرب ، حاص ؛ أى تحلص من أمر كان شبا فيه .

قوله : « فإن عليه ممر » أى ليس للقبر بدار مقام ، وإنما هو ممر وطريق إلى الآخرة .



وكان تدين ندان ، أى كما تجازى غيرك تجارى بفعلك وبحسب ما عملت ؛ ومنه قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> أى يجربون ؛ ومنه البيان فى صفة الله تعالى .  
قوله : « وكان تزرع تحصد » معنى قد قاله الناس بعده كثيرا ، قال الشاعر :  
إذا أنت لم تزرع وأدركت حاصداً      ندمت على التفسير فى زمن البذر  
ومن أمثالهم : « من زرع شرا حصد ندما » .  
فامهد لنفسك : أى سوّ ووطئ .  
﴿ وَلَا يُبَشِّرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> من القرآن العزيز ، أى ولا يخبرك بالأمر أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها .

• • •

## الاجل :

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الْذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، لِقَى عَابَتَهَا يُنِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى  
وَيَسْخَطُ ؛ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ حَبِداً - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ ، وَأَحْلَسَ فَمَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنْ  
الْأُمِّيَا لَا قِيَا رَبَّهُ بِمَخْصَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحِصَالِ لَمْ يَنْبُ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فَيَا أَفْتَرَضَ  
عَلَيْهِ مِنْ مِبادِيهِ ، أَوْ يُشْفِي غَيْظَهُ يَهْلِكِ نَفْسُهُ ؛ أَوْ يُعَمِّرَ بِأَمْرِ فَتَهُ غَيْرُهُ ؛  
أَوْ يَسْتَنْصَحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ،  
أَوْ يَمْشَى فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْيَمْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَيْئِهِ .  
إِنَّ الْهَائِمَ كَهْمًا بَطُونًا ، وَإِنَّ السَّجَاعَ كَهْمًا الْمُدَوَّنُ عَلَى خَيْرِهَا ، وَإِنَّ النِّسَاءَ كَهْمًا  
زِينَةُ الْكُلِّيَاةِ الْإِثْمِيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا .  
إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ مُسْتَكِينُونَ ، إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ الْمُؤْمِدِينَ حَائِفُونَ .

• • •

## الْبُخْرُ :

عزائم الله ، هي موجباته والأمر للقطع عليه ، الذي لا ريب فيه ولا شبهة ، قال عليه السلام : إن من الأمور التي عص الله تعالى عليها نصاً لا يحتمل التأويل - وهي من العزائم التي يقطع بها ، ولا رجوع فيها ولا نسخ لها - أن من مات وهو على ذنب من هذه الذنوب <sup>(١)</sup> المذكورة - ولو اكتفى بذلك عليه السلام لأغناه عن قوله : « لم يقب » إلا أنه ذكر ذلك تأكيداً وزيادة في الإيضاح <sup>(٢)</sup> - فإنه لا ينفعه فعل شيء من الأفعال الحسنة ولا الواجبة ؛ ولا تفيده العبادة ؛ ولو أجهد فيه فيها ؛ بل يكون من أهل النار . والذنوب المذكورة هي أن يتخذ مع الله إلهاً آخر فيشركه في العبادة ، أو يقتل إنساناً بغير حق ، بل لبشرى غيظه ، أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو .

مره بكذا يعرّه عراً ، أي عابه ولطّخه ، أو يروم بلوغ حاجة من أحدهم بإظهار بدعة في الدين ؛ كما يفعل أكثر الناس في زماننا ، أو يكون ذا وجهين ؛ وهو أيضاً قوله : « أو يمشي فيهم بلسانين » ؛ وإنما أضافه تأكيداً كيداً .

• • •

لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد ، أقامه في قبة حراء ، وأدخل الناس يسلمون على معاوية ، ثم يحملون إلى قبة يزيد ، فيسلمون عليه بولاية العهد ؛ حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، أما إنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعفها ؛ وكان الأحنف جالساً ، فما حفت الناس ، قال معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر ! قال : أخاف الله إن كذبتك ، وأخافك إن صدقتك ؛ فإذا أقول ! فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بصيلة جريئة . فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب ، فقال : يا أبا بحر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله هذا الرجل ؛ ولكن هؤلاء

(٢) ١ ، ج ١ ، زيادة الإيضاح .

(١) ساقطة من ب .

قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ، فلما طمع في استخراجها إلا بما سمعت  
 فقال : يا هذا أميتك عليك ؛ فإن ذا الوحيين حليق ألا يكون وجيهاً عند الله غداً .

• • •

ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ، ويعلم باطن خطابه ؛ وإنما رمز بباطن هذا  
 الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل ، لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاك وإهلاك غيره  
 من المسلمين ، وعرضوه <sup>(١)</sup> عليه السلام بأمرهم مدلوله ، وهو التأليب على عثمان وحضره ،  
 واستنجعوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ، وثقوا الناس بوحين  
 ولسانين ؛ لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به ، ثم دَبُّوا له الحمر <sup>(٢)</sup> ، لحمل دنوسهم هذه  
 بمائلة لتشرك بالله سبحانه ؛ في أنها لا تُعَمَّرُ إلا بالتوبة ، وهذا هو معنى قوله : « اعقل ذلك »  
 فإن المثل دليل على شبهه . وَرَوَى « فَإِنَّ الْمَثَلَ » واحد الأمثال ، أى هذا الحكم بعدم  
 المعفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام ، والواحد منها دليل على ما يمثله ويشابهه .  
 فإن قلت : فهذا تصريح بمنهج الإمامية في طمحة والزبر وعائشة .

قلت : كلاً ، فإن هذه الخطبة خطب بها وهو سائر إلى البصرة ، ولم تقع الحرب  
 إلا بعد تمديد الكهائن ، ورمز فيها إلى المدكورين ، وقال : « إن لم يتوبوا » ؛ وقد  
 ثبت أنهم تابوا ، والأخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستقيمة .

ثم أراد عليه السلام أن يوصي إلى ذكر النساء لاحتال التي كان وقع إليها من استنجاح  
 أعدائه بأسرأة ؛ فذكر قبل ذكر النساء أنواعاً من الحيوان ، تمهيداً لقاعدة ذكر النساء ،  
 فقال : إِنَّ اللَّهَ نَزَّهٌ عَنْهَا بَطُونُهَا ، كالحمر والبقر والإبل العَمَم ، وإن السباع همها العدوان

(١) عروه : مسوه .

(٢) آخر الفوم ؛ إذا تواروا بالخر ؛ ونحن للرجل إذا حبل صاحبه : هو يد له الضراء ويعنى له  
 الخمر .

قَلَىٰ غيرها ؛ كالأسود العنصرية والنمور والنهود والنراة والمقور . ثم قال : وإن النساء  
همن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها .

نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة قلى شجرة ، فقال : ليت كل شجرة تحمل مثل  
هذه الثمرة .

ومرت امرأة سقراط وهو يتسرق في الشمس ، فقالت : ما أقبحك أيها الشيخ !  
فقال : لو أتكنت من للرأى الصدئة لعمى ما بان من قبح صورتي فيكن .

ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة ، فقال : منهم يسقى سماً ليرمى به يوماً ما .

ورأى بعضهم جارية تحبل نارا ، فقال : نار قلى نار ؛ والحامل شر من الحمل  
وقيل لسقراط : أي السباع أحسن ؟ قال : لمرأة .

وتزوج بعضهم امرأة نحيفة ، فقيل : في ذلك ، فقال : احترت من الشر أقطه .

ورأى بعض الحكماء امرأة مريضة قد احتملها السيل ، فقال : رادت الكدر  
كدرًا ، والشر بالشر يهلك .

• • •

ثم ذكر عليه السلام خصائص المؤمن ، فقال : إن المؤمنين مستكبرون ؛ استكان  
الرجل ، أى خضع وذل .

إن المؤمنين مشفقون ، التقوى رأس الإيمان كما ورد في الخبر .

ثم قال : « إن المؤمنين خائفون » ؛ هو الأول وإنما أكد ، والتأكيده مطلوب في  
باب الخطابة .

( ١٥٤ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَنَظِيرُ قَلْبِ الْكَلْبِ بِوَيْسِيرِ أَمَدِهِ ، وَيَسْرِفُ غَوْرَهُ وَتَجَدُّهُ .  
دَائِعٌ دَعَا ، وَرَائِعٌ رَعَى ؛ فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَأَتَّبِعُوا الرَّاعِي .

• • •

الشرح :

يقول : إن قلب الكلب له عين يبصر بها غايته التي يجري إليها ، ويعرف من أحواله المستقلة ما كان مرتفعاً أو منخفضاً ساقطاً . والتجدد : الارتفع من الأرض ، ومنه قولهم للعالم بالأمور : « طَلَّعَ أَمَّجَد » .

ثم قال : « دَائِعٌ دَعَا » : موصح « دَائِعٌ » رفع ، لأنه مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره : « في الوجود دَائِعٌ دَعَا ، وَرَائِعٌ رَعَى » : وبمعنى بالداعي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبالراعي نفسه عليه السلام .

• • •

الأصل :

قَدْ حَاصُوا بِحَارِ الْفِتَنِ ، وَأَحْدُوا بِالْبِدَعِ دُونَ الشَّيْنِ ؛ وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ  
الصَّائِلُونَ الْمَكْدُوبُونَ .

نَحْنُ الشَّعَارُ وَالْأَصْعَابُ ، وَالنَّفَرَةُ وَالْأَبْوَابُ ؛ وَلَا تُوتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛  
فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سَارِقًا .

## الْبَيْتُ :

هذا كلام متصل بكلام لم يحكيك الرحمن رحمه الله ؛ وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ في ذمتهم ، ونفى عليهم عيوبهم .

وَأَرَزَ لِلْمُؤْمِنِينَ : أَيِ اقْبَضُوا ؛ وَالضَّارِعَ « بَارِزَ » بِالْكَسْرِ أَرَزَا وَأَرَوْزَا ، وَرَجُلٌ أَرَوْزٌ أَيِ مُتَقَبِضٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ الْإِسْلَامَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُفْرِهَا » <sup>(١)</sup> ؛ أَيِ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا وَيَجْتَمِعُ .

ثُمَّ قَالَ : « نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ » ؛ بِشِيرٍ إِلَى فَهْمِهِ ، وَهُوَ أَبَدًا بِأَنَّى بَلْفِظَ الْجَمْعَ وَمُرَادُهُ الْوَاحِدَ .

وَالشُّعَارُ : مَا يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ سَائِرِهَا إِلَيْهِ ؛ وَمُرَادُهُ الْإِخْتِصَاصُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَالْحَرَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَمَعَى بِهِ خَزَنَةُ الْعِلْمِ وَأَبْوَابُ الْعِلْمِ ؛ لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « أَمَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَهِيَ بَابُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ » . وقوله فيه : « حَازِنٌ عَلَيَّ » وَقَالَ تَارَةً أُخْرَى : « عَيْنَةٌ عَلَيَّ » . وَيُمْكِنُ أَنْ يَرْمِزَ خَزَنَةَ الْجَنَّةِ وَأَبْوَابَ الْجَنَّةِ ، أَيْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ وَاقَى بِوَلَايَتِنَا ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي حَقِّهِ الظَّهْرُ الشَّامِعُ الْمُسْتَفِيسُ ؛ إِنَّهُ قَسَمَ النَّارَ وَالْجَنَّةَ ، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْمَرْوِيُّ فِي " الْجَمْعِ بَيْنَ الْعَرَبِيِّينَ " ، أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَتَمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ فَسَّرُوهُ فَقَالُوا : لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يُحِثُّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ كَأَنَّهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَسَمَ النَّارَ وَالْجَنَّةَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَقَالَ غَيْرُهُمْ هَؤُلَاءِ : بَلْ هُوَ قَسَمَ بَيْنَهُمَا بِنَفْسِهِ ؛ بِدُخُولِ قَوْمًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَقَوْمًا إِلَى النَّارِ ؛ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ أَخِيرًا هُوَ مَا يَطَابِقُ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهِ ، يَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِي فَدَعِيهِ ، وَهَذَا لَكَ فَجَذِبِيهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْبُيُوتَ لَا تُؤْتَى إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

(١) الْبَيْتُ لَابِ الْأَثَرِ ١ : ٢٤ .

البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (١).

ثم قال : مَنْ أتاها من غير أبوابها سمى سارقاً ، وهذا حق ظاهر وباطن ؛ أما الظاهر فلأن مَنْ ينسور البيوت من غير أبوابها هو السارق ، وأما الباطن فلأن مَنْ طلب العلم من غير أستاذ محقق فلم يأتيه من بابه ؛ فهو أشبه شيء بالسارق .

\*\*\*

### [ ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل علي ]

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فُسر نفسه ، وبالنسبة في تمديد مناقبه وفضائله بفصاحته ؛ التي آتاه الله تعالى إياها ، واختصه بها ، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة ؛ لم يبلغوا إلى مشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره ؛ ولست أعنى بذلك الأخبار للمائة الشائمة التي يحتاج بها الإمامية على إمامته كغير المدير ، والثرثرة ، وقصة براءة ، وحب المناجاة ، وقصة حير ، وفتح الدار محكمة في إبداء الدعوة ؛ ونحو ذلك ؛ بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث ، التي لم يحصل أقل القليل منها غيره ؛ وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يُتهمون فيه ، وجعلهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس مالا يوجه رواية غيرهم .

\*\*\*

انظر الأول : « يا علي ، إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها ، هي زينة الأبرار عند الله تعالى ، الزهد في الدنيا ، جمالك لا ترزأ من الدنيا شيئاً (٢) ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ؛ ووهبك حب المساكين ، جعلك ترضى بهم أتباعاً ؛ ويرضون بك إماماً » .

(١) سورة النور ١٧٧

(٢) ترزأ : تأحد .

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ "حلية الأولياء" وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند" : « فطوى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك ! » .

\*\*\*

الخبر الثاني : قال لومد ثقيف : « تَتَلَيْنَ ، أَرَأَيْتَ إِيَّاكُمْ رَجُلًا مَنَّى أَوْ قَالَ : عَدِيلَ نَفْسِي ، فليضربن أعناقكم ، وأيسرين ذرائعكم ، وليأخذن أموالكم » . قال عمر : فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ ، وجعلت أنصِبُ له صدرى رجاء أن يقول : هو هذا . فالتفت فأخذ بيد عليّ وقال : « هو هذا ! » ، مرتين .

رواه أحمد في "المسند" ؛ ورواه في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، أنه قال : « لَتَنَمَّيَنَّ بَنِي وَلِيَّةٍ <sup>(١)</sup> ، أَوْ لَأَبْشُرَنَّ إِيَّاكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي ، يُعْضِي فِهْكُمْ أَمْرِي . يَقْتُلُ الْقَاتِلَةَ ، وَيَسِي الذَّرِيَّةَ » . قال أبو ذر : فما رايتُ إلا يرتد كُفَّ عَمْرِي حُفْرَتِي <sup>(٢)</sup> مِنْ خَلْقِي ، يقول : مَنْ تَرَاهُ بَنِي ؟ قُلْتُ : إِيَّاهُ لَا بَشِيكَ ، وَإِيَّاهُ بَنِي خَاصَّةِ النَّعْلِ ، وَإِنَّهُ قَالَ : « هو هذا » .

\*\*\*

الخبر الثالث : « إِنَّ اللَّهَ عَهْدِي فِي حُلَّةٍ عَهْدًا ، قُلْتُ : يَا رَبِّ يَتَنَّهُ لِي ، قُلْتُ : اسْمَعْ ، إِنَّ عَلِيًّا رَايَةُ الْهُدَى ، وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي ، وَنُورٌ مِنْ أَطَاعِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلَزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ؛ مَنْ أَحَبَّ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي ؛ فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ ، قُلْتُ : قَدْ بَشَّرْتَهُ يَا رَبِّ فَقَالَ : أَنَا عَهْدُ اللَّهِ فِي قَبْضَتِهِ ؛ فَإِنْ يَحْذَرُنِي فَيَذَنُونِي لَمْ يَظْلَمْ شَيْئًا ، وَإِنْ يَتَمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَهُوَ أَوَّلِي ؛ وَقَدْ دَعَوْتُ لَهُ قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ قَبْهَ ، واجعل رِيْبَهُ الْإِيمَانَ بِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنِّي مَحْتَصَةٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْبِلَاءِ لَمْ أَخْتَصْ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي ، قُلْتُ : رَبِّ ، أَخِي وَصَاحِبِي أَقَالَ : إِنَّهُ سَبَقَ فِي عَلِيٍّ : إِنَّهُ لَيَبْتَلِي وَمَيَّتَلِي » .

(١) بنو وليعة : حتى في كعدة .

(٢) الهجرة : موضع الإزار .



ذكره أبو نعيم الحافظ في "حلية الأولياء" عن أبي برزة الأسلمي، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر، عن أنس بن مالك: «إن رسالتين عهد في علي إلى عهداً؛ إلهامية الهدى، ومشار الإيمان، وإمام أوليائي، وصور جميع من أطاعني - إن علياً أمين غداً في القيامة، وصاحب رايقي، بيد علي مفتح خزائن رحمة ربي».

\*\*\*

الخبر الرابع: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عرّسه، وإلى آدم في جلّسه، وإلى إبراهيم في جلّته، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب». رواه أحمد بن حنبل في "المسند"، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

\*\*\*

الخبر الخامس: «من سرّه أن يحيا حياي، ويموت ميتي؛ ويتمسك بالقصيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده، ثم قال لها: كوني فسكات؛ فليتمسك بولاء علي بن أبي طالب». ذكره أبو نعيم الحافظ في كعب "حبيه لأولياء" ورواه أبو عبد الله بن حنبل في "المسند"، في كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه: «من أحب أن يتمسك بالقصيب الأحمر الذي حرسه الله في حمة عدن يمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب». الخبر السادس: «والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت القصارى في ابن مريم، قللت اليوم عليك مقالا؛ لأنّ من المسلمين إلا أخذوا القرب من تحت قدميك للمركة».

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند".

\*\*\*

الخبر السابع: خرج صلى الله عليه وآله على الحبيب عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد

بأهـى بكم اللانكة عامة ، وغفر لكم عامة ، وبأهـى بعلى خاصة ، وغفر له خاصة . إلى  
قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرايتى ؛ إن السعيد كل التعيد حق السعيد من أحت  
علياً فى حياته وبعد موته .

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائل على عليه السلام ، وفى  
" المسند " أيضاً .

\*\*\*

الخبر الثامن : رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى الكتابين المذكورين : « أنا أول  
من يدعى به يوم القيامة ؛ فأقوم من بين العرش فى ظله ، ثم أكرسى حلة ، ثم يدعى بالنبين  
نصهم على أمرهم ؛ فيقومون عن بين العرش ويسكتون حلاً ، ثم يدعى بعلى  
ابن أبى طالب لقرايته منى ومرايته عندى ، ويدفع إليه لوائى أواء الحمد ، آدم ومن دونه تحت  
ذلك اللواء . ثم قال لعلى : « ففسر به حتى تقف بينى وبين إبراهيم الخليل ، ثم تكسى حلة ،  
وينادى من العرش : نعم العبد أبوك إبراهيم أو نعم الأخ أخوك على أشرف قبلك تدعى  
إذا ذهبت ، وتسكنى إذا كسيت ، وتحياً إذا حشيت »

\*\*\*

الخبر التاسع : « يا أس ، اسكب لى وضوءاً » ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال : « أول من  
يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين ، وحيد المسلمين ، وبسوط الدين ، وخاتم الوصيين  
وقائد المرء المحجلين » . قال أس : قلت : اللهم احمل رجلاً من الأحرار ، وكتبته دعوتى ،  
لجاء على ، فقال : صلى الله عليه وسلم : « من جاء يا أس » ؟ فقلت : على ؛ فقام  
إليه مستبشراً ، فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه . فقال على : يا رسول الله ، صلى الله  
عليك وآلِكَ ؛ لقد رأيت منك اليوم نضع لى شيئاً ما صنعت به قبل ؛ قال : « وما يعنى  
وأنت تؤذى عنى ، وتسمهم صوتى ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى » .

رواه أبو نعيم الحافظ فى " حلية الأولياء " .

\*\*\*

الخبر العاشر : « ادعوا إلى سيد العرب علياً » ، قالت عائشة : أأنت سيد العرب ؟ فقال : « أنا سيد ولد آدم ، وعلى سيد العرب » ؛ فلما جاء رسول إلى الأنصار ، فأنشده ، فقال لهم : « يا معشر الأنصار ، ألا أدلكم على ما لن تمسككم به لن نصنوا أبداً » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « هذا علي » ؛ فاحتبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ؛ فلن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل » .

رواه الخافظ أبو نعيم في " حلية الأولياء " .

•••

الخبر الحادي عشر : « مرحباً سيد المؤمنين وإمام المؤمنين » ؛ فقيل لعلي عليه السلام : كيف شكرتك ؟ قال : أحمد الله على ما آتاني ، وأسأله الشكر على ما أولاني ، وأن يزيدني مما أعطاني .

ذكره صاحب " الحلية " أيضاً

الخبر الثاني عشر : « من سرني أن يمينا حياتي ، وموت مماتي ، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربّي ، عليّ علياً من عدي ، وليوال ولته ، وليقتد بالآمة من بعدي ، فإنهم يقرّوني ، خلقوا من طينتي ، ودرقوا فيها وحداً ، فويل للكاذبين من أمتي ! القاطعين فيهم صلتي ، لا أنا لهم الله شفاعة » .

ذكره صاحب " الحلية " أيضاً .

■ ■ ■

الخبر الثالث عشر : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد في سرية ، وبعث علياً عليه السلام في سرية أخرى ، وكلّاهما إلى اليمن ، وقال : « إن اجتمعنا قتل على الناس ، وإن افرقنا فكل واحد منكما على جنده » ، فاجتمعوا غاراً وسبياً نساء ، وأخذوا أموالاً ، وقتلوا ما ، وأخذ عليّ جارية فاحتصنها لنفسه ، فقال خالد لأربعة من المسلمين : منهم بريدة الأسلمي : اسبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذكروا له كذا ، واذكروا

كنا ، لأمر عددها على ، فسبقوا إليه ، جاء واحد من جايه ، قال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر ، فقال : إن علياً فعل كذا ، فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمي فقال : يا رسول الله ، إن صيا فعل ذلك ، فأخذ جارية لنفسه ، فغضب صل الله عليه وآله ، حتى احمر وجهه ، وقال : «دعوا لي علياً» ، يكررها ، «إن علياً مني وأنا إن علي» ، وإني حط في الخس أكثر مما أخذ ؛ وهو ولي كل مؤمن من بعدى .

رواه أبو عبد الله أحمد في "المسند" غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل علي ، ورواه أكثر المحدثين .

•••

الخبر الرابع عشر : «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك في وجهه حراين ، فعزه أنا ، وجزه علي» .  
رواه أحمد في "المسند" وفي كتاب فضائل علي عليه السلام ، وذكره صاحب كتاب الفردوس ، وزاد فيه : «ثم اتقلنا حتى مرنا في عهد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية» .

•••

الخبر الخامس عشر : «النظر إلى وجهك يا علي عبادة ، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحببك أحبني . وحببي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، الويل لمن أبغضك» .

رواه أحمد في "المسند" ، قال : وكان ابن عباس يفسره ، ويقول : إن من ينظر إليه يقول : سبحان الله ! ما أعلم هذا الفتي ! سبحان الله ! ما أشجع هذا الفتي ! سبحان الله ، ما أفصح هذا الفتي !

الحديث السادس عشر : لما كانت ليلة بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ يَسْتَقِ لِنَا مَاءً ؟ » ، فأجمع الناس ، فقام عليّ فاحتضن قرّة ، ثم أتى بثراً بعيدة القعر مظلمة ، فأمحدر فيها ، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل : أن تاهبوا لنصر محمد وأحبيه وحزبه ، فهبطوا من السماء ، فلم لمط بذعر مَنْ يسمعه ، فلما حاذوا البئر ، سلّوا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، وزاد فيه في طريق أخرى من أنس ابن مالك : « لَتَوْتَيْنِ يَا عَلِيّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَقَّةٍ مِنْ نَوْقِ الْجَنَّةِ فَتَرْكِبُهَا ، وَرَكْبَتُكَ مَعَ رَكْبَتِي ، وَفِيْغِدُكَ مَعَ فَيْغِدِي ؛ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ »



الحديث السابع عشر : حطّب صلى الله عليه وآله للناس يوم الجمعة ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ قَدِّمُوا قَرِيشًا وَلَا قَدِّمُوا هَؤُلَاءِ ، وَتَعَلَّمُوا مَعَهَا وَلَا تَعَلَّمُوا هَؤُلَاءِ ، قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَأَمَانَةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ . أَيُّهَا النَّاسُ أَوْصِيكُمْ بِحُبِّ ذِي قُرْبَاهَا ، أُنْصِي وَابْنِ سَعْدٍ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ؛ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَسْضَنِي عَذَّبَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ » .

رواه أحمد رضى الله عنه في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .



الحديث الثامن عشر : الصّديقون ثلاثة : « حبيب النّجار ، الذي جاء من أقصى المدينة يسمى ، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وعليّ بن أبي طالب ؛ وهو أفضلهم » .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .



الحديث التاسع عشر : أعطيت في عنّ خسا ، هُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ؛ أَمَا وَاحِدَةٌ فَهُوَ كَابٍ بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ هَزْ وَحَلْ ؛ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ ، وَأَمَا الثَّانِيَةُ

فلواء الحمد بيده ، آدم ومن ولد نحمته ، وأما الثالثة فواقف على عثر<sup>(١)</sup> حوضي ؛ يسقي من عرف من أمتي ، وأما الرابعة فسائر عورتي ومسلي إلى ربّي ، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان ، ولا زانياً بعد إحصان .  
رواه أحمد في كتاب الفضائل .

\*\*\*

الحديث المشرون : كانت جماعة من الصحابة أبواب شريعة في مسعد الرسول صلى الله عليه وآله ، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً : « سدّوا كل باب في المسعد إلا باب عليّ » ، فسدت ، فقال في ذلك قوم ، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله مقام فيهم ، فقال : « إن قوماً قالوا في سدّ الأبواب وترك باب عليّ ، إني ما سدّدت ولا فتحت ، ولكنني أمرت بأمرٍ فاتبعته » .

رواه أحمد في " المسند " مراراً وفي كتاب الفضائل

\*\*\*

الحديث الحادي والمشرون : دعا صلى الله عليه وآله عليّاً في غزاة الطائف ، فاتبعاه ، وأطال محواه حتى كره قوم من الصحابة ، ذلك ، فقال قائل منهم : لقد أطال اليوم نحوى ابن عمه ، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع معهم قوماً ، ثم قال : « إن قائلًا قال : لقد أطال اليوم نحوى ابن عمه ، أما إني ما اتبعته ؛ ولكن الله اتبعناه » .  
رواه أحمد رحمه الله في " المسند " .

\*\*\*

الحديث الثاني والمشرون : « أخصيك<sup>(٢)</sup> يا عليّ بالنبوة فلا نبوة بعدى ، ونخمس الناس بسبع ، لا يحاحد فيها أحد من قريش : أنت أزلهم إيماناً بالله ، وأوقاهم بهداه ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعلمهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله منزلة » .

(١) العثر : مؤخر الحوض حيث يقف الإنسان . (٢) أخصيك : أملكك .

رواه أبو نعيم الحافظ في " حلية الأولياء " .

•••

الخبر الثالث والعشرون ، قالت فاطمة : إنك زوّجتي فقيراً لا مال له ، فقال : « زوّجتك أفدسهم سلماً ، وأعظمهم حياءً ، وأكثرهم عيماً ! ألا تعلمين أن الله أطلع إلى الأرض الطلعة ، فاختار منها أباك ، ثم أطلع إليها ثانية فاختار منها بملك ١ » .

رواه أحمد في المسند .

•••

الحديث الرابع والعشرون ، لما أزل : ( بِذَا حَاءَ نَعْرُ أَفٍّ وَالْفَتْحُ ) بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حنين ، جعل يكثر من « سبحان الله ! أستغفر الله » ، ثم قال : « يا علي ! إنه قد جاء ما وعدت به ، جاء الفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي ؛ فقدّمك في الإسلام وقربك مني ، وصبرك ؛ وعندك سيّدة نساء العالمين ؛ وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن ؛ فأما حريصٌ عليّ أن أراعي ذلك لو لمه » .

رواه أبو إسحاق الثعلبي في « تفسير القرآن » .

•••

واعلم أنا إعاد ذكرنا هذه الأخبار ها هنا ، لأن كثيراً من المتعرفين عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في « نهج البلاغة » وغيره القصص التي تحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صلى الله عليه وآله ، وتمييزه إياه عن غيره ، يسبونه إلى القهية والزهو والفتور ، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة ، قيل لعمر : ولّ علياً أمر الجيش والحرب ، فقال : هو أثبته من ذلك ! وقال ريد بن ثابت : ما رأينا أزهى من علي وأحسمة . فأردنا بإيراد هذه الأخبار ها هنا عند تفسير قوله : « نحن الشعار والأصحاب ، ونحن الخزنة والأبواب » ، أن ثبته على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله ، وأن من قيل

في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء ، وعَرَج في الهواء ، ونُفِرَ قَلَى الملائكة والأنبياء ، تعظما وتبجحا ؛ لم يكن ملوماً ، بل كان بذلك حديراً ؛ فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعمُّم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله ؛ وكان اللفظ البشر حلقاً ، وأكرمهم طبعاً ، وأشدَّهم تواضعاً ، وأكثرهم احتمالاً ، وأحسنهم بشراً ، وأطلقهم وجهاً ؛ حتى نسه من نفسه إلى الذميمة والمراح ، وهما حُفَّان بما فيان التكبر والاستطالة ؛ وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع ، بقية مصدور ، وشكوى مكروب ، وتنفس مهموم ؛ ولا يقصد به إداد ذكره إلا شكر انعمة ، وتنبية العاقل قَلَى ما حصه الله به من الفصيلة ، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف ، والحسن قَلَى اعتقاد الحق والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل ؛ فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال : ﴿ أَمَّا يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ أَحَقُّ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِ مِنْ يَدِي أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

## الأجند :

منها :

فيهم كرائم الإيمان ، وهم كفور الرحمن ؛ إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسَبَّحُوا . فليصدق رائد أهله ، وليحصر عقله ، وليسكن من أبناء الآخرة ، فإنه منسأ قديم ، وإلينا ينقلب ؛ فالناظر بالقلب ، العاقل بالبصر ؛ يكون مبتدأ عقله أن يعلم : أعمله عليه أم له ؟ فإن كان له مضي فيه ، وإن كان عليه وقف عنه ، فإن العاقل يغير علمه ؛ كالتأثير قَلَى غير طريق ؛ فلا يزيدُه بؤده عن الطريق الواضح



إِلَّا بُدْءًا مِنْ حَاجَتِهِ ؛ وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ؛ فَلْيَنْظُرْ مَا ظَرَفَ  
أَسَائِرُهُ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟

•••

### الْبَيْتُ :

قوله : « فيهم » يرجع إلى آل محمد صلى الله عليه وآله الذين عنانهم بقوله : « نحن الشعار  
والأصحاب » ، وهو بطلق دائماً هذه الصبغة الجميلة ، ويعنى عنه ؛ وفي القرآن كثير من ذلك ،  
نحو قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ  
إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .

وكرائم الإيمان : جمع كريمة وهي للنفات منه ، قال الشاعر :

ماضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يَفْدَى بِذَلِكَ لَهُ كَرَامٌ لِلَّالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَمَرٍ  
فَإِنْ قُلْتَ : أَيْسُ كُونَ فِي الْإِيمَانِ كَرَامٌ وَغَيْرُ كَرَامٍ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ  
أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا اسْمٌ لِلطَّعَاتِ كُلِّهَا وَاحِبًا وَنَفْسًا ، فَمَنْ كَانَتْ مُوَافَقَةُ أَكْثَرِ كَرَامِ الْإِيمَانِ  
عِنْدَهُ أَكْثَرُ ، وَمَنْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ مُوَافِقٍ ، كَانَ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ  
كَرَامُ الْإِيمَانِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَعَلَى هَذَا تَكُونُ التَّوَابِلُ أَكْرَمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ ؟

قُلْتَ : هِيَ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارٍ ، وَالْوَاجِبَاتُ أَكْرَمُ مِنْهَا بِاعْتِبَارٍ آخَرَ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ  
صَاحِبَهَا إِذَا كَانَ قَدْ قَامَ بِالْوَاجِبَاتِ كَانَ أَهْلُ مَرْتَبَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْوَاجِبَاتِ فَقَطْ ؛  
وَأَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّ الْخُلُقَ بِهَا لَا يَمْتَعِبُ ، وَالْمَعْلُومُ بِالْوَاجِبَاتِ يَمْتَعِبُ .

قوله : « وهم كنوز الرحمن » لأن الكرم مال يتحرر لشدة أمله أو ملته تترك بالإنسان ،  
وكذلك هؤلاء قد ذكروا الإيضاح للشكليات الدينية على المكملين .

ثم قال : إن نطقوا صدقوا ، وإن سكتوا لم يكن مكنونهم عن عيٍّ يوجب كونهم مسموقين ؛ لكنهم ينطقون حكماً ، ويصمتون حلاً .

ثم أمر عليه السلام بالتقوى والعمل الصالح ، وقال : « ليس صدق رائد أهله » ، الرائد : المذهب من الحق يرتاد لم الرعى ؛ وفي أمثالهم : « الرائد لا يكذب أهله » ، والمعنى أنه عليه السلام أمر الإنسان بأن يصدق منه ولا يكذبها بالنسوف والتعليل ، قال الشاعر :

أحى إذا خصمت نفسك فاحتشذ لها وإذا حدثت نفسك فاصدق

وفي المثل : « المشيخ عما لا يملك كلاس ثوبى زور »

فإنه منها قدم ؛ قد قيل : إن الله تعالى خلق أرواح البشر قبل أجسادهم ، والخبر في ذلك مشهور والآية أيضا ؛ وهي قوله **﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾** <sup>(١)</sup> . ويمكن أن يفسر على وجه آخر يودعك أن الآخرة اليوم عديم محض ، والإنسان قديم من العدم ، وإلى العدم يتقلب ؛ فقد صحح أنه قديم من الآخرة ويرجع إلى الآخرة .

وروى : « أن العالم بالبصر » أى بالبصرة ، فيكون هو وقوله : « فالناظر بالقلب » ، سواء ؛ وإنما قاله تأكيذاً ، وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تفسير وتأويل ، فأما الرواية المشهورة فالوجه في تفسيرها أن يكون قوله : « فالناظر » مبتدأ و « المائل » صفة له ؛ وقوله : « بالبصر » يكون مبتدأ عمله « جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، موضعها رفع ، لأنها خبر المبتدأ الذى هو « فالناظر » ؛ وهذه الجملة المذكورة قد دخلت عليها « كان » ، فلطار والجورور وهو الكلمة الأولى منها منصوبة للوضع ، لأنها خبر « كان » ، ويكون قوله فيما بعد : « أن يعلم » منصوب

(١) سورة الأعراف ١٧٢

للوضع ؛ لأنه يدل من « البصر » الذي هو خبر « يكون » والمراد بالبصر هاهنا البصيرة ،  
 فيصير تقدير الكلام : فالناظر بقلبه ، العامل بموارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة ،  
 بأن يعلم : أعمه له أم عليه !

ويروى : « كالسائل على غير طريق » ، والسائل : طالب السبيل ؛ وقد جاء في الخبر  
 المرفوع : « مَنْ عَمِلَ نَبِرَ هَدَى ، لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا » ، وفي كلام الحكماء : « للعامل بهير  
 علم كالرامي من غير وتر » .

• • •

### الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ؛ وَمَا ظَاهِرُهُ ، طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خُفِيَ  
 ظَاهِرُهُ خُفِيَ بَاطِنُهُ ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أُلْهِبَ  
 الْعَبْدَ وَيَسْمُ عَمَلُهُ ، وَيَحْبِبَ الْعَمَلَ رَيْسُكُمْ بِدَنَتُهُ » .

• • •

### الشرح :

هذا الكلام مشتق من قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَسَاءَهُ يَرْجِي رَبَّهُ وَالَّذِي  
 حَبَّتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾<sup>(١)</sup> ؛ وهو تمثيل ضربه الله تعالى لمن يجمع فيه الوعظ والتذكير  
 من الشر ، ولن لا يؤثر ذلك فيه . مثله بالأرض المذبة الطيبة تخرج النبات ، والأرض  
 السبخة الخبيثة لا تنبت ؛ وكلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى يرمى . يقول : إن  
 لكلنا حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطلاً يناسبها من أحواله ؛ والحالتان الظاهرتان : ميلة  
 إلى العقل وميلة إلى الهوى ؛ فالمتبع لمتنفس عقله يرزق السعادة والفوز ؛ فهذا هو الذي طاب

(١) سورة الأعراف ٥٨ .

ظاهره ، وطلب باطنه ، والمتبع لفتوى هوا وعادته ودين أسلافه يرزق الشقاوة والمطرب ؛ وهذا هو الذى حُبث ظاهره وخُثث باطنه .

فإن قلت : فلم قال : « فاطاب » ؟ وهلا قال : « من طاب » ! وكذلك في « خُبث » ! قلت : كلامه في الأخلاق والمفائد وما تنطوى عليه الصائرات ؛ يقول : ما طاب من هذه الأخلاق والملكات ، وهى خلق النفس الربانية المريدة للعق ؛ من حيث هو حق ؛ سواء كان ذلك مذهب الآباء والأجداد أو لم يكن ؛ وسواء كان ذلك مستقبها مستهجننا عند العامة أو لم يكن ؛ وسواء نال به من الدنيا حظاً أو لم ينل . يستطيب باطنه بمنى ثمرته ؛ وهى السعادة ؛ وهذا المعنى من مواضع « ما » لا من مواضع « من » .

وأما الخبر المروى <sup>(١)</sup> ، فإنه مذكور فى كتب المحدثين ؛ وقد فسره أصحابها المتكلمون ، فقالوا : إن الله تعالى قد يمتح المؤمن ويحجته له لإرادة ثباته ، ويبفض عملاً من أعماله وهو ارتكاب صغيرة من الصائرات ؛ فإنها مكروهة عند الله ؛ وليست قاذحة فى إيمان المؤمن ، لأنها تقع مكفرة ؛ وكذلك قد يمتح الصالح بأن يربد عقابه ؛ نحو أن يكون فاسقاً لم يقف ، ويمح عملاً من أعماله ؛ نحو أن يطيع بعض الطاعات ، وحقه لتلك الطاعة ؛ هى إرادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم .

\*\*\*

الأصل :

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا يَغْنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ . وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ ، طَابَ غَرْمُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا حُبِثَ سَقْيُهُ ، خُبِثَ غَرْمُهُ وَأُثْمِرَتْ ثَمَرَتُهُ .

\*\*\*

(١) ساقطه من ب .

### الهنج :

السنق : مصدر سقنت ، والسقق ، بالكسر : النصيب من الماء .

وأمر الشيء ، أى صار مرًا .

وهذا الكلام مثل فى الإخلاص وضده وهو الرياء وحب السمعة ، فكل عمل يكون مدده الإخلاص لوجه تعالى لا غير ؛ فإنه زائل حلوا الجنى ، وكل عمل يكون الرياء وحب الشهرة مدده ؛ فليس زائل ، وتكون ثمرة مرة المذاق

( ١٥٥ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش :

أَتَلَمُّدُ اللَّهِ الَّذِي أُنْحَسِرَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَّعَتْ عَظَمَتُهُ الْقُفُولَ  
فَلَمْ تَجِدْ مَسَاعًا إِلَى بُلُوغِ عَابَةِ مَلَكُوتِهِ

هُوَ اللَّهُ الْخَلْقُ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَشْيَنُ بِمَا تَرَى الْعُيُونُ . ثُمَّ تَسْلُفُهُ الْقُفُولُ بِتَحْدِيدِ  
فَيْكُونُ مُشْتَبَهَا ، وَلَمْ تَقْعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرِ فَيْكُونُ مُمْتَلَأًا . خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ  
تَمْثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ ؛ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ إِطَاعَتِهِ ؛  
فَأَجَابَ وَلَمْ يَدَّاعِيسْ ، وَأَخَادَ وَلَمْ يُسَارِعْ .

وَمِنْ أَطْلَافِ صُنْعِهِ ، وَتَجَانِبِ حَقِّقِهِ ، مَا أَرَامَا مِنْ عَوَامِيسِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ  
الْخَدِيعِيسِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الصَّبَاءُ الْمَاسِيطُ لِكُلِّ نَفْسٍ ، وَيَبْسُطُهَا الطَّلَامُ الْقَائِصُ لِكُلِّ  
سَمٍّ . وَكَثِيفَ عَيْبَتِ أَغْيَاسِهَا عَنْ أَنْ تَسْتَوِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُصِيبَةِ نُورًا تَهْدِي بِهِ فِي  
مَدَائِجِهَا ، وَتَنْصِلُ بِعَلَائِقِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَسَارِفِهَا ، وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُوفِ ضِيَائِهَا عَنْ  
الْمِصْ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا ، وَأَكْثَهَا فِي مَكَامِيسِهَا عَنِ الدَّهَابِ فِي بُدُوحِ انْتِلَاقِهَا .  
وَهِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُلُفُونَ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَائِقِهَا ، وَجَاءَتُهُ أَهْلِيلُ مِيزَانِهَا تَسْتَدِيلُ بِهِ فِي النَّهَارِ  
أَرْزَاقِهَا ، فَلَا مَرْدُ أَنْصَارِهَا إِسْدَافُ ظُلُمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِيعُ مِنَ الْمِصْ فِيهِ لِفَسْقِ دُجَّتِهِ ، فَإِذَا  
أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِيَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ سَهَائِلِهَا ، وَدَخَلَ مِنَ إِشْرَاقِ مَوَارِهَا عَلَى الصَّبَابِ  
فِي وَجَارِهَا ؛ أَطْلَقَتْ الْأَخْطَارَ عَلَى مَا فِيهَا ، وَتَبَهَّمَتْ بِمَا أَكْثَسَبَتْهُ مِنَ الْعَاشِ فِي  
ظُلَمِ لَيَالِيهَا .



وسُبُحات إشراقها: جلاله وبهاؤه . وأكسها : سترها، وُبَلَج اختلافها: جمع بُلْجة؛ وهي أول الصبح ؛ وجاء بُلْجة أيضا بالفتح .

والجَدَاف : جمع حَذَقَة العين . والأَسْدَاف : مصدر أَسَدَف الليل ، أظلم .  
وغسق الدَّجَجَة : ظلام الليل . فإذا أَلَقَت الشمس قناعها ، أى سَفَرَت عن وجهها وأشْرَقَت .

والأَوْصَاح : جمع وَصَح، وقد يراد به حُلٌّ يعمل من الأوامر الصَّحاح، وقد يراد به الأوامر الصَّحاح نفسها وإن لم يكن حُلًّا، والصَّبَاب ، جمع صَبَّ . ووَخَّارها : يَبْتِها . وشَطَايا الأَذَان : أقطاع منها . والقَصَب هاها : المَضْرُوف .

وخلصة الخطبة، التعجب من أعين اختلافيش التي تنصر ليلا ولا تنصر نهارا، وكل الحيوانات بخلاف ذلك، فقد صار الليل لها ماشا، والنهار لها سكونا ؛ بعكس الحال فيما عداها. ثم من أجدها التي نظيرها وهي لم لا ريش عليه ولا تضروفي؛ وليست رقيقة فتشق ولا كثيمة تنتقلها عن الطيران. ثم من ولدها إذا طارت احتملته وهو لاصق بها، فإذا وقعت وقع ملتصقا بها هكذا ، إلى أن يشتد ويقوى على الهوض فيفارقها .

• • •

### [ فصل في ذكر بعض غرائب الطيور وما فيها من عجائب ]

واعلم أنه عليه السلام قد أتى بالملحة الطبيعية في عدم إحصارها سهارا ؛ وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد ؛ وقد يمرض مثل ذلك لبعض الناس ؛ وهو المرض الذي « روز كور » أى أعمى النهار ، ويكون ذلك عن إفراط التحلل في الروح النوري، فإذا لقي حرارة النهار أصابه قر ، ثم يستترك ذلك يرد الليل فينزل ، فيعود الإبصار .



وأما طيراتها من غير ريش ؛ فإنه ليس بذلك الطيران الشديد ، وإنما هو نهوض وخفة ، أودعها الله تعالى إياه بواسطة الطبيعة ، والاتصاف الولد بها ، لأنها نصته إليها بالطبع ، وينصم إليها كذلك ، وتستعين على ضمه برجليها ، وبقتصر المسافة . وجملة الأمر أنه تعجب من عجيب . وفي الأحاديث العامة ؛ قيل للعنقاء : لماذا لا جناح لك ؟ قال : لأنى تصوير مخلوق ، قيل : فلماذا لا تخرج نهاراً ؟ قال : حياء من الطيور ، بمنون أن المسيح عليه السلام صورته ، وأن إياه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَخَّأْتُ مِنَ الطَّيْنِ كَمَيْسَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِ فَفَنَفَخُ فِيهَا فَتَشَكُّونَ طِيْرًا بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ .<sup>(١)</sup>

وفي الطير عجائب وغرائب لا تهدي القول إليها ؛ ويقال : إن ضربين من الحيوان أصمان لا يسمعان ، وهما النمام والأفريقي .

وتقول العرب : إن العظيم <sup>(يسمع بيمينه)</sup> ينفه ؛ لا يحتاج معها إلى حاسة أخرى . والكراكي يجمعها أمير لها كيتسوب النحل ، ولا يجمعها إلا أرواجا . والمصافير آفة للناس آفة لهم ، لأنسكر داراً حتى يسكنها إنسان ؛ ومتى سكنتها لم تقم فيها إذا خرج الإنسان منها ؛ فبفراقه تعارق ؛ وسكناء نسكن . ويذكر أهل البصرة أنه إذا كان زمن الخروج إلى البساتين لم يبق في البصرة مصفون إلا خرج إليها ، إلا ما أقام على بيضه وفراخه ؛ وقد يذرب المصفون فيستحيب من السكان الهيد ويرجع .

وقال شيخنا أبو عثمان : بلمنى أنه درّب فخرج من يمول . وليس في الأرض رأس أشبه برأس الحية من رأس المصفور ، وليس في الحيوان الذى يعابش الناس أقصر عرا منه ، قبل لأجل السفاد الذى يستكثر منه . ويتميز الله كرم من الأتقى في المصافير تميز الذهب

من الدجاجة ؛ لأن له لحية ؛ ولا شيء أحنى على ولده منه ، وإذا عَرَضَ له شيء صاح ، فأقبلت إليه المصافير بساعده ؛ وليس [ شيء ] <sup>(١)</sup> في مثل جسم المصفور [ من ] <sup>(٢)</sup> شدة وطئه [ إذا مشى أو على السطح ما المصفور ؛ فإليك ] <sup>(٣)</sup> إذا كنت تحت السطح ووقع ؛ حبت وقعة وقعة حجر ، ودكور <sup>(٤)</sup> المصافير لا تمش إلا سعة ؛ وكثيراً ما تحلب الحيات إلى المنارل ، لأن الحيات تنسجها حرصاً على ابتلاع بيضها وفراخها .

ويقال : إن الدجاجة إذا باصت بيصتين في يوم واحد وتكرر ذلك ماتت ، وإذا هَرِمَت الدجاجة لم يكن لأواخر ما تبضه صفرة ؛ وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يخلق فيها فروج ؛ لأن غذاءه الملح مادام في البيضة ، وقد يكون للبيضة مُحَانٍ فتتفص <sup>(٥)</sup> عن قروحين يَخْتَلِقُ من البياض ، ويمتدين بالخبث ، لأن الفرائج تُخَلَقُ من البياض وتمتد بالصفرة . وكل ذلك فإنه يلتقط الحنة فيعدها بها إلى الدجاجة سماحاً وإيثاراً ؛ ولهذا قالوا : « أسمع من لافطة » يعنون الدَّيْسَكُ إِلَّا دَيْسَكُ مَرَوْ بِخِرَاسَانِ ، فإنها تطرد دجاجةا عن الحب وتنه عنه من أمورها فتبطل .

والحمام ملهء ، وفي أمثالهم : « أحق من حمامة » ، وهي مع حقيقها مهتدية إلى مصالح نفسها وفراخها .

قال ابن الأعرابي : قلت لشيخ من العرب : مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : عَلَّمَنِي الَّذِي عَلَّمَ الْحَمَامَةَ عَلَى بَلْهَمِهَا تَقْلِيْبَ بَيْضِهَا ، كَيْ تَعْلَى أَوْجِهَيْنِ جَمِيعاً نَصِيْبُهُمَا مِنَ الْحَمْنِ وَالْمَدَابَةِ فِي الْحَمَامِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الظُّهْرِ وَالشَّمْرِ ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ الشَّدِيدُ السَّوَادِ فَهُوَ كَأَنْ يُجْمَعَ الْقَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْأَبْيَضُ صَمِيْفُ الْقُوَّةِ . وإذا خرج الجوزل <sup>(٦)</sup> عن بيضته علم أبواه أن حلقه لا ينسج لعداء ، فلا يكون لهما هم إلا أن ينمغا في حلقه الريح لتقح حوصلاته بعد النعاسها ، ثم يعدن أنه لا يحتمل في أول غنقه أن يُزَقَّ بالطعم ؛ فيزقانه باللعاب المختلط

(١) تسككة من كتاب الحيوان .

(٢) اعقمت البيضة عن المرح : خلفت .

(٣) د : د : د كورة

(٤) الجوزل : فرج الحمام .

بقواها وقوى الطم ثم يعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دباغ ، فيأكلان من شُورج<sup>(١)</sup> أصول الحيطان ، وهو شيء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به . فإذا علما أنه قد اندبغ زقاه بالعَبّ الذي قد غسب في حواصلهما ، ثم مالدى هو أطرى فأطرى ، حتى يتعود ؛ فإذا علما أنه قد أطلق اللقطة منعاها بعض اللع ، ليعتاج وينشوف ، فتطلبه نفسه ، ويحرص عليه ؛ فإذا فعلها وبلغا منتهى حاجته إليهما ، نزع الله تلك الرحمة منهما ، وأقبل بهما على طلب نسل آخر .

ويقال : إن حية أكلت بوم مكاء فعمل المكاء بشرير على رأسها ، وبدنومنها حتى دأمت<sup>(٢)</sup> الحية لسانها ، وفنعت فاعا نريدوهم به ، فألقى فيها حَسَكَة<sup>(٣)</sup> فأخذت بحلقها حتى ماتت !

ومن دماء الصالحين : بارراق الثَّماَب<sup>(٤)</sup> في عته أودلك أن التراب إذا قصص عن فراحه ، قصص عنها بيمس الألوان ، فينثر عنها ولا يرقها ؛ فتفتح أفواهها ، فيأنيها ذباب يتساقط في أفواهها ، فيكون عذامها إلى أن تسود ، فيقطع الدباب عنها ، ويسود العراب إنيها فيأنيس بها ويغذيها .

والعُبَارَى تدبِق<sup>(٥)</sup> جناح الصقر بنرقها ، ثم يجمع عليه العُبَارَات ، فينتفن ريشه طاقة طاقة ؛ حتى يموت ؛ وأدلك يحاول العُبَارَى العلو عايه ، ويحاول هو العلو عليها ، ولا يتجاسر أن يدنو منها متسفلا عنها . ويقال : إن العُبَارَى تموت كمدأ إذا انحسر عنها ريشها ، ورات صولجهاها تطير .

• • •

(١) الشورج : نوع من الملح ؛ وربما كان للدباغة خاصة .

(٢) دأمت لسانها : أخرجه .

(٣) حَسَكَة : عوكة .

(٤) الثماَب ، أى التراب .

(٥) تدبِق : تصطاد .

وكل الطير يتساقط بالأسناء إلا الحجل فإن الحجلة تكون في سفالة الريح، واليطوب<sup>(١)</sup> في علوانها، فتلقح منه كما تلقح النحلة من العسل<sup>(٢)</sup> بالريح .  
والعباري شديد الحق، يقال إنها أحق الطير ؛ وهي أشده حيابة لبيضها وفراخها .

والمعق مع كونه أحب للطيور وأصدقها حبثا ، وأشدّها حذرًا ، ليس في الأرض طائر أشدّ تضيقاً لبيضه وفراخه منه .

ومن الطير ما يؤثر التفرّد كالغراب ؛ ومنه ما يتعاش زوجا كالقطا .

والظلم يتسلع الحديد الحتمي ، ثم يبيعه في قاصته حتى يُحبله كالماء الجاري ؛ وفي ذلك أجبوتان : التعدي بما لا يندى به ، واستمراؤه وهضمه شيئاً لو طبخ بالمار أبداً لما انحل .  
وكا سُحر الحديد لجوف الظالم فأحاله سُحر الصخر الأصم لأذنان الجراد ، وإذا أراد أن يلقى بيعة غرس ذنّه في أشدّ الأرض صلابة ، فاصدع له ؛ وذلك من فعل الطبيعة تسخير الصانع القديم سبحانه ؛ كما إن عود الصنماء الرُخو الدقيق<sup>(٣)</sup> المنبت ، يلقى في نباته الأجر والخزف الطليظ ، فينقبه .

وقد رأيت في مسناة سور بغداد ، في حجر صلب نبتة قد شقت وخرجت من موضع ؛ لو حاول جماعة أن يضرروه بالبيارم الشديدة مدة طويلة لم يؤثر فيه أثراً .  
وقد قيل : إن إبرة المعرب أنفذ في الطنخير<sup>(٤)</sup> والطلست .

وفي الظلم شبه من الهير من جهة للنسيم والوظيف والمعق والخزامة التي في أنفه ،

(١) اليطوب : ذكر الحجل .

(٢) العسل : ذكر النحل .

(٣) سائلة من به .

(٤) الطنخير : وعاء يمل فيه الخبيص ( معرب )

وشبه من الطائر من جهة الرش والجناحين والذنب والفتار ثم إن ما فيه من شبه الطير  
حذنه إلى البيض ، وما فيه من شبه البعير لم يحذنه إلى الولادة

ويقال : إن النعامة مع عظم عظمها وشدة عدوها لا يمنع فيها ، وأشد ما يكون عدوها  
أن تستقبل الريح ؛ فكأنها كان أشد لعصوفها كان أشد لحضرها<sup>(١)</sup> ، تضع عنقها على  
ظهرها ثم تحرق الريح ، ومن أعاجيبها أن الصيغ إذا دخل وانتدأ السر في الحرة انتدأ  
لون وطيفها في الحرة ؛ فلا يزالان يرددان حرة إلى أن تنهي حرة السر ، ولذلك قيل  
للطليم : حاصب ، ومن المعتب أنها لا تأس بالطير ولا بالإبل مع مشاكتها للوعين ؛  
ولا يكاد يرى يمسها مبددا البقة ، بل تصفه طولاً صفاً مستويا على عاية الاستواء ، حتى  
لو مددت عليه حيط المسطر لما وجدت له مصه حروفاً عن البيض ؛ ثم أعطى لسكل واحدة  
نصيباً من الحصن .

والذنب لا يمرض لبيض النعام مادام الأبوان حاضرين ، فإنهما متى نقاه<sup>(٢)</sup> ركه  
الذكر قطعه<sup>(٣)</sup> وأدركته الأنثى فركته . ثم أرسلته إلى الذكر وركته بعوضه ،  
فلا يزالان يعملان به ذلك حتى يقتلاه أو يجرها هرباً والنعام قد يتحدو الدور ، وعمره  
شديد ، لأن النعامة ربما رأت في أدن العارية قرطاً فيه حجر أو حبة لؤلؤ ، تخطمته  
وأكلته ، وحرمت الأذن ، أو رأت ذلك في أيتها فضربت عنقارها الآلة فخرقتها<sup>(٤)</sup>

(١) الحصر : نوع من البعير .

(٢) نقاه : نقاه .

(٣) ملحه : كسر يفتحه

(٤) المبولن : ٢١٧ وما بعدها .

(١٥٦)

الأفضل :

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم :

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَمْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَلِيَقْتُلَ ؛ وَإِنْ أُلْعِقْتُمُونِي ؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ ؛ وَإِنْ كَانَ دَامِشَقُهُ شَدِيدَةً ، وَمَدَاقِيرُهُ مَرِيرَةً ، وَأَمَّا فَلَانَةُ فَأَذَرَ كَهَا رَأَى النَّسَاءَ ، وَصِمْنَ عَلَايَ مَذْرِيهَا كَيْرَ جِلِّ الْقَبْرِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِيَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَقْتُلِي . وَلَهَا تَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ !

التهنئ :

يمتقل نفسه على الله : يحبسها على طاعته . ثم ذكر أن السبيل التي حلهم عليها هي سبيل الرشاد ؛ ذات مشقة شديدة ومدافعة مريرة ، لأن الباطل محبوب النفوس ؛ فإنه للهو واللذة ، وسقوط التكليف ؛ وأما الحق فمكروه النفس ، لأن التكليف صعب وتركه للملأذ العاجلة ، شاق شديد المشقة .

والضنن : الحقد . والمرحل : قدر كبيرة . والفنن : الحداد ، أى كغليان قدر

من حديد .

## [ فصل في ترجمة عائشة وذكر طرف من أخبارها ]

وقلانة كناية عن أم المؤمنين عائشة ، أبوها أبو بكر ، وقد تقدم ذكر نسبه ، وأما  
 أم رومان ابنة عامر بن مويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان  
 ابن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة  
 سنتين ، بعد وفاة خديجة ؛ وهي بنت سبع سنين ، وبنتي عليها بالمدينة ؛ وهي بنت نع  
 سنين وعشرة أشهر ؛ وكانت قبله تذكّر لجبير بن مطعم ؛ ونسبها ، وكان رسول الله صلى  
 الله عليه وآله رأى في المنام عائشة في سرقة<sup>(١)</sup> من حرير عند متوقى خديجة ، فقال :  
 « إن يكن هذا من عند الله فخير »<sup>(٢)</sup> ؛ روى هذا الخبر في المسديد للصحيح ، وكان  
 مكافئها في شوال ، وبنائه عليها في شوال أيضاً ، فكانت تحب أن تدخل النساء  
 من أهلها وأختها على أزواجهن في شوال ، وتقول : هل كان في نسائه أحظى مني ؟  
 وقد مكى ، وبني على في شوال ؛ ردّاً لمذمّة على من يزعم من النساء أن دخول الرجل  
 بالمرأة بين العيدين مكروه .

وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله عها هي بنت عشرين سنة . واستأذنت رسول  
 الله صلى الله عليه وآله في الكنية ، فقال لها : « اكنى بابلك عبد الله بن الزبير » ؛ يعني  
 ابن أختها ، فكانت تكنى أم عبد الله . وكانت فقيهة راوية للشعر ، ذات حفظ من  
 رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومثّل فظهر إليها ، وكانت لها عليه جرأة وإدلال لم يزل  
 ينسب ويستشري<sup>(٣)</sup> ، حتى كان منها في أمره في قصة مارية ، ما كان من الحديث<sup>(٤)</sup>

(١) السرقة ، واحدة السرقة ؛ وهو شفق من الحرير الأبيض .

(٢) الاستيذاب لابن عبد البر ٧٤٤ .

(٣) انظر تفسير الكشاف ٤ : ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

الذي أمره إلى الزوجة الأخرى ، وأدى إلى تظاهرها عليه ، وأرل فيهما قرآنا يُبلى في  
المحارب ، يتصنن وعيداً غليظاً عقيب نصريح بوقوع الذنب ، وصنن القلب ، وأعتبت تلك  
الجرأة ، وذلك الانبساط وحدث مهابي أيام الخلافة العلوية ما حدث ؛ ولقد عفا  
الله تعالى عنها ، وهي من أهل الجنة عندنا بسابق لوعده ، وما صبح من أمر التوبة .

وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " في باب عائشة ، عن سعيد  
ابن نصر ، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد بن وضاح ؛ عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع  
عن عصام بن قدامة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
 وآله نسائه : « أبتكن صاحبة الجمل الأدب » ، يقتل حولها قتلى كثير ، وتنمو  
بمدا كادت « (١) » .

قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا الحديث من كمال من نوتته صلى الله عليه وآله ، قال :  
وعصام بن قدامة ثقة وسائر الإسناد ، ثقة رجاله أشهر من أن تذكر (٢) .  
ولم تحمل عائشة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا ولده ولد من مِهْرَة (٣) إلا من  
خديجة ، ومن السراية من طارية .

وقد رُفِت عائشة في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله بصموان بن المظن السلمي ،  
والقصة مشهورة ، فأُنزل الله تعالى راءتها في قرآن بُتلى وبُنقل ، وجُلِد قادفوها الحد ،  
وتوفيت في سنة سبع وخمسين للهجرة ، وعمرها أربع وستون سنة ، ودفنت بالمقبر ،

(١) النهاية لابن الأثير ٢ . ١٠ ؛ والرواية ١٠ ؛ ليت شعري أسكن صاحبة الجمل الأدب ؛ معيا  
كلاب الحوآب ؛ وقال في شرحه : أراد « الأدب » ، فأظهر الإدغام لأجل الحوآب ، والأدب الكثير  
وبر الوجه

(٢) الاستيعاب ٢٤٤ ، وفيه : « وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى ذكر » .

(٣) المِهْرَة : المرة من النساء ؛ وهي عبر السرية .



في تلك معاوية ، وصلى عليها المصور ليلاً ، وأتمهم أبو هريرة ، وتزل في قبرها خمسة من أهلها : عبد الله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر ، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وذلك اسبع عشرة حلت من شهر رمضان من السنة المذكورة .

\*\*\*

فأما قوله : « فأذكر كما رأى النساء » ، أى ضف آرائهن وقد جاء في الخبر : « لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » وجاء : « إهن قبيلات عقل ودين » ، أو قال : « ضيفات » ، وذلك حمل شهادة المرأتين شهادة الرجل الواحد ؛ والمرأة في أصل الحلقة سريمة الانخداع سريمة المعصب ، سيئة المظن فاسدة التدبير ، والشعاعة فيهن مفقودة ، أو قليلة ؛ وكذلك النساء .

وأما الصن ، فاعلم أن هذا الكلام يحتاج ، إلى شرح ، وقد كت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللساني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام ، وسأله عما عنده فيه ، فأجابني بحواب طويل ؛ أما أذكر محصوره ، سمعته بلفظه رحمه الله ، وسمعه بلفظي ، فقد شدني الآن لفظه كله بعبته ، قال : أول بدء الصن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها بحبيب موت خديجة ، فأقامها مقامها ، وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن للعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها ، وتزوج أبوها أخرى ، كان بين الابنة وبين المرأة كدراً وشتاناً ، وهذا لا بد منه ، لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب ، والبنات تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة . كانهصرة لأنما ؛ بل هي ضرة على الحقيقة ، وإن كانت الأم ميتة . ولأنما لو قدرنا الأم حية ، لكادت العداوة مضطربة مفسرة ، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة ، وفي المثل : « عداوة الحاة والكثة » . وقال الراجر :

إن الحياة أوليت بالسكنة وأولمت كغنتها بالظنة

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله مال إليها وأحبها ، فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله ، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظفونه ؛ وأكثر من إكرام الرجال لبقاتهم ، حتى خرج بها عن حدِّ حبِّ الآباء للأولاد ، فقال بمحض الخالص والتمام مراراً لا مرة واحدة ، وفي مقامات<sup>(١)</sup> مختلفة لا في مقام واحد : إنها سيِّدة نساء العالمين ، وإنها عذبة مريم بنت عمران ، وإنها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش : يا أهل الموقف ، غصوا أبصاركم لتعبروا فاطمة بنت محمد . وهذا من الأحاديث الصحيحة ، وليس من الأخبار المستضعفة ؛ وإن إنكاحه عليها إتيانها ما كان إلا بعد أن أسكنه الله تعالى إياها في السماء شهادة للملائكة . وكم قال لامرأة<sup>(٢)</sup> : « يؤذيني ما يؤذيها ، وينقصني ما ينقصها » ، و « إنها نعمة مني ، يريني ما راها » ، فكان هذا وأمثاله بواجب زيادة الصّمن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشرية تضيّط على ما هو دون هذا ، فكيف هذا ! ثم حصل عند بطلها ما هو حاصلٌ عندها - أعني عليها السلام - فإن النساء كثيراً ما يحملن الأحقاد في قلوب الرجال ؛ لاسيما وهنّ محدّثات الليل ، كما قيل في الليل : وكانت تكثر الشكوى من عائشة ، ويصاها نساء المدينة وحويران بيتها فينقلن إليها كلماتٍ عن عائشة ، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلماتٍ عن فاطمة ؛ وكما كانت فاطمة تشكو إلى بطلها ، كانت عائشة تشكو إلى أبيها ، لطفاً أن بعاماً لا بشكياً<sup>(٣)</sup> على ابنته ، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرٌ ما ، ثم تزايد تقرُّبُ رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السكنة : امرأة الابن .

(٢) ب : د : هـ : في .

(٣) بطل : أحكى طلاقاً ؛ إذا قيل شكوا .

(٤) د : هـ : مرة .

لمن عليه السلام . وتقريبه واختصاصه ؛ فاحدث ذلك حسداً له وغبطة في نفس أبي بكر عنه ؛ وهو أبوها ، وفي نفس طلعة وهو ابن عمها ، وهي تجلس إليهما ، ونسمع كلامهما ؛ وهما يجلسان إليهما ويحادثانها ، فأعدى إليهما منها كما أعدتهما .

قال : ولست أرى علياً عليه السلام من مثل ذلك ؛ فإنه كان بنفسه على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله وإليه وثناه عليه ، وبحسب أن يفرد هو بهذه للزاي والخص نصح دونه ودون الناس أجمعين ، ومن انحرف عن إسان انحرف عن أهله وأولاده ، فما كُتبت البيعة بين هذين العريقين . ثم كان من أمر القذف ما كان ؛ ولم يكن على عليه السلام من القاذفين ، ولكنه كان من المشيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله بطلاقها ، تنزيهاً لمرصه عن أفوال الشناعة والمنافقين .

قال له لما استشاره : إن محمد لا يشك في ذلك ، وقل له : سل الخادم وخوفها وإن أظمت على الجعود فاضربها برؤيبلغ عائشة هذا الكلام كله ، وسمعت أصمافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ، ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن علي وفاطمة ، وأنهما قد أظهرتا الشناعة جهاراً وسراً موقوف هذه الحادثة لها ، فصاحم الأمر وغلظ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالحها ورجع إليها ، ونزل القرآن ببراءتها ؛ فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر مد أن قهر ، ويستظهر بعد أن حبيب ، ويبرأ بعد أن أنهم ؛ من سبط اللسان ، وفلنات القول ؛ وبلغ ذلك عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام ، فاستدبت الحل وعَلَّظت ، وطوى كل من العريقين قلبه على الشنآن لصاحبه . ثم كان بينهما وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال ؛ كلها تقتضي تهيج ما في النفوس ، نحو قولها له سوف قد استدناه رسول الله ، لحاء حتى قد بينه

وبينها وهما متلاصقان : أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكفى عنه - إلا نفذي ! وهو ما روى أنه ساره يوما وأطال مناجاته ؛ ثم مات وهي سائرة حنفا حتى دخلت بينهما ، وقالت : فيم أنها فقد أطلما ؟ فيقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم . وما روى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوضت لها ما كفاها ؛ ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحبابها .

ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بين وبات ؛ ولم تلهى ولدا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُقيم من فاطمة مقام يديه ، وبسوى الواحد منهما « ابني » ويقول : « دعوا لي ابني ولا تُزْرِموا »<sup>(١)</sup> « لي ابني » ، و « ما فعل ابني ؟ » فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ، ثم رأت البعل ينفق من ابنته من غيرها ، ويحشو عليهم حنونا والوالد المشفق ! هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم أم مبغضة ! وهل تود دوام ذلك واستمراره ، أم زواله وانقضاءه !

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلى المسجد ، وفتح باب صهره ؛ ثم بعث أباه ببراءة إلى مكة ، ثم عرله عنها نصهره ، ففدح ذلك أيضا في نفسها ، وولد رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية ، فأطهر على عليه السلام بذلك سرورا كثيرا ؛ وكان يتعصب لمارية ، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا قلى غيرها ، وجرت لمارية سكة مناسبة لتسكبه عائشة ، فقرأها على عليه السلام منها ، وكشف بطلانها ، أو كشفه الله تعالى قلى يديه ، وكان ذلك كشفا محسا بالبصر ، لا بتهنيا للعناقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة ، وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه ، وتؤكد ما في نفسها منه ، ثم مات إبراهيم فأخطت شماتة ، وإن أظهرت كآبة ،

(١) النهاية لأب الأثير ٢ : ١٢٤ ، قال : « أي لا تضربوا عليه بوله » يقال : ررم الدمع والبول ؛ إذا غطى . . .

وَوَجَّهَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ فَاطِمَةُ ، وَكَأَمَّا بُوْثْرَانُ مَوْيِدَانُ أَنْ تَمَيِّزَ مَارِيَةَ  
عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَلَمْ يَخْذَرْ لَهَا وَلَا لِمَارِيَةَ ذَلِكَ ؛ وَهَبَتْ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ وَفِي النَّفُوسِ  
مَا فِيهَا ، حَتَّى مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ الرِّضَى الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ  
عَلَيْهَا السَّلَامُ وَعَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدَانِ أَنْ يَمْرُضَاهُ فِي بَيْتِهِمَا ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَزْوَاجُهُ كُلُّهُنَّ ،  
فَنَالَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ بِمَقْنَضَى الْحَمَّةِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا دُونَ نِسَائِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَاهُ فَاطِمَةُ  
وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِمَا ؛ فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْإِبْسَاطِ لَوْ جُودَهَا مَا يَكُونُ إِذَا حَلَا نَفْسَهُ فِي بَيْتِ  
مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ بَطْنُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَرِيضَ يَحْتَاجُ إِلَى فَصْلِ مَدَارَاتِهِ ، وَنَوْمٍ وَيَقْظَةٍ وَانْكَشَافٍ ،  
وَخُرُوجٍ حَدَثٍ ، فَكَانَتْ نَفْسُهُ إِلَى بَيْتِهِمَا كَأَنَّهَا إِلَى بَيْتِ مَهْرِهِ وَبَنَتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا تَصَوَّرَ  
حَيَاةً هَامَةً اسْتَحْيَا هُوَ أَيْضًا مَسْهَمًا ؛ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحِبُّ أَنْ يَخْلُوَ نَفْسَهُ ، وَيَجْتَنِبُ الصَّهْرَ  
وَالْبَنَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَى عِبْرَتِهَا مِنْ لُزُومَاتِ كَمَثَلِ ذَلِكَ اللَّيْلِ إِلَيْهَا ، فَتَمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا ،  
فَقُصِطَتْ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَمْرُضْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ مِنْهُ قَدَمَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ هَذَا  
الرِّضَى ؛ وَإِنَّمَا كَانَ مَرَضُهُ الشَّقِيقَةَ <sup>(١)</sup> يَوْمًا أَوْ نَحْوَهُ يَوْمَ نَمِ بَرَاءً ، فَطَاوَلَ هَذَا الرِّضَى ؛  
وَكَانَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَشْكُ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْزَعُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا  
قَالَ لَهُ عَمَّهُ وَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ : اْمُدُّ يَدَكَ أَبَايُكَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ :  
عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَابِعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا يَخْتَلِفُ  
عَلَيْكَ اثْنَانِ قَالَ : يَاعَمَّ ، وَهَلْ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي ! قَالَ : سَتَمَلُّ ، قَالَ : فَإِنْ لَا أَحَبَّ  
هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وِرَاءِ رَتَاجٍ ، وَأَحَبَّ أَنْ أَصْغِرَ بِهِ <sup>(٢)</sup> . فَسَكَتَ عَنْهُ ، فَلَمَّا ثَقُلَ <sup>(٣)</sup> رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ فِي مَرَضِهِ ، أَعْدَدَ حَيْشَ أَسَانَةِ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَبَا بَكْرًا وَغَيْرَهُ مِنْ أَعْلَامِ

(١) الشَّقِيقَةُ : مَرَضٌ يَأْخُذُ بِجَنْبِ الرَأْسِ وَفَوْقِهِ .

(٢) قَالَ : أَصْغَرَ بَلَّانَ بِمَا فِي لَفْظِهِ ، أَيْ أَطْفَرَهُ .

(٣) يَقُولُ : أَصْبَحَ ثَقُلًا ، أَيْ مَرِيضًا .

للمهاجرين والأنصار ؛ فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث  
 برسول الله صلى الله عليه وآله حدث - أرتق ، وتقلب علي ظنه أن المدينة لو مات ظلت  
 من منازع بنازعه الأمر بالكلية ؛ فبأخذه صفواً غفواً ، وتم له البيعة ، فلا يتهيأ فسخها  
 لو رام ضد منازعته عليها ، فكان - من عوذ أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه ،  
 وإعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت - ما كان ، ومن حديث الصلاة بالناس  
 ما عرف ، قسب علي عليه السلام عائشة أم أميرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل  
 بالناس ؛ لأن رسول الله كما روى ، قال : « ليعمل بهم أحدهم » ، ولم يبين ؛ وكانت  
 صلاة الصبح ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمق يتهادى بين علي  
 والفضل بن العباس ؛ حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر ، ثم دخل فلبث ارتفاع الضمى ،  
 فعمل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه . وقال : « إنكم تطوبون فداً أن يقدم قدمين  
 قدمها رسول الله في الصلاة ؟ ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة  
 لصرفه عنها ؛ بل لحافظته على الصلاة بها أسكن ؛ فبوج قل هذه البكّة التي أنشأها  
 علي عليه السلام على أنها اجتمعات بها .

وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خطبته كثيراً ؛ ويقول : إنا لم يفل  
 صلى الله عليه وآله : « إنكن أصروا بحبات يوسف » إلا إسكاراً لهذه الحال ، وغضباً  
 منها ، لأنها وخضة تبادرنا إلى صين أبورها ؛ وأنه استدركما بخروجه وصرفه عن  
 المحراب ؛ فلم ينجذ ذلك ، ولا أثر ، مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمتد له  
 قاعلة الأمر ؛ وتقرر حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين  
 والأنصار . ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي والأمر الساني ؛ الذي جمع عليه  
 القلوب والأهواء ، فكانت هذه الحال عند علي أعظم من كل عظيم ؛ وهو الطائفة الكبرى ،

والصبيّة العظمى ؛ ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ، ولا خلق الأمر الواقع إلا بها ؛ فدعا عليها في خلواته وبين خواتمه ، وتظلم إلى الله منها ، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور ؛ حتى بايع ؛ وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهاته منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة ، وما صابران على مضيّ ورّمس<sup>(١)</sup> ، واستظهرت بولاية أبيها ، واستطاعت وعظم شأنها ، وانحدرت على فاطمة وقهرا ؛ وأخذت فذلك ، وخرجت فاطمة تحادل في ذلك مرارا فلم تغفر شيء ، وفي ذلك نيلتها للنساء والداخلات والمخرجات من عائشة كل كلام يسوءها ، ويبلغن عائشة عنها وعن بطيها مثل ذلك ، إلا أنه شتان ما بين الحالين ، وسد ما بين الفريقين ، هذه غالبية وهذه منلوقة ، وهذه آسرة وهذه مأمورة ، وطهر التشق والتمانة ، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شمانة الحدو .

فقلت له ، رحمه الله : أقول أنت : إن عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يهتبه ! قتل : أما أما أقول ذلك ، ولكن عليا كان يقوله ، وتكليف غير تكليفه ، كان حاضرا ولم أكن حاضرا ، فأما عجوج بالأخبار التي اتصلت بي ، وهي تتضمن تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة ، وهو مجبوح بما كان قد علمه أو سلب على ظنه من الحال التي كان حاضرها .

قال : ثم ماتت فاطمة ، فعاد ساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلى بني هاشم في الغراء إلا عائشة ، فإنها لم تأت ، وأظهرت مرصا ، ونزل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور .

ثم بايع علي أباها فسررت بذلك ، وأظهرت من الامتبشار بتمام البيعة واستقرار

الخِلافة وبطلان منازعة الخِصم ما قد ذهبه المنافون فأكثروا ، واحتسرت الأمور على هذا  
مُدَّة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان ، والقلوب تعلل ، والأحقاد تدبب الحمازة ، وكلما  
طال الزمان على عليّ تضاعفت همومه ، وراح يمسأى نفسه ، إلى أن قتل عثمان وقد  
كانت عائشة فيها أشدَّ الناس عليه نأيباً ونحرباً ، فقالت : أبعد الله الشا صمت قتله ،  
وأملت أن تكون الخلافة في طلعة ، صعود الإمرة نبيّة كما كانت أولاً ، فعدل  
الناس عنه إلى عليّ بن أبي طالب ، فلما صممت ذلك صرحت : واعثماناء ! قتل عثمان  
مطلوماً ، وثار ما في الأفس ، حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده .

هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله ، ولم يكن يقتضيه ، وكان شديداً في  
الاعتزال ، إلا أنه في التخصيل كان مبدادياً .



فأما قوله عليه السلام : « ولو دُعيت لقتل من غري مثل ما أتت إلى ، لم تفعل »  
فإنما يعني به عمر ، يقول : لو أن عمر قتل الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل  
عليه ، والوجه الذي أما وليت الخلافة عليه ، وسبب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله ، أو يخرض  
عليه ، ودُعيت عائشة إلى أن تخرج عليه في عصاة من المسلمين إلى بعض ملاد الإسلام ،  
تثير فتنة وتنفذ البيعة - لم تفعل ، وهذا حق ، لأنها لم تكن تحمد على عمر ما يحلوه على  
عليّ عليه السلام ، ولا الحال الحال .

فأما قوله : « ولها - بعد - حرمتها الأولى ، والحساب على الله » ، فإنه يعني بذلك  
حرمتها بنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله لها ، وحقه إياها . وحسابها على الله ، لأنه  
غفور رحيم لا يتعاطى غفوه زلة ، ولا يضيق عن رحمة ذنب .



فإن قلت : هذا الكلام يدل على توقفه عليه السلام في أمرها ، وأنتم تقولون : إنها من أهل الجنة ، فكيف نجسمون بين مذهبكم وهذا الكلام ؟

قلت : يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يواتر الخبر عنده جوبتها ؛ فإن أصحابنا يقولون : إنها ماتت بعد قتل أمير المؤمنين ودمت ، وقالت : لو ددت أن لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة نين ؛ كلهم ماتوا ، ولم يكن يوم الجمل . وأنها كانت بعد قتله تنفى عليه وتشر مناقبه ؛ مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكي حتى تبلى خمارها ، وأنها استعصت الله ودمت ؛ ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث نوبتها عقيب الجمل بلانا يقطع الخبر ويثبت الحصة ؛ والذي شاع عنها من أمر الندم والتوبة شيئا مستغضا ، إنما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك ، والغائب مغفوره ، ويجب قبول التوبة عندنا في العدل ، وقد أكتفوا وقوع التوبة ؛ منها ما روى في الأخبار للشهيرة أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الآخرة كانت زوجة في الدنيا ، ومثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكفف إثبات نوبتها ولو لم يقتل ، فكيف والقتل لما يكاد أن يبلغ حد القواتر !

•••

الأصل :

منه .

سَبِيلُ أَتْلُجٍ إِلَيْهَا سَجَرٌ ، أَنْوَرُ السَّرَاحِرِ ؛ فَبِالْإِيمَانِ يُنْقَلُ عَلَى الصَّالِحَاتِ ،  
وَبِالصَّالِحَاتِ يُنْقَلُ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُسْتَرُ الْإِسْلَامُ ، وَبِالْإِسْلَامِ يُزْهَبُ اللَّوْنُ ،  
وَبِاللَّوْنِ تُغْتَسَمُ الْهَيْئَةُ ، وَبِالْهَيْئَةِ تُخْرَجُ الْآخِرَةُ ، وَبِالْآخِرَةِ تُزَلَّفُ الْجَنَّةُ ، وَتُجْعَلُ الْجَنَّةُ

الْمُكَابِرِينَ . وَإِنْ أَتَخَلَّقْ لَا مَنَصَرَ لَهُمْ مِنَ الْقِيَامَةِ ، مُزَقَّلِينَ فِي مَخَارِجِهَا إِلَى  
الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

•••

### المُتَبَيِّنُ :

هو الآن في ذكر الإيمان ، وعند قال : « سبيل أبلغ للتفهم » ، أى واضح الطريق .  
ثم قال : « فبالإيمان يستدل على الصالحات » ، يريد بالإيمان ما علمناه القنوى لا الشرعى  
لأن الإيمان في اللغة هو التمسك ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ <sup>(١)</sup> أى بمصدق ،  
وللمنى أن من حصل عنده التمسك ، بالوحدانية والربانية ؛ وهما كذا الشهادة ، يستدل بهما  
على وجوب الأعمال الصالحة عليه أو يذهب إليها ، لأن التسليم يعلم من دين نبيه صلى الله  
عليه وآله أنه أوجب عليه أعمالاً صالحة ، ونذهب إلى أعمال صالحة ؛ قد ثبت أن بالإيمان  
يستدل على الصالحات .

ثم قال : « والصالحات يستدل على الإيمان » ، فالإيمان هنا مستعمل في معناه  
الشرعى لا فى معناه القنوى ، ومعناه الشرعى هو التمسك بالقلب ؛ والقول باللسان ، والعمل  
بالبوارح ، فلا يكون للؤمن مؤمناً حتى يستكمل فعل كل واجب ، ويحذف كل فيج ؛  
ولا شبهة أنما على طين أو خلقاً من مكلف أنه يصل الأصول الصالحة ، ويحذف الأفعال السيئة ؛  
استدلنا بذلك على حسن إطلاق لفظ المؤمن عليه ، وبهذا التفسير الذى فسرناه نعلم من  
إشكال الدهر ، لأن القائل أن يقول : من شرط التلليل أن يعلم قبل العلم بالملل ؛ فلو كان  
كل واحد من الإيمان والصالحات يستدل به على الآخر ، لزم تقديم العلم بكل واحد منها  
على العلم بكل واحد منهما ، فيؤدى إلى الدهر ؛ ولا شبهة أن هذا الدهر غير لازم على  
التفسير الذى فسرناه نحن .

ثم قال عليه السلام : « وبالإيمان بعمر العلم » ؛ وذلك لأن العالم وهو غير عامل ببلده ، غير منتفع بما علم ، بل مستضر به غاية الضرر ؛ فكان علمه خراب غير مسمور ؛ وإنما يعمر بالإيمان وهو فعل الواجب وتجنب التبعيع على مذهبه أو الاعتقاد والمعرفة على مذهب غيرنا أو القول الساقط على قول آخرين ؛ ومذهبه أرجح ، لأن عمارة العلم إنما تكون بالعمل من الأعضاء والجوارح ؛ وبدون ذلك يبقى العلم على حرا به كما كان .

ثم قال : « وبالعلم برمب الموت » ، هذان قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُوكَ ﴾ (١) .

ثم قال : « وبالموت تختم الدنيا » ؛ وهذا حق لأنه انقطاع التكليف .

ثم قال : « وبالدنيا مخز الآخرة » ؛ هذا كقول بعض الحكماء : « الدنيا منعر ، والآخرة رمح ، ونفك رأس المال . »

ثم قال : « وبالقيامه تزلف الجنة للمتقين وتبرر الجحيم للعاوين » ، هذان القرآن العزيز (٢) .  
وتزلف لهم ؛ تقدم لهم وتقرّب إليهم .

ولا مقصرى عن كذا ؛ لا محبس ولا غاية لدونه وأرقل بأسرع . والمصار : حيث تستيق الخيل .

• • •

الاعتل :

منها :

قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَعَائِرِ الْمَائَاتِ ؛ يَكُلُّ دَارِ أَهْلِهَا ؛

(١) سورة طه ٢٨ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ وَأُزِلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ • وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ ﴾ .

سورة الصراء ٩٠ ، ٩١ .

لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَإِنَّ الْأُمَرَ بِالْعُرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ،  
خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهَا لَا تُبَرِّئَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَتَمَصَّانِ مِنْ رِزْقٍ.  
وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْخُبْلُ الْمَتِينُ، وَالْفُورُ الْمُبِينُ، وَالْإِشْفَاءُ النَّافِعُ، وَالرَّيُّ  
النَّافِعُ، وَالْعِصَّةُ لِلنَّسْكَ، وَالنَّجَاةُ الْمُتَعَتِّقُ؛ لَا يَتَوَجَّحُ قِيَامٌ، وَلَا يَزِيغُ  
فَيُسْتَقْبَلُ، وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ هَرْدٍ، وَذُلُوجُ السَّعْرِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ  
عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

•••

### الْمَبْنُوحُ :

شَخَّصُوا مِنْ بِلَادِ كَذَا : خَرَجُوا . وَمَبْنُوحُ الْأَجْدَاثِ : مَكَانُ اسْتِقْرَارِهِمْ بِالْقُبُورِ وَهِيَ  
جَمْعُ جَدَثٍ .  
وَمَصَائِرُ الْعَالَمَاتِ : جَمْعُ مَصِيرٍ ، وَالْعَالَمَاتِ : جَمْعُ غَايَةٍ وَهِيَ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ،  
قَالَ الْكُوثُ :

فَالْآنَ صَرْتُ إِلَى أُمُومَةٍ وَالْأُمُورِ إِلَى مَصَائِرٍ

نَمَّ ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ؛ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَقِيمُ بِدَارٍ لَا يَتَحَوَّلُ مِنْهَا ؛ وَهَذَا  
كَأُورْدٍ فِي الْخَبَرِ : « إِنَّهُ يَبْدَأُ مَتَدِيًا : بِأَهْلِ الْجَنَّةِ سَعَادَةً لِإِقْدَاءِهَا ، وَبِأَهْلِ النَّارِ ؛ شَقَاوَةً  
لِإِقْدَاءِهَا » .

نَمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْأُمَرَ بِالْعُرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَذَلِكَ  
لِأَنَّهُ تَعَالَى مَا أَمَرَ إِلَّا بِمَعْرُوفٍ ، وَمَا نَهَى إِلَّا عَنِ مُنْكَرٍ ؛ وَيَبْقَى الْفَرْقُ يَتَنَالُو بِهِ أَمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا  
الْحَمْدُ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا لَمْ يَنْهَ ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - لَا يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ مَنَعَ مِنْ إِيْتَانِ الْمُنْكَرِ  
لَيُطْلَقَ الْعُكْلُفُ .

نَمَّ قَالَ : « إِنَّهَا لَا تُبَرِّئَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَتَمَصَّانِ مِنْ رِزْقٍ » ، وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذلك ، لأن كثيرا من الناس يكف عن نهى الظلمة عن الما كبر ؛ توخا منه أنهم إنا ان  
يطلبوا به فيقتلوه ، أو يقطعوا ررقه ويحرقوه ، فقال عليه السلام : إن ذلك ليس مما يقرب  
من الأجل ، ولا يقطع الرزق . وينبئ أن يحمل كلامه عليه السلام على حال السلامة وغلبة  
الظلم بدم تطرق الضرر الموفى على مصلحة النهى عن المنكر .

ثم أمر باتباع الكتاب العزيز ، ووصفه بما وصفه به .

وماء نافع ، ينفع العلة ، أى يخطمها ويروى منها . ولا يزيغ : يميل فيستندب : يطلب  
منه المنهى هى الرضا ؛ كما يطلب من العالم يميل فيسترضى

قال : ولا يخفق كثرة الرد وولوج السمع ، هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله  
تعالى ، وذلك أن كل كلام منشور أو منظوم إذا تكررت تلاوته وتردد ولوجه الأسماع مل  
وسميج واستمعن ؛ إلا القرآن فإنه لا يزال عصا طربا محبوبا غير معمول .

(١٥٧)

الأفضل

وقام إليه عليه السلام رجل ، فقال : أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال عليه السلام :

إِنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ : ﴿ اَلَمْ أَحْيِ النَّاسُ أَنْ يُذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْعِتْنَةَ لَا تَمُرُّ بِيَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْعِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا ؟ فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ؛ إِنْ أُمَّتِي سَيَفْتَنُونَ بَعْدِي .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ لَيْسَ قَدْ قُتِلَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتَشْهِدَ مَنْ اسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَبِزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي : « أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ » فَقَالَ لِي : « إِنْ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ ، وَقَالَ : يَا عَلِيُّ ؛ إِنْ الْقَوْمَ سَيَفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْنُونُ بِدِينِهِمْ عَلَى رُسُلِهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَعْيَتَهُ ، وَيَسْتَحِيلُونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِيلُونَ الْخُلُمَ بِالنَّبِيدِ ، وَالشُّعْثَ بِالْمَدْبَةِ ، وَالرُّبَا بِالْبَيْعِ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَبَائِلُ النَّازِلِ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أَمْ يَمْنَزِلُهُ رِدْقُهُمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ .

## الْبَيْزُج :

قد كان عليه السلام يتكلم في الفتنة ؛ وقلبك ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وقلبك قال : « فليكنم بكتاب الله » ، أى إذا وقع الأمر واختلط الناس ، فليكنم بكتاب الله ؛ فلذلك قام إليه مَنْ سألَه من الفتنة . وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « إن الله قد كتب عليك جهاد الفتونين ، كما كتب علي جهاد للشركين » ، قال : فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد ؟ قال : قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وهم يعاقبون السنة . فقلت : يا رسول الله ، فسلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد ؟ قال : على الإحداث في الدين ، ومخالفة الأمر ؛ فقلت : يا رسول الله ، إنك كنت وعدتني الشهادة ، فاسأل الله أن يجعلها لي بين يديك ، قال : من يقاتل الناكثين والفساسين والبارقين ؟ أما إني وعدتك الشهادة وسنة شهيد ؛ تضرب علي هذه الضربة هذه ، فكيف صبرك إذا قلت : يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر ، هذا موطن شكر ، قال : أجل ، أصبت ، فأعد للصومنة فإنك محاسن ، فقلت : يا رسول الله ، لو بينت لي قليلا فقال : إن أمي ستقتل من بعدى ؛ فتأول القرآن ونزل بالرأى ؛ ونستعمل الخمر بالببذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع ، وتحترف الكتاب عن مواضعه ، ونطلب كلمة الضلال ، فكن جليسا بينك حتى تقلدها ، فإذا قلدها جاشت عليك الصدور ، وقلبت لك الأمور ؛ تقاتل حينئذ على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ؛ فليست حاتم الثانية بدون حاتم الأولى . فقلت : يا رسول الله ، فبأي النازل أنزل هؤلاء الفتونين من بعدك ؟ أعمزة فتنة أم عنزلة ردة ؟ قال : بمنزلة فتنة يصمون فيها إلى أن يدركهم العدل . فقلت : يا رسول الله ، أيديركم العدل من غير ما ؟ قال : بل منا ، بنا فتح وجنا يحتم ، وبنا أتب الله بين القلوب

بعد الشرك ، وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة . قلت : الحمد لله على ما وهب لنا من فضله .

• • •

واعلم أن لفظة عليه السلام للرؤى في " نهج البلاعة " بدل على أن الآية للذكورة وهي قوله عليه السلام : ﴿ اَلَمْ اَحِبِّ النَّاسَ ﴾ أنزلت بعد أحد ؛ وهذا خلاف قول أرباب التفسير ، لأن هذه الآية هي أول سورة الملكوت وهي عديم بالانفاق مكية ، ويوم أحد كان بالمدينة ؛ وينبغي أن يقال في هذا : إن هذه الآية خاصة أنزلت بالمدينة ، وأضيفت إلى السورة المكية فصلنا واحدة ؛ وحط عليها نسب المكى لأن الأكثر كان مكة ، وفي القرآن مثل هذا كثير ، كسورة النحل ، فلها مكية بالإجماع ، وآخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد يوم أحد ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّفَعَّاصِينَ • وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا يَأْتِيهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي حَقِّهِمْ بِمَا يَمْكُرُونَ • إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُخْشَوْنَ ﴾ (١) .

فإن قلت : فلم قال : « طعت أن المعينة لا تنزل بنا ورسول الله بين أظهرنا » ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (٢) .

وقوله : « حيزت على الشهادة » ، أى ملعت .

قوله : « ليس هذا من مواطن النصر » كلام عال جداً يدل على يقين عظيم ،

وهم فأن تام ، ونحوه قوله - وقد ضربه ابن ملجم - : فرت ورب الكعبة .

(١) سورة النحل ١٢٦ - ١٢٨ .

(٢) سورة الأعراف ٢٢ .



قوله : « سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ » من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١).

قوله : « وَيَعْتَنُونَ بِذَنبِهِمْ عَلَىٰ رَأْسِهِم » ، من قوله تعالى : ﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أُسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُفْرُ الْإِيمَانِ ﴾ (٢).

قوله : « وَيَمْنُونُ رَحْمَةً » من قوله : « أَحَقُّ الْحَقِّ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » .

قوله : « وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ » من قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣).

والأهواء : الشهوة : العاطفة والشهوة : الحرام ، ويجوز ضم الخاء ، وقد أسحقت الرجل في تجارتها ، إذا اكتسب الشهوة .

وفي قوله : « بَلْ عَمَلُهُ غَتْرَةٌ » تصديق لمذهبنا في أهل البقي ، وأنهم لم يدخلوا في الكفر بالكلية ، بل هم فاسق ، والفاسق عندنا في منزلة بين المنزلتين ، خرج من الإيمان ، ولم يدخل في الكفر .

(١) سورة الأحقال ٢٨ .

(٢) سورة الحجرات ١٧ .

(٣) سورة الأعراف ٩٩ .



خُلِقَ لِلْآخِرَةِ أَوْ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَبْلُ يُسَلِّبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ ؛  
عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِيَا وَعْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْتَظِرِ مَتْرَكَ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ  
الشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ اللَّهِ ، اخْذَرُوا يَوْمًا تُفْجَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَسْكُثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَنْشِبُ  
فِيهِ الْأَطْفَالُ .

اعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ عَنَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَفْئِكُمْ ، وَعِيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ،  
وَحُمَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَفْئَايِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظِلَّةٌ لَيْلٍ دَاجٍ ،  
وَلَا بُكَيْنُكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِنَاجٍ ؛ وَإِنْ عَدَا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ ؛ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ،  
وَيَحْيِي الْمَدُّ لَأَحْيَا بِهِ ؛ فَكُنْ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنَزِلَ  
وَحَدِّهِ ، وَتَحَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَأْتِي مِنْ بَيْتٍ وَحَدَّةٍ ، وَمَنَزِلٍ وَخَشْفٍ ، وَمَفْرَدٍ عُرْبَةٍ ؛

وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ عَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِقَاضِي الْقَصَاءِ ؛  
قَدْ زَاخَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَاصْتَعَلَتْ عَنْكُمْ الْعِلَالُ ، وَاسْتَعَقَّتْ بِكُمْ الْخَلَقَاتُ ،  
وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مُصَادِرَهَا ؛ فَانْظُرُوا بِالْمِيرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْمِيرِ ، وَانْقُدُوا بِالذُّرِّ .

\*\*\*

## الْمُنْجِ :

جعل الحمد مفتاحاً ذكره ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ : ﴿ اتَّخَذُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛  
وَالْقُرْآنُ هُوَ الْذِكْرُ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

وسبباً للزبد ، لأنه تعالى قال : ﴿ لَيْسَ شُكْرُنُمْ أَزِيدَ نَسْكُمُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والحمد ها هنا هو الشكر ، ومعنى جملة الحمد دليلاً على عظمته وآلائه أنه إذا كان سبباً للزبد ، فقد دل ذلك على عظمة الصانع وآلائه ؛ أما دلالته على عظمته ، فلا أنه دال على أن قدرته لا تنهاى أبداً ؛ بل كلما ازداد الشكر ازدادت العمة . وأما دلالته على آلائه ، فلا أنه لا جود أعظم من جود من يعطى من يحمد ، لا حتماً متطوعاً ، بل حتماً واجباً عليه .

قوله : « يجرى بالباقيين كجره بالماضين » ، من هذا أخذ الشعراء وغيرهم ما نظموا في هذا المعنى ، قال بعضهم :

مات من مات والثريا الثريا      والشياك الشياك      والنسرُ نسرُ  
وبجسوم السماء نضعك ميتاً      كيف تنقى من بدياً ونمراً  
وقال آخر :

والدهرُ إلا كالزمان الذي مضى      ولا عن إلا كالفرون الأوائل  
قوله : « لا يهود ما قد ولّى منه » ، كقول الشاعر :

ما أحسن الأبيام إلا أنها      يا صاحبي إذا مصّت لم ترجع <sup>(٢)</sup>  
قوله : « ولا يبقى سريداً ما فيه » ؛ كلام مطروق للمعنى ، قال عدي :

ليس شيء على النون بقاء      غير وجهه للهمن الخلاق

قوله : « آخر أفعاله كأوله » ، يروى : « كأولها » ، ومن رواه : « كأوله » أعاد الغمير إلى الدهر ، أى آخر أفعال الدهر كأول الدهر ، فعذف للضاف .

متشابهة أموره ؛ لأنه — كما كان من قبل — يرفع ويضع ، وينفى ويفقر ، ويوجد

(١) سورة إبراهيم ٧ .

(٢) المعرى ، ديوانه ٢ : ١٠٠ .

ويعدم ، فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة . وروى : « منسابقة » أى شيء منها قبل شيء ، كأنها خيلٌ تتسابق في مضمار .

متظاهرة أعلامه ، أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بها قديما وحديثا .  
متظاهرة : يقوى بعضها بعضها . وهذا الكلام جارٍ منه عليه السلام على عادة العرب في ذكر الذم ؛ وإنما الفاعل على الحقيقة ربُّ المهر .

والشَّوْلُ : الشُّوق التى خَفَّ لُبُّها وارتفع ضَرْعُها ، وأتى عليها من متاجها سبعة أشهر أو ثمانية ، الواحدة شائلة ، وهى تجمع على غير القياس . وشَوَات الناقة ، أى صارت شائلة ، فأما الشائلة بغيرها ، فهى الناقة تشوّل بدبها للقاح ولا لبن لها أصلا ، والجمع شَوْل ، مثل راكم وركم ، قال أبو التيجم :

• كَانَتْ فِي أَذْنَانِ الشَّوْلِ<sup>(١)</sup> •

والزاجر : الذى يزجر الإبل يسوقها ، ويقال : حدثت إبل وحديث يابل ، والحدو سَوْقُها ، والعناء لها ، وكذلك الحُداء ، ويقال للشَّيْء : حَدَوَاء ، لأنها تحلوا السحاب ، أى تسوقه ، قال المعاج :

• حَدَوَاءُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادِ الطُّورِ<sup>(٢)</sup> •

ولا يقال للذكر : « أخذى » ، وربما قيل للحمار إذا قدم أنه : حادٍ ، قال ذو الرمة :

• حَادِي ثَلَاثٍ مِنَ الْخَيْلِ السَّاحِجِ<sup>(٣)</sup> •

واللغى أن سائق الشَّوْلِ يصيف بها ، ولا يبتقى سَوْقُها ولا يذارك كما يسوق المِشَار<sup>(٤)</sup> .

(١) الشان ( شول ) .

(٢) ديوانه ٢٨ .

(٣) ديوانه ٧٨ ، وصدرة :

• كَانَتْ حِينَ بَرَأَيْتُ خَلْفَهُنَّ بِهِ •

(٤) المِشَار من الإبل : التى قد آتى عليها عشرة أشهر .

ثم قال عليه السلام : « مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ هَكَ » ، وذلك أَنْ مَنْ لَا يَتَوَقَّى  
النَّظَرَ حَقَّهُ ، وَيَعْبِلُ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَنُصْرَةِ الْأَسْلَافِ . وَالْحَبَاجِ تَحْتَ رُبِّي عَلَيْهِ بَيْنَ الْأَهْلِ  
وَالْأَسَافِينَ الَّذِينَ زَرَعُوا فِي قُلُوبِهِ الْمَقَانِدَ ؛ يَكُونُ قَدْ شَمَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ لَهَا ،  
وَلَا قَصْدَ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا قَصْدُ نُصْرَةِ مَذْهَبٍ مَعَيَّنٍ بِشَقٍّ عَلَيْهِ فِرَاقُهُ ،  
وَيَصِيبُ عِنْدَهُ الْإِفْتِقَالُ مِنْهُ ؛ وَيَسُوهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حُجَّةٌ تَبْطُلُهُ ، فَيُسْهِرُ عَيْنَهُ ، وَيَتَقَبَّ  
قُلُوبَهُ فِي تَهْوِيسٍ <sup>(١)</sup> تِلْكَ الْحُبَّةُ وَالْقَدَحُ فِيهَا بِالْمَثِّ وَالسِّمَنِ ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ الْحَقَّ ، بَلْ  
يَقْصِدُ نُصْرَةَ الْمَذْهَبِ الْعَيْنِ ، وَتَشْيِيدَ دَلِيلِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ مَتَعَيِّرٌ فِي ظُلُمَاتٍ لَا نَهَابَ لَهَا ؛  
وَالْإِرْتِبَاكُ : الْإِحْتِلَاطُ ، رَبَكْتَ الشَّيْءَ أَرْبَكَ رَبَّكَ ، حَلَطْتَهُ فَارْتَبِكَ ، أَيْ اخْتَلَطَ ،  
وَارْتَبَكَ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ ، أَيْ نَشِبَ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ يَتَخَصَّصُ مِنْهُ .

قوله : « وَمَدَّتْ بِهِ شِبَاهُطِيهِ فِي طَعْمَانِهِ » ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ  
يَمُدُّوهُمْ فِي الْآلِي تَمْ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وروى : « وَمَدَّتْ لَهُ شِبَاهُطِيهِ » بِاللَّامِ ، وَمَعْنَاهُ الْإِسْمَالُ ، مَدَّ لَهُ فِي الشَّيْءِ ، أَيْ طَوَّلَ لَهُ ،  
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قوله : « وَزَيْنَتْ لَهُ سَهْيٌ ، أَعْمَالُهُ » ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ  
عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

قوله : « التَّقْوَى دَارُ حَسَنِ عَزِيزٍ » ، مَعْنَاهُ دَارُ حَصَانَةٍ عَزِيزَةٍ ، فَأَقَامَ الْأِسْمَ مَعَامَ  
الْمَصْدَرِ ، وَكَذَلِكَ فِي التَّجْوَرِ .

وَيَحْرُزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ : يَحْفَظُ مِنْ اعْتَصَمَ بِهِ .

(١) تهويس الحجة : إضامها .

(٢) سورة الأعراف ٢٠٢ .

(٣) سورة صريم ٧٥ .

(٤) سورة فاطر ٨ .

وُحَّةً انخطايا : ستمها ، وتقطع الحجة ، كما تقول : قطعت سراًبان السم في بدن للسوء بالبادزهرات والثرىاقات ؛ فكأنه جعل سم الخطايا ساريا في الأبدان ، والتقوى تقطعه ريانه .

قوله : « وباليقين تدرك العاية القصوى » ؛ وذلك لأن أقصى درجات العرفان الكشف ؛ وهو المراد هاهنا بلفظ اليقين .  
وانتصب « الله ، الله » على الإعراء . و « في » متعلقة بالفعل للقدّر ؛ وتقديره : راقبوا . وأعرز الأضس عليهم ، أنفسهم .

قوله : « فيثقوة لازمة » ، مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ؛ تقديره : فمابشكم ، أو مجراؤكم ، أو فشأسكم ؛ وهذا بدل على منعبدى الوعيد ، لأنه قسم الجراء إلى قسمين ، إما للعذاب أبداً ، أو للسم أبداً ؛ وفي هذا بطلان قول المرحطة : إن ناساً يمحرون من النار فيحلون العنة ، لأن هذا لو صحح لكان قسماً ثالثاً .

قوله : « قد دُلِّمُ على الزَّاد » ، أى الطاعة .  
وأمرتم بالظن ، أى أمرتم بهجر الدنيا ، وأن تظلموا عنها بقلوبكم . ويجوز : « الظن » بالنسكين .

وحُثِّمَ على المسير ؛ لأن الليل والنهار سائقان عنيقان .  
قوله : « وإنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير » ، السير هاهنا ، هو الخروج من الدنيا إلى الآخرة ؛ بالموت ؛ جعل الناس ومقامهم في الدنيا كركب وقوف لا يدرون متى يقال لهم : سيروا فيسيرون ، لأن الناس لا يدلون الوقت الذى يموتون فيه .  
فإن قلت : كيف متى الموت والمفارقة سيراً ؟

قلت : لأن الأرواح يُفَرَّجُ بها إما إلى عالمها وهم الممضاء ، أو تهوى إلى أسفل

السائلين وهم الأشقياء ؛ وهذا هو السير الحقيقى ، لا حركة الرجل بالمشى ، ومن أثبت  
الأنفس المحرّدة ، قال : سيرها خلوصها من عالم الحس ، واتصالها للعنوى لا الأبدى  
ببازائها ، فهو سير فى المنى لا فى الصورة ؛ ومن لم يقل بهذا ولا بهذا قال : إن الأبدان  
بمذالموت تأخذ فى التحلل والتزابل ، فيموت كل شيء منها إلى عنصره ، فذلك  
هو السير .

و « ما » فى « تحمّا قليل » زائدة . وتبعته : إثمهُ وعقوبته .

قوله : « إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك » ، أى ليس الثواب فيما ينهى للمرء أن  
يتركه ، ولا الشر فيما ينهى أن يرغب المرء فيه .

وتفحص فيه الأعمال : تكشف . والزّلال ، بالفتح : اسم للحركة الشديدة والاضطراب ،  
والزّلال ؛ بالكسر المصدر ، قال تعالى : ﴿ وَزَلْزَلُوا أَشْدَّ مِنْ أَوَّلِهِ ﴾ (١) .

قوله : « ويشب فيه الأطفال » كلام جار مجرى للثل ، يقال فى اليوم الشديد : إنه  
ليشب حواشى الأطفال ؛ وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَقِفُونَ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .  
شيباً (٣) ، وليس ذلك على حقيقته ، لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير حالهم فى  
الأجرة إلى الشيب ؛ والأصل فى هذا أن الموم والأحران إذا توالى على الإنسان شاب  
سريعاً ، قال أبو الطيب :

والمم يحترّم الجسيم تحفةً ويُسب ناصية الصبيّ قره قروم (٤)

قوله : « إن عليكم رسداً من أنفسكم ، وحيوتاً من جوارحكم » ، لأن الأعضاء تنطق  
فى القيامة بأعمال الكلفين ، وتشهد عليهم .

(١) سورة الأحزاب ١١ .

(٢) سورة الزمل ١٧ .

(٣) ديوانه ٤ : ١٧٤ .



والزم مع واحد، كالحرس جمع حارس .

قوله : « وحَفَظَ صدق » ؛ بمعنى الملائكة السكاكين ؛ لا يعتصم منهم بسيرة ولا ظلام ليل ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

إذا ما خلوت الله هربوا فلا تَقْلُ خَلَوْتُ ؛ وَلَكِنْ قُلْ : هَلْ رَقِيبٌ

قوله : « وإن غدا من اليوم هرب » ، ومنه قول القائل :

• فَإِنْ غَدَا لَنَا ظِرٌّ قَرِيبٌ <sup>(١)</sup> •

منه قوله :

• قَدْ مَاضَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ •

ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

والصبحة : فحة المصور

وزاحت الأباطيل : برمت ، واستمعت : تلاشت وذهبت .

قوله : « واستمعت » ، أى حثت ووقفت ، استعمل بمعنى « فعل » ، كقوله :

استمر على باطله ، أى مر عليه .

وصدرت بكم الأمور مصادرها ، كل وارد فله صدر من موده ، وصدر الإنسان من

موارد الدنيا : الموت ثم البعث .

(١) صدره :

• فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِيًّا •

(٢) سورة هود ٨١

(١٥٩)

الأفضل:

ومن خطبة له عليه السلام :

أَرْسَلَهُ عَلَى جِبِينَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ حَبْجَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَأُسْتِقَامٍ مِنَ الْمَبَرِّمِ؛  
فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّوْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ بِهِ؛ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْعِلُوا بِهِ؛  
وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ...  
أَلَا إِنَّ فِيهِ حِكْمَ مَا بَاقِيَ، وَالتَّحْدِيثَ مِنَ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ  
مَا بَيْنَكُمْ.



البيان:

المعجزة : التَّوْحِيدُ الخفيفة؛ وقد نستعمل في التَّوْحِيدِ للتمييز أيضا والبرم: الحبل المقبول.  
والذي بين يديه : التَّوْرَةُ والإنجيل .

فإن قلت : التَّوْرَةُ والإنجيل قبله ، فكيف جعلهما بين يديه ؟

قلت : أحد جزأي الصلة محذوف وهو للتبدأ ؛ والتقدير : بتصديق الذي هو بين يديه ؛  
وهو ضمير القرآن ، أي بتصديق الذي للقرآن بين يديه ؛ وحذف أحد جزأي الصلة هاهنا ،  
ثم حذفه في قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا ﴾<sup>(١)</sup> ، في قراءة من جعله اسما

مرفوعاً، وأيضاً فإن العرب تستعمل « بين يديه » بمعنى « قبل » ، قال تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى قبله .

• • •

## الأصل :

منها :

فَمِئَذَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بُيُوتٌ مَدْرُورًا وَلَا وَبَرٌ إِلَّا وَأَدْحَلُهُ الْعَالَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْجَلُهَا فِيهِ  
خِصَّةٌ ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَشْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ مَأْدِبٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ مَأْوٍ .  
أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْكُمْ  
مَا كَلَّا بِمَا كَلْتُمْ ؛ وَمَشْرَبًا مَشْرَبٍ ؛ مِنْ مَطَاعِمِ الْمَنَعَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْقَفْرِ ، وَلِيَأْسَ  
شِمَاكِرُ الْخُلُوفِ ، وَدِثَارُ السَّيْفِ ؛ وَإِنَّمَا هُمْ مَطَابَا الْخَطِيئَاتِ ، وَرَوَامِلُ الْأَنَامِ .  
فَأَقِمْ نَفْسًا أَقِمْ ، لَسَفَحَتَهَا أَمِيَّةٌ مِنْ تَعْدِي كَمَا تُلْعَظُ الدُّخَانَةُ ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا  
وَلَا تَتَطَلَّمُ بِطَعْمِهَا أُنْدًا ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَارُ !

• • •

## التفسير :

التَّرْحَةُ : الحزن ، قال : فحينئذ لا يبقى لهم ، أى يحيق بهم العذاب ؛ ويبعث الله  
عليهم مَنْ يَنْتَقِمُ ، وهذا إخبارٌ عن مُلْكِ نَبِيِّ أَمِيَّةٍ بعده ؛ وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم  
في الأرض .

ثم خاطب أولياء هؤلاء الْعَالَمَةِ ، وَمَنْ كَانَ بَوَّازًا مَلِكُهُمْ ، فقال ، « أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ

غير أهله ، أخصيتُ فلانا بكذا : خصصته به ، وصفتي الغنم : شيء كان بصطفية الرئيس لنفسه من الغنمية .

وأوردتموه غير وزده : أنزلتموه عند غير مستحقه .

ثم قال : سيبدل الله ما كلمهم الذبذبة الشهية بما كل صبرية عاقبة . والمقر : المرء . وما كلاً منصوب بفعل مقدر أي يأكلون ما كلاً ؛ والباء هاءا للمحاربة الدالة على الصلة ، كقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا تَخْصِيصِهِمْ مِثْقَاثَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وكقول أبي نعام :

فَبِمَا قَدْ أَرَاهُ رَبِّيَّانَ مَكْسُورَ الْعَصَايِ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ وَطَيِّبٍ<sup>(٢)</sup>

وقال سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ قَلْبِي فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وحمل سائرهم الخوف ، لأنه باطن في القلوب ، وديثارهم السيف لأنه ظاهر في البدن ؛ كما أن الشعار ما كان إلى الجسد والديثار ما كان فوقه .

ومطايا الخطيات : حوامل القديس . وروامل الآثام : جمع زائلة ، وهي سائر يستظهره

الإنسان يحمل متاعه عليه ، قال الشاعر :

رَوَامِلُ أَشْعَارٍ وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِمَحْسَدِهَا إِلَّا كَيْلُ الْأَعْمَرِ<sup>(٤)</sup>

وتنحمت النعامة : إذا تنحمتها ، والنخامة : النعاعة .

والجديدان : الليل والنهار ؛ وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب الحديثين

أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أن نبي أمية تمتك الخلافة بعده ، مع ذم منه عليه

(١) سورة النساء ١٠٥ .

(٢) ديوانه ١ : ١٢٤ .

(٣) سورة القصص ١٧ .

(٤) بدمه :

لَعَمْرُكَ مَا يَذَرِي السَّعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَائِثِ

والبيان لرواي بن سليمان بن أبي حمزة ، يهجو قوما من رواة الشعر ( الملاح - زمل ) .

والسلام لهم ، نحو ما روى عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ لِآبَائِنَا ﴾<sup>(١)</sup> للناس وللشجرة لللعنة في القرآن<sup>(٢)</sup> فإن للفسرين قالوا : إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزول القردة ، هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لم الآية به ، فساء ذلك ثم قال : الشجرة لللعنة بنو أمية وبني المغيرة ؛ ونحو قوله صلى الله عليه وآله : « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دُولاً وعباده خَوَلاً » ونحو قوله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَ الْقَدَرِ حَيْثُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾<sup>(٣)</sup> قال : ألف شهر يملك فيها بنو أمية . وورد عنه صلى الله عليه وآله من ذمهم الكثير المشهور بنحو قوله : « أبيض الأسماء إلى الله الحكم وهشام والوليد » ، وفي خبر آخر : « اسمان يُبَغَضُهما الله : مروان والمنيرة » ؛ ونحو قوله : « إن ربكم يحب ويُبغض ؛ كما يحب أحدكم ويبغض » ، وإياه يبغض بني أمية ويحب بني عبد المطلب » .

فإن قلت : كيف قال : « ثم لا تنفوقها أبداً » وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة ؟

قلت : الاعتبار بملك العراق . والحجاز ؛ وما هداها من الأقاليم لا اعتداد به .

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

(٢) سورة القمر ٣ .

( ١٦٠ )

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَأَحْتَفْتُكُمْ مِنْ رَبِّي  
عَذْلٌ وَحَلَقِي الضِّمِّ ؛ سُكْرًا مِنْ لَيْلٍ الْقَلِيلِ ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَذْرَكُهُ الْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ  
الَّذَنْ مِنَ الْمُسْكَرِ الْكَثِيرِ .

\*\*\*



الشرح :

أحطت بجهدى من ورائكم : تحيتكم وحبستكم . والجهد ، بالضم : الطاقة للرب  
جمع رِبْقَة ، وهى الحبل يربق به البهم .

وحلق الضم : جمع حَلَقَة ، بالنسكين ، ويجوز : « حلق » بكسر الحاء وحلاق .

فإن قلت : كيف يجوز له أن يطرق ويمضي عن المسكر ؟

قلت : يجوز له ذلك إذا علم أن غلب على ظنه أنه إن نهام عنه لم يرتدعوا ، وأضافوا

إليه مسكراً آخر ، فحينئذ يخرج الإطراق والإغضاء عن حدة الجواز إلى حدة الوجوب ،

لأن النهي عن المسكر يكون والحالة هذه مفسدة .

(١٦١)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمُهُ، وَرِضَاؤُهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.  
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي؛ وَعَلَى مَا تُنْصِي وَتَبْتَلِي؛ حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى  
 الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ؛ وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ؛ حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ  
 مَا أَرَدْتَ؛ حَمْدًا لَا يُجْجِبُ عَنْكَ، وَلَا يُفْصِرُ دُونَكَ؛ حَمْدًا لَا يَنْقُطِعُ عَدَدُهُ،  
 وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَمَّا تَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَدُومٌ؛ لَا تَأْخُذُكَ  
 سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ لَمْ يَدْنِ إِلَيْكَ تَفَكُّرٌ، وَلَمْ يَذْرِكَ تَعَصُّرٌ، يَذَرُكَ الْأَنْصَارُ، وَأُخْصِيَتْ  
 الْأَعْمَالُ، وَأَخْذَتْ بِالتَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.

وَمَا أَلَدَى نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَتَعَبُّ لَهْ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصْفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ؛  
 وَمَا تَعَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَتَعَصَّرَتْ أَنْصَارُنَا عَنْهُ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَائِرُ  
 الْفُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ - أَعْظَمُ. فَسَنُفَرِّغُ قُلُوبَهُ، وَأَعْمَلُ فِكْرَهُ، لِنَعْلَمَ كَيْفَ أَقْبَسَتْ  
 عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأَتْ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدَتْ  
 عَلَى تَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ - رَجَّعَ طَرَفُهُ حَيْرًا، وَعَقَلُهُ مَبْهُورًا، وَسَمِعُهُ وَآلِهًا، وَفِكْرُهُ  
 حَائِرًا.

\*\*\*

## الشرح

يجوز أن يكون أمره ما هنا هو الأمر المعلى ، لا الأمر القولى ، كما يقال : أمر فلان مستقيم ، وما أمر كذا ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا وَاحدةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَمَا أُمِرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةً الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فيكون المعنى أن شأنه تعالى ليس إلا أحد شيئين هما « أن يقول » ، « وأن يفعل » ، فبغير من « أن يقول » بقوله : « قضاء » لأن القضاء الحكم ، وعبر عن « أن يفعل » بقوله : « وحكمة » لأن أفعاله كلها تتبع دواعى الحكمة . ويجوز أن يكون « أمره » هو الأمر القولى ؛ وهو المصدر من « أمره » تكذا أمراً « فيكون المعنى أن أوامره إيجاب وإلزام بما فيه حكمة ومصلحة ؛ وقد جاء القضاء بمعنى الإلزام والإيجاب في القرآن للمرضى في قوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَسْجُدُوا إِلَّا لِيَاءِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أى أوجب وألزم .

قوله : « ورعاه أماناً ورحمة » ؛ لأن من فاز بدرجة الرضا قد أمن وحصلت له الرحمة ؛ لأن الرضا رحمة وزيادة .

قوله : « يقضى بعلم » ، أى يحكم بما يحكم به لأنه عالم بحسن ذلك القضاء ، أو وجوبه في العدل .

قوله : « ويعفو بحلم » ، أى لا يعفو عن مجز وثلة ، كما يعفو الضيف عن القوي ؛ بل هو قادر على الانتقام ولكنه يحلم .

ثم حمده تعالى على الإعطاء والأخذ ، والعافية والبلاء ؛ لأن ذلك كله من عنده المصالح للمكلف ، يعلمها وما <sup>(٤)</sup> يعلمها المكلف ، والحمد على المصالح واجب .

(١) سورة النحل ٧٧ .

(٢) ٥ : ٥٠ ولا .

(١) سورة القمر ٥٠ .

(٢) سورة الإسراء ٢٣ .



ثم أخذ في تفضيع شأن ذلك الحد وتظيمه والبالغة في وصفه، احتذاء بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحد لله زنة عرشه ، الحد لله عدد خلقه ، الحد لله ملء سيئه وأرضه » ، فقال عليه السلام : حتماً يكون أرضي الحدك ، أي يكون رضاك له أوفى وأعظم من رضاك غيره ، وكذلك القول في : « أحب » و « أفضل » .

قوله : « ويبلغ ما أردت » ، أي هو غاية ما تنتهي إليه الإرادة ؛ وهذا كقول الأعرابي في صفة المطر : غشينا ما شئنا ؛ وهو من صحيح الكلام .

قوله : « لا يحبب عنك » ، لأن الإخلاص يقارنه ، والرياء متنافٍ عنه .

قوله : « ولا يقصرُ دونك » ؛ أي لا يحبس ؛ أي لا مانع عن وصوله إليك ، وهذا من باب التوسع ؛ ومناه : أنه يرى من اللوائح عن إغمار الثواب واقتضائه إياه ، وروى « ولا يقصر » من القصور ، وروى « ولا يقصر » من التقصير .

ثم أخذ في بيان أن القول قاصرة عن إدراك الباري سبحانه والعلم به ، وأنا إنا علم منه صفات إضافية أو سلبية ؛ كالملم بأنه حي ، ومعنى ذلك أنه لا يستحيل على ذاته أن يعلم ويقدّر ؛ وأنه فيوم بمعدن ذاته لا يجوز ؛ عليها العدم ما يقيم الأشياء ويمسكها ؛ وكل شيء يقيم الأشياء كلها ويمسكها ، وليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه ؛ وإلا لم يكن مقبلاً ويمسكاً لكل شيء ، وكل من ليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه ؛ فذاته لا يجوز عليها العدم . وأنه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ؛ لأن هذا من صفات الأجسام ؛ وما لا يجوز عليه العدم لا يكون جسماً ، ولا يوصف بخواص الأجسام ولوازمها ، فإنه لا ينشئ إليه نظر ، لأن انتهاء النظر إليه ؛ يستلزم مقابله وهو تعالى منزّه عن الجهة ، وإلا لم يكن ذاته مستحيلاً عليها العدم ، وأنه لا يدركه بصر ، لأن إحصاء الأشياء بانطباع أمثلتها في الرطوبة الجليدية كانطباع أشباح المراتب في المرآة ، والباري تعالى لا يمتثل ، ولا يقشع ؛ وإلا لم يكن

غيره ، وأنه يدرك الأنصار ؛ لأنه إما عالم لذاته ، أو لأنه حي لا آفة به ، وأنه يحصى الأعمال لأنه عالم لذاته ، فيعلم كل شيء ، حاصراً وماصياً ومستقبلاً ، وأنه يأخذ بالتواءم والأقدام ، لأنه قادر لذاته ، فهو متمكن من كل مقدور

ثم حرج إلى فن آخر ؛ فقال : وما الذي سمعت لأجله من قدرتك وعظيم ملكك ، والعائب عما من عظمتك أعظم من الحاصر ؛ مثل ذلك أن حرّم الشمس أعظم من حرّم الأرض مائة وسعين مرة ، ولا نسبة لحرّم الشمس إلى فلسكها المائل ، ولا نسبة لفلسكها المائل إلى فلسكها المميل ؛ وذلك تدوير المريح الذي فوقها أعظم من بميل الشمس ؛ ولا نسبة لفلك تدوير المريح إلى فلسك المميل ؛ وذلك تدوير المشتري أعظم من بميل المريح ، ولا نسبة لفلك تدوير المشتري إلى فلسك المميل ؛ وذلك تدوير رحل أعظم من بميل المشتري ، ولا نسبة لفلك تدوير رحل إلى بميل رحل ، ولا نسبة لميل رحل إلى كرة الثواب ، ولا نسبة لكرة الثواب إلى الفلك الأطلس الأقصى ؛ فاطر أي نسبة تكون الأرض بكليتها على هذا الترتيب إلى الفلك الأطلس ، وهذا مما تفصّر القول عن فهمه ، ونسبى دونه ، ونحول سوائر الميوس بها وبينه ، كما قال عايد السلام

ثم ذكر أن من أعمل فكره يعلم كيف أقام سبحانه العرش ، وكيف دّرأ الخلق ، وكيف خلق السموات بغير علاقة ولا عمد ، وكيف مدّ الأرض على الماء ، رجّح طوره حسيراً ، وعقله مهوراً . وهذا كله حق ، ومن تأمل كتبنا المقايمة واعتراضنا على الفلاسفة الذين علّقوا هذه الأمور ، ورعّخوا أهم استنبطوا لها أسباباً عقلية ، وادّعوا وفوقهم على كسبها وحفاظها ، علم صحة ما ذكره عايد السلام ، من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى ، وعظيم مخلوقاته بمكيال عقله ، فقد صل صلالاً مبيناً .

وروى : « وفكره جاترا » ، بالجيم ، أى عادلا عن العواب والحسير : المتعبد .  
واللهور : الملوب . والواله : المتعبد .

• • •

## الأصل :

منها :

يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يُرْجُو اللَّهَ ، كَذَبَ وَالْمَظْمُونُ لَا يَدْعِيَنَّ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ  
فَكُلُّ مَنْ دَجَا هُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ  
مُحَقَّقٌ - إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ - فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ .

يُرْجُو اللَّهَ فِي الْكِبَرِ ، وَمُزْجُو الْعِبَادِ فِي الصَّغِيرِ ؛ فَيُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّبَّ  
فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ كَمَا يُصْلَحُ بِهِ لِيُبَادِرَهُ ؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَذِبًا ، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟  
وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ ؛ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطَى رَبَّهُ ؛ فَجَعَلَ  
خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ هَذَا ، وَخَوْفَهُ مِنْ حَاقِقِهِ ضِمَارًا وَرَعْدًا .

وَكَذَلِكَ مَنْ عَطَسَتْ أَلْفُ نَفْسٍ فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْضِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ ؛ أَثَرُهَا عَلَى اللَّهِ ؛  
فَأَغْطَعَ إِلَهَهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

• • •

## الشرح :

يجوز « برُعهه » ، بالضم و « برُعهه » بالفتح ، و « يزُعهه » بالكسر ، ثلاث لغات ، أى  
يقوله فأما من « زعت » ، أى كفلت ، فالمصدر « الزعم » بالفتح ، والزعامه .

ثم أقسم على كذب هذا الزاعم ، فقال : « والمظيم » ، ولم يقل : والله العظيم متناً كبيراً  
اعظمه الباري سبحانه ، لأن الموصوف إذا ألقوا وتركوا واعتدوا على الصفة حتى صاروا  
كلاسم ، كان أحل على تحقق مفهوم الصفة ، كالحارث والمياس .

ثم بين مستند هذا التكذيب ، فقال : ما بال هذا الزاعم ! إنه يرجو ربه ، ولا يظهر  
رجاؤه في عمله ، فإننا نرى من يرجو واحداً من البشر بلازم بابه ؛ ويواظب على خدمته  
ويحسب إليه ، ويتقرب إلى قلبه بأنواع الوسائل والفرق ؛ ليظفر بمراحمه منه ، ويحقق  
رجاؤه فيه ، وهذا الإنسان الذي يزعم أنه يرجو الله تعالى ، لا يظهر من أعماله الدينية ما يدل  
على صدق دعواه ، ومراحمه عليه السلام هاهنا ليس شعاعاً نبيه ، بل كل إنسان هذه  
صفته ، فالتطاب له والحديث معه .

ثم قال : « كل رجاء إلا رجاء الله فهو مدخول » ، أي معيب ، والدخول ،  
بالسكين : المعيب والريبة ومن كلامهم : « ترى العتيان كالتنخل ، وما يدريك  
ما الدخول »<sup>(١)</sup> ، وجاء « الدخول » بالتحريك أيضاً ، يقال : هذا الأمر فيه دخل  
ودخل ، بمعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ أي مكرراً  
وخدبة ، وهو من هذا الباب أيضاً .

ثم قال : « وكل خوف محقق إلا خوف الله فهو معول » : محقق ، أي ثابت ، أي كل  
خوف حاصل حقيقة فإنه مع هذا الحصول والتحقق معول ليس بالخوف الصريح ؛ إلا خوف  
الله وحده وتقواه ، وهيئته وسلطوته ومجده ، ذلك لأن الأمر الذي يخاف من العبد سرير  
الانقضاء والزوال ، والأمر الذي يخاف من الباري تعالى لا غاية له ولا انقضاء لهذوره ،  
كما قيل في الحديث المرفوع : « فضوح الدنيا أهون من فصوص الآخرة » .

(١) مثل ، وأول من فاته غلبة بنت مطرود العجبة . وانظر التاخر ١٥٦ .

(٢) سورة النحل ٩٤ .

ثم عاد إلى الرجاء ، فقال : يرجو هذا الإنسان الله في الكثير ، أي يرجو رحمة في الآخرة ، ولا يتعلق رحاؤه بالله تعالى إلا في هذا الموضع ، فأما ما عدا ذلك من أمور الدنيا كالكاسب والأموال والجاه والسلطان وانقطاع المصارف والتوصل إلى الأعراض بالشفاعات والتوسلات ، فإنه لا يخطر له الله تعالى ببالي ، بل يعتمد في ذلك على السفراء والوسطاء ، ويرجو حصول هذه المنافع ، ودفع هذه المضار من أبناء نوعه من البشر ، فقد أعطى العباد من دجانه ما لم يعطه الخلق سبحانه ، فهو محطى ؛ لأنه إما أن يكون هو في نفسه صالحاً لأن يرجوه سبحانه ، وإما ألا يكون الباري تعالى في نفسه صالحاً لأن يرجي ، فإن كان الثاني فهو ككفر مراح ، وإن كان الأول فالعبد محطى حيث لم يحمل نفسه مستعداً لعمل الصالحات ، لأن يصلح لرجاء الباري سبحانه .

ثم انتقل عليه السلام إلى الخوف ، فقال : وكذلك إن خاف هذا الإنسان عبداً مثله ؛ خافه أكثر من خوفه للباري سبحانه ؛ لأن كثيراً من الناس يخافون السلطان وسطوته أكثر من خوفهم مؤاحدة الباري سبحانه ؛ وهذا مشاهد ومعلوم من الناس ، فخوف بعضهم من بعض كالنقد المجل ، وخوفهم من حالهم ضياع ووعد . والسمار : ما لا يرجي من الموعود والديون . قال الراعي :

تَحِدَنَ مَزَارَهُ وَأَصْبَنَ مِنْهُ عَطَاءٌ لَمْ يَسْكُنْ عِدَّةَ صِيَارَا<sup>(١)</sup>

ثم قال : « وكذلك من عظمت الدنيا في عينه » يختارها على الله ، ويستعبد له بها . ويقال : كبر ، بالضم ، بكبر أي عظم ؛ فهو كبير وكبار بالتخفيف ؛ فإذا أفرط قيل :

(١) السان ٦ : ١٦٤ ، وله :

وَأَنْصَاءُ أَيْمَنَ إِلَى سَعِيدٍ طَرَوْقًا ثُمَّ تَحَلَّنَ أَشْكَارًا

« كِبَار » بالشديد ، فأما كِبَر بالكسر ، فمعناه أَسَن : والصدر مِمَّا كَبُرَ ،  
بفتح الباء .

• • •

### الأصل :

وَأَقْدَكَ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَافٍ لَكَ فِي الْأَنْوَةِ ، وَدَلِيلٌ لَكَ  
عَلَى ذَمِّ أَهْلِهَا وَعَظِيمًا ، وَكَثْرَةِ مَخَارِبِهَا وَمَسَارِبِهَا ؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِئَتْ  
لِغَيْرِهِ أَكْثَافُهَا ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَائِعِهَا ، وَرُويَ عَنْ رَحَارِفِهَا .

وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : ( رَبِّ  
إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٌ ) أَرَأَيْتَ مَا سَأَلَهُ ( أَلَمْ أَحْزَأْ بِأَسْأَلِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بِأَسْأَلِ  
نَقْلَةِ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُمْرَةُ الثَّغْلِ تُرَى مِنْ شِمْفِ صِدَاقِ بَطْنِهِ ، وَلَهُ لَهِ  
وَسَدَبٌ لَحِيمٌ .

وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الرِّمَامِ ، وَقَارِيَّ أَهْلِ الْحَنَةِ ،  
فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُلُوصِ بِوَدِّهِ ، وَيَقُولُ لِحُلَسَائِهِ : أَتُسْكُنُ بِسُكْنِي بَيْتَهَا  
وَبِأَسْأَلِ قُرْصِ الشَّيْرِ مِنْ نَمَرِهَا .

وَإِنْ شِئْتَ فَلَنْتُ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَقْوَسُ الْحَجَرَ ،  
وَيَلْبَسُ الْحِشْنَ ، وَيَأْكُلُ الْحَشَبَ ، وَكَانَ إِذْ هُوَ الْخُرُوعُ ، وَيَبْرَأُ أَخُو الْفُلَيْلِ الْفَقْرَ ،  
وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَعَارِبُهَا ، وَكَهْفُهُ وَرَيْحَانَةُ مَا تَمْنَيْتُ الْأَرْضُ  
لِقَائِهِمْ ؛ وَلَمْ تَسْكُنْ لَهُ رَوْحَةُ تَقْيِيهِ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْرُسُهُ ، وَلَا مَالٌ يَنْفَعُهُ ، وَلَا طِمَعٌ  
يُدْلِيهِ ؛ دَانَتْهُ رَحْلَاهُ ، وَخَدِمَتْهُ دَنَاهُ .

• • •

## البُزْج :

يموز أسوة وإسوة ، وقرى التنزيل بهما ، والساوى : السويب ؛ ساءه كذا يسوء .  
سواء بالفتح ومساواة ومساوية . وسوته سوابة ومساوية ، بالتخفيف ، أى ساءه ما رآه منى .  
وسأل سيبويه الخليل عن « سوائية » ، فقال : هى « فعالية » بمنزلة علامية ، والذين قالوا :  
« سوابية » حذفوا الهمزة تخفيفا ؛ وهى الأصل . قال : وسألته عن « مسائية » ، فقال :  
هى مقالوبة وأصلها « مساوئة » فكرهوا المواضع الهمزة ، والذين قالوا : « مساية » حذفوا  
الهمزة أيضا تخفيفا ؛ ومن أمثالهم : « الخليل تجرى فى مساويها » ؛ أى أنها وإن كانت بها  
عيوب وأوصاب ، فإن كرمها يجعلها على الجرى .

والخازى : جمع خفراء ؛ وهى الأمر يستعمل من ذكره اقتضاه .

وأكدافها : حوائها . وروى : قيس . وزخارف : جمع زخرف ؛ وهو الذهب ،  
روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « عُرِضَتْ عَلَى كَنْزِ الْأَرْضِ وَدُفِنَتْ  
إِلَى مَعَاتِيحِ حَرَائِهَا ، فكَرِهْنَهَا وَاحْتَرَتْ الدَّارَ الْآخِرَةَ » ، وجاء فى الأحبار الصحيحة أنه  
كان يجمع وبشد حَجَرًا عَلَى بَطْنِهِ . وأنه ما شِعَ آلَ عَمْدٍ مِنْ نَلَمَ قَطً ، وَأَنَّ قَاطِمَةَ وَبَعْلَهَا  
وَبَنِيهَا كَانُوا يَأْكُلُونَ حَبْرَ الشَّعِيرِ ، وَأَسْمَ آثَرُوا سَائِلًا بِأَرْبَعَةِ أَفْرَاسٍ مِنْهُ كَانُوا أَعْدَاؤَهَا  
لِفُطُورِهِمْ ، وَهَاتُوا جِيَاعًا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملك قطعة واسعة من  
الجنة ، فلم يتدنس منها بقليل ولا كثير ؛ ولقد كانت الإبل التى غنمها يوم حنين أكثر  
من عشرة آلاف بعير ؛ فلم يأخذ منها وبرة لنفسه ، وفرقها كلها على الناس ، وهكذا  
كانت شيمته وسيرته فى جميع أحواله إلى أن توى

والصفاق : الجلد الباطن الذى فوقه الجلد الظاهر من البطن . وشفيهه : رقيقه الذى  
يستشف ما وراءه ، والتفسير الذى مر عليه السلام الآية فسرها القسرون ، وقالوا : إن

خضرة البقل كانت تُرعى في بطنه من الهزال ، وإِنَّه ماسأل الله إلا أكلة من الخبز . وما  
( لِيَا أَنْزَلْتَ ) بمعنى أى ، أى إلى لى شىء . أنزلت إلى - قليل أو كثير ، غث  
أو سمين - فقير .

فإن قلت : لم عدى « فقيرا » باللام ، وإنما يقال : « فقير إلى كذا » ؟  
قلت : لأنه صمّن معنى « سائل » و « مطالب » ومن قسر الآية بغير ما ذكره عليه السلام  
لم يحتاج إلى الجواب عن هذا السؤال ، فإن قوما قالوا : أراد : إلى فقير من الدنيا لأجل  
ما أنزلت إلى من حير ، أى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين ؛ فإن ذلك رضا بالهدل  
السقي ، وفرحاً به وشكراً .  
وتشذب اللحم : تفرقه .

والمزامير : جمع مزار ؛ وهو الآلة التي يرمز فيها ، ويقال : زمر يرمز ويرمز ، بالضم  
والكسر ؛ فهو رماز ، ولا يكاد يقال : زامر ؛ ويقال للمرأة : زامرة ، ولا يقال رمارة ،  
فأما الحديث أنه نهي عن كسب الزمارة ، فقالوا : إنها الزانية هاهنا . ويقال : إن داود  
أعطى من طيب النعم وقدة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه ،  
والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استفرقها من طيب صوته . وقال  
الذي صلى الله عليه وآله لأبي موسى ، وقد سمعه يقرأ : « لقد أوتيت مزاراً من مزامير  
داود » ، وكان أبو موسى شجى الصوت إذا قرأ . وورد في الخبر : « داود قارى  
أهل الجنة » .

وسفائف الخوص : جمع سفيفة ، وهي السبعة منه ، سففت الخوص وأسففته بمعنى .  
وهذا الذي ذكره عليه السلام عن داود يجب أن يحمل على أنه شرح حاله قبل أن  
يملك فإنه كان فقيراً ، فأما حيث ملك فإن المعلوم من سيرته غير ذلك .  
فأما عيسى لحاله كما ذكرها عليه السلام ، لأربب في ذلك ، هل أنا كل اللحم وشرب



الحمر ، وركب الحمار وحده النلازمة ؛ ولكن الأعباء من حاله هي الأمور التي عددها أمير المؤمنين عليه السلام .

ويقال : حَرَبِي الشئ ، بحَرَبِي ما يصعب أو يعجز : «أحربى» بالحمر بحربى ، وقرئ بهما ، وهو في كلامه عليه السلام في هذا الفصل بهما .

ويقال : لفته عن كذا ، بلفته بالكسر ، أى مره ولواه .

• • •

### الأصل

فَتَأْسُ بِنَبِيِّكَ الْأَطْلَبِ الْأَطْمَرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَدَ لَبَنٍ تَأْسَى ، وَغَرَاءَ لَبَنٍ تَمْرَى وَأَحَبُّ الْمَوَادِّ إِلَى اللَّهِ النَّاسِيُّ بِدِينِهِ ، وَالْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ قَصَمَ الدُّنْيَا قَصْمًا ، وَلَمْ يُبْرِها طَرَفًا أَحَدُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَأَخْصَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا نَعْلًا ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا قَائِي أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَمِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُنْصَحَ شَيْئًا قَائِمَةً ، وَحَمَرُ شَيْئًا فَحَقَرَهُ ، وَضَمَرُ شَيْئًا فَصَمَرَهُ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُمَا مَا أُنْصَحَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَهْلِكُنَا مَا صَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لَسَكَى بِهِ شِفَاقًا فِي تَعَالَى وَمُعَادَةٍ عَنْ مُرِّ اللَّهِ تَعَالَى ! وَلَقَدْ كَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَكْلٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَبِجَلْسٍ حِلْسَةٍ كَلْبَةٍ ، وَبِخَصْفٍ بِيَدِهِ نَعْلَةٍ ، وَبِرَفْعٍ بِيَدِهِ ثَوْبَةٍ ، وَبِرَكْبٍ الْحِمَارِ الْمَارِي ، وَبُرُودٍ حَمَمَةٍ ؛ وَبَسْكَوْنِ الشُّتْرِ عَلَى بَابِ يَدَيْهِ فَتَسْكُونُ بِهِ النَّصَاوِيرُ قَبِيْقُولُ : يَا مَلَأَنِي بِإِحْدَى رُوحِهِ عَيْبِيهِ عَنِّي ؛ قَائِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَرَحَلَهَا ، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَدِيرِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تُصِيبَ رِيْقَتُهَا عَنْ عَيْبِهِ ، إِسْكِيَالًا يَتَجِدُ مِنْهَا رِبَاشًا ، وَلَا يَفْقِدُهَا فَرَارًا ، وَلَا يَرْحُو فِيهَا مَفَامًا ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَشَدَعَهَا عَنِ الْقَلْبِ ، وَعَيْبَهَا عَنِ الْبَصَرِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْصَرَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذَكَّرَ مِنْهُ ؛ وَلَقَدْ كَانَ  
 فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَدَّلَكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا  
 مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَرُوِيَ عَنْهُ رَحَارِمُهَا مَعَ عَظِيمِ رُفْعَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِلٌ بِقَلْبِهِ : أَسْكَرَمَ اللَّهُ  
 مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ : « أَهَانَهُ » فَقَدْ كَذَبَ وَأَفْهَى  
 الْعَظِيمِ بِالْإِهْمَالِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : « أَسْكَرَمَهُ » فَلْيَحْتَمِمْ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ  
 نَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَرَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ ؛ فَنَأْسَى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ ، وَافْتَقَصَ أَثَرَهُ ،  
 وَوَأَجَعَ مَوْلِيَتَهُ ؛ وَإِلَّا فَلَا يَأْمُرُ الْهَدْيُكَ ، فَمَنْ اللَّهُ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 عَلَمًا لِلِسَاعَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُمَدِّدًا بِالتَّقْوَةِ ؛ حَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ، وَوَرَدَ  
 الْآخِرَةَ سَلِيمًا ، لَمْ يَصْعَ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ ؛ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأُجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ؛  
 فَمَا أَغْظَمَ مِثْلَهُ اللَّهُ هَذَا مَا حِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِهَذَا سَلَفًا لِنَفْسِهِ ، وَقَائِدًا نَظْمًا لِقَبْلِهِ ؛ وَاللَّهُ لَقَدْ  
 رَفَعَتْ مِذْرَاقَ هَدْيِهِ حَتَّى اسْتَعْيَبَتْ مِنْ رَافِعِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَذِيدُهَا  
 عَنْكَ ؟ قُلْتُ : أَتَرُبُّ عَنِّي ؟ فَمِنْهُ الصَّبَاحُ بِحَمْدِ الْقَوْمِ الشُّرَى .

• • •

### الشرح :

المفتن لأثره : المتبع له ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
 وقصم الدنيا : تناول منها قدر السكفاف ، وما تدعو إليه الضرورة من خشن العيشة ،  
 وقال أبو ذر رجه الله : « يَحْمِصُونَ وَفَصِمَ ، وَالْوَعْدُ اللَّهُ ! » . وأصل القصم مأكل الشيء .  
 الياس بأطراف الأسنان ، والقصم : أكل بكل الهم للأشياء الرطبة ، وروى : « قصم »  
 بالصاد ، أي كسر .

قوله : « أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشَعًا » الكَشْعُ : الخاصرة ، ورجلٌ أَهْضَمٌ : بَيْنَ الْمَهْضَمِ ؛  
إذا كان خيمًا لِقَلَّةِ الْأَكْلِ .

وروى : « وَحَقَّرَ شَيْئًا مَحْقَرَهُ » بالتخفيف . والتَّفَاق : الخلاف .

والمُحَادَّةُ : المُعَادَاةُ . وَخَصَفَ النَّمْلُ : خَرَزَهَا . وَارْيَاشُ : الزينة ، والمِدْرَحَةُ :  
المَدْرَاعَةُ .

وقوله : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِى » ؛ مثل يضرب لِحَتْمِ الشَّقَةِ العَاجِلَةِ <sup>(١)</sup> ،  
رجاء الراحة الآجلة .

\*\*\*

### [ نَبَدٌ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي السُّعْدِ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ]

جاء في الأخبار الصحيحة آية عَابَةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، قَالَ : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكَلُ  
أَكْلَ الْعَبِيدِ ، وَأَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبِيدِ » ؛ وَكَانَ بَاكِلًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جُلُوسَ الْعَبِيدِ ،  
يَصْعُقُ صَبْتَهُ سَاقِيَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَعْتَمِدُ عَابِيهَا سَاطِيًا فَجِدِيَّةً ، وَرُكُوبُهُ الْحَارَ الْعَارِيَّ آيَةً  
التَّوَاضُعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ . وَإِرْدَفُ غَيْرِهِ حَافَهُ آكَدٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ .

وجاء في الأخبار الصحيحة النبوية عن النصارى وعن نصيب السطور التي فيها النصارى ،  
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى سِترًا عليه نصارى أمر أن تقطع رأس  
تلك الصورة .

وجاء في الخبر : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُتِّفَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ ، فَيَذَاقُ :  
لَا اسْتَطَاعَ ، عَذَابٌ » .

(١) وأول من قاله بنو لوليد ؛ واضر مصره ، وورده في الفهرست ١٩٣ .

قوله : « لم يضع حجراً على حجر » هو عين ما جاء في الأخبار الصحيحة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا ولم يضع حجراً على حجر

وجاء في أخبار علي عليه السلام التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله ، وهو : روي عن قريش بن السبيع بن المهنا الملوحي ، عن نقيب الطالبيين أبي عبد الله أحمد بن علي بن النضر ، عن المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيور ، عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني ، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه أبي عبد الله أحمد رحمه الله ، قال : قيل لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، لم ترفع قبضتك ؟ قال : لينشع القلب ، ويتبدى بي المؤمنون .

وروي أحمد رحمه الله أن علياً كان يظوف الأسواق مؤثراً يزار ، مرتدياً برداء ، ومعه الدرّة كأنه أعراي مدوي ، طاف مرّة حتى بلغ سوق السكرابس ، فقال لواحد : يا شيخ ، مني قبضاً تكون قيمته ثلاثة دراهم ، فلما عرفه الشيخ لم يشتريه شيئاً ، ثم أتى آخر ، فلما عرفه لم يشتريه منه شيئاً ، فأتى علامة حديثاً ، فاشترى منه قبضاً بثلاثة دراهم ، فلما جاء أبو العلام ، أحبره ، فأخذ درهماً . ثم جاء إلى علي عليه السلام ليدفعه إليه ، فقال له : ما هذا ؟ أو قال ما شأنه هذا ، فقال : يا مولاي ، إن القميص الذي باعك انتي كان يساوي درهمين ، فلم يأخذ الدرهم ، وقال : باعني رصاي وأخذ رصاء .

وروي أحمد رحمه الله عن أبي السوار بائع الخيام بالكوفة ، قال : جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق ، ومعه غلام له وهو حليعة ، فاشترى مني قميصين ، وقال لعلامة : اخترايها شئت ، فأخذ أحدهما ، وأخذ علي الآخر ، ثم لبسه ومدّ يده ، فوجد كتمه فاضلة ، فقال : اقطع الفاصل . فقطعت ، ثم كفّه وذهب .

وروى أحمد رحمه الله عن الصالح بن عمير ، قال : رأيتُ قبيصَ عليّ عليه السلام الذي أصيب فيه ، وهو كرايس سبيلاني<sup>(١)</sup> ، ورأيتُ دمه قد سال عليه كالهَرْدَى<sup>(٢)</sup>

وروى أحمد رحمه الله قال : لما أرسل عثمان إلى عليّ عليه السلام ، وجده مؤثراً بمهابة ، محتجراً يقال ، وهو يَهْتَأُ بغير له .

والأحبار في هذا المعنى كثيرة ، وفيها ذكرناه كفاية

---

(١) الكرايس : ثياب فارسية من الفرس في سبيلاني .  
(٢) الهَرْدَى : ما يسقط من الزيت في أسفل الإناء .

(١٦٢)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

أَبْتَدَعَهُ بِالنُّورِ لِلْمُصَى ، وَالْبُرْهَانِ الْخَلْقِ ، وَالْإِسْمِ الْهَادِي ، وَالْكِتَابِ الْهَادِي .  
أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَمْرَةٍ ، وَشَعْرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّةٌ ، وَتِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ ،  
مَوْلَدُهُ بِمَسْكَةٍ ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةٍ ؛ عَلَاهَا دِكْرُهُ ، وَأَمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ  
كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَاقِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ الذَّرَائِعَ لِلْعَهْوَةِ ، وَقَطَعَ  
بِهِ الدِّمَعَ لِلدُّخُولَةِ ، وَتَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامُ لِلْفِعُولَةِ . مَنْ يَبْتَغِ فَيْزَ الْإِسْلَامِ دِينًا  
تَقْضَى شِفَاؤُهُ ، وَتَنْفَعِمَ عُرْوَتُهُ ، وَتَعِظُمَ كَنْبُوتُهُ ، مَوْسِكُنْ مَا بُوَ إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ  
وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ ؛ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُوَدَّبَةَ  
إِلَى جَنَّتِهِ ، الْفَاصِدَةَ إِلَى تَحَلٍّ رَغْبَتِهِ .

• • •

الشرح :

بالنور المصى ، أى بالدين ، أو بهرآن . وأسرته : أهله . أغصانها معتدلة ، كناية  
عن عدم الاختلاف بينهم فى الأمور الدينية . وتيمارها متهدلة : أى متدلّية ، كناية عن  
سهولة اجتناء العلم منها .

وطيبة اسم المدينة ، كان اسمها يثرب ، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة ،

ومما أكَفَّرَ الناس به يزيد بن معاوية أنه مماها « خبيثة »، مراغبة لرسول الله صلى الله عليه وآله .

علاها ذكره ، لأنه صلى الله عليه وآله إنما اندصر وقهر الأعداء بعد الهجرة .  
« ودعوة متلافية » أى تتلاقى ماصدة للجاهلية من أديان البشر .

قوله : « وبين به الأحكام المفصلة » : ليس بمعنى أنها كانت مفصلة قبل أن يبينها ، بل المراد : بين به الأحكام التى هى الآن مفصلة عندنا وواضحة لنا ؛ لأجل بيانه لها .

« الكسوة » : مصدر كسا الخواد ، إذا عثر موقع إلى الأرض .

والمآب : المرحم . والمداب الويل : دو النوال وهو الهلاك :

والإمابة : الرجوع . والسيل : الطريق . يذكر ويؤث . والقاصدة : ضد الجائرة .  
فإن قلت لم عدى القاصدة به « إلى » ؟

قلت : لأنها لما كانت قاصدة ، تضمنت معنى الإصاء إلى المقصد ، فدأها به « إلى » باعتبار المعنى .

• • •

## الأمثلة :

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا ، وَالنَّجَاةُ أَبَدًا ؛ رَهْبَ قَابَلُغَ ، وَرَغَبَ قَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَطْعَمَ عِبَادَهَا ، وَزَوَّلَهَا وَأَنْتَقَالَهَا ؛ فَأَهْرَضُوا مِمَّا يُتَجَبُّكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْعَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَبْشَرُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ .

تَفُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَةَ اللَّهِ عُمُومَهَا وَأَشْفَاقَهَا ، لِمَا أُيْقِنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَتَصَرُّفِ  
حَالَاتِهَا ؛ فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّقِيقِ النَّاصِحِ ، وَالْمُحَدِّثِ الْكَادِحِ .

وَأَعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْفُرُونِ قَبْلَكُمْ ؛ قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ ،  
وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَأَخْطَعَ سُورُهُمْ وَنَسِيَهُمْ ،  
فَبَدَّلُوا اقْرَبِ الْأَوْلَادِ قَدَّهَا ، وَبِصُحْنَةِ الْأَرْوَاحِ مُفَارَقَتَهَا ، لَا يَتَفَاخَرُونَ  
وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَعَاوَرُونَ .

فَاحْذَرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - حَذَرَ الْعَالِيَةِ لِنَفْسِهِ ، الْمَانِعَةِ لِشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرَةِ بِمَقْلِهِ ؛ فَإِنْ  
الْأَمْرَ وَاصْبَحَ ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ .



### الْبَيْتُخُ :

المنجاة : مصدر نجا ينتجو نجاة ومنجاة . والنجاة : الناقة يُنتجى عليها ؛ فاستعارها هاهنا  
للطاعة والتقوى ، كأنها كالطية المركوبة يخلص بها الإنسان من الهلكة .

قوله : « رَهَبٌ فَأَبْلَغُ » ؛ الضمير يرجع إلى الله سبحانه ؛ أى خوف المكلفين فأبلغ  
في التخويف ، ورغبهم فأتى الترغيب وأسنه .

ثم أمر بالإعراض عما يسر ويروى من أمر الدنيا ؛ لئلا ما يصعب الناس  
من ذلك .

ثم قال : إنها أقرب دار من سخط الله ، وهذا نحو قول النبي صلى الله عليه وآله : « حب  
الله نيارأس كل خطيئة » .



قوله : « فَنُضَوِّعْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُرُوبَهَا » ، أى كَفَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْغَمَّ لِأَجْلِهَا وَالِاشْتِمَالَ بِهَا ، يقال : غَضَضْتُ فَلَانًا عَنْ كَذَا أى كَفَفْتُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَغْضَضْنَا مِنْ صَوْتِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
قوله : « فَاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّقِيقِ النَّاصِحِ » ، أى فَاحْذَرُوها عَلَى أَنْفُسِكُمْ لِأَنْفِكُمْ كَمَا يَحْذَرُ الشَّقِيقُ النَّاصِحُ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَكَأَيُّ مَحْذَرٍ الْمَجْدُ الْكَادِحُ ؛ أَيْ السَّامِيُّ مِنْ حَبِيبَةِ سَمْعِيهِ .  
وَالْأَوْصَالُ : الْأَعْضَاءُ ، وَالْمُحَاوَرَةُ : الْمُخَاطَبَةُ وَالْمُنَاجَاةُ ، وَرَوَى : « وَلَا يَتَعَاطَرُونَ » بِالْحَلِيمِ .  
وَالْعَلَمُ : مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْمُنَافَاةِ .  
وَمُطَرِّقٌ جَدَّدَ ، أَيْ سَهَّلَ وَاضْهِحَ . وَالسَّبِيلُ قَصْدٌ ، أَيْ مُسْتَقِيمٌ .

(١٦٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه ، وقد سأله : كيف دفعكم قومكم  
عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال عليه السلام :

يا أخا بني أسد ! إنك تفتق الوحيين ؛ ترزىل في غير مدد ؛ ولك نكد ذممة  
المهر وحق المسألة ؛ وقد استملت فاعلم .

أما الاستدعاء عنيما بهذا الكلام ، ونحن الأغفلون نسبا ، والأشدون بالرؤس  
صلى عليه وسلم نوطا ، فإنها كانت أثره شعث عنيما نفوس قوم ، وسخت عنها  
نفوس آخرين ؛ والحكم الله ، والعمود<sup>(١)</sup> إليه يوم القيامة .

ودع عنك نهجا صبيح في حجرة ابنه ؛ ولكن حديثا ما حديث الرواحيل  
وهلم انقلب في ابن أبي سفيان ، فقد أضحكك الدهر نكد إنسانه ؛ ولا غور  
والله ؛ فإله خطبا يستفرغ المحب ، ويكثر الأودا

حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه ، وسد قواره من بدويعه ؛ وجدحوا  
بذي وتيهم شيرنا وبيتنا ، فإن ترتفع عنا وعنهم يحن النوى ، أحلمهم من الحق  
على تحويه ، وإن تسكن الأخرى ، فلا نذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم  
بما يصنعون<sup>(٢)</sup>

(١) العمود ، يكون الجذع الواو ؛ كد سطح في الماء . وفي النهاية لاس الأثير : حكما  
العمود ، على الأصل ؛ وهو « يعمل » ، من عاد بعود ، ومن حق أمثاله أن تعاد وادوه ألفا ، كالقلم  
والدراج ، ولكنه استعمله على الأصل .

(٢) سورة فاطر ٨ .

## الشرح :

الوضين : بطلان القتب<sup>(١)</sup> ، وحزام السرج ؛ ويقال للرجل المضطرب في أموره :  
إنه لقلق الوضين ؛ وذلك أن الوضين إذا قلق ، اضطرب القتب أو الهودج ، أو السرج  
ومن عليه .

ويرسل في غير سد ، أى يعكلم في غير قصد وفي غير صواب ، والسدد والاستداد :  
الاستقامة والصواب ، والسديد : الذى يصيب السدد ، وكذلك اللبد . واستد الشيء ،  
أى استقام .

وذمامة الصهر ، بالكسر ؛ أى حرمة ، هو الذمام ، قال ذو الرمة :

نَكُنْ عَوَاجَةً يَحْزِيكِهَا اللَّهُ هِنْدُهُ      بِهَا الْأَجْرُ أَوْ تُقْضَى ذِمَامَةُ صَاحِبِ<sup>(٢)</sup>

ويروى : « مائة الصهر » أى حرمة ووسيلته ، مت إليه بكذا ، وإنما قال  
عليه السلام له : « ذلك بعد ذمامة الصهر » لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله  
صلى الله عليه وآله كانت أَسَدِيَّةً ؛ وهى زينب بنت جحش من رباب بن عبد بن صبرة  
ابن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزاعة . وأما أمية بنت عبد المطلب بن هاشم  
ابن عبد مناف ، فهى بنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمصاهرة المشار إليها ، هى هذه .

ولم يفهم القطب الراوى ذلك ، فقال فى الشرح : « كان أمير المؤمنين عليه السلام  
قد تزوج فى بنى أسد » ولم يصيب ، لأن عليا عليه السلام لم يتزوج فى بنى أسد البتة .  
ومن نذكر أولاده : أمّا الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، فأمهم  
فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٣)</sup> . وأما عمدة غامه خولة بنت إياس<sup>(٤)</sup>  
ابن جعفر ، من بنى حنيفة ، وأمّا أبو بكر وعبد الله ، فأمهما لولى بنت مسعود النخيلية ،

(١) البطلان : حزام القتب ؛ وهو الذى يحبل تحت بطن الدابة ، والقتب : رجل صغير على قد النعام .

(٢) ديوانه ٥٤ .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « ويذكر أنه كان لها من ابن آخر يسمى محمداً ، توفى صغيراً » .

(٤) فى نسب قريش : « خولة بنت جعفر بن قيس » .

من نعيم وأما عمر ورقية فأمهما سبيبة من بني تغلب ، يقال لها : الصهباء ، سُبيبت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر . وأما يحيى وعون فأمهما أمعاء بنت عُمَيْس الخثعمية<sup>(١)</sup> . وأما جعفر والعباس وعبد الله وعبد الرحمن<sup>(٢)</sup> فأمهم أم البنين بنت حزام ابن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب . وأما رمة وأم الحسن فأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ، وأما أم كلثوم المصرية وزينب المصرية وجُحانة وهيمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلفة وأم أبيها<sup>(٣)</sup> وأمامة بنت علي عليه السلام فهن لأمهات أولاد شقي ؛ فهؤلاء أولاده ، وليس فيهم أحد من أسديّة ، ولا بأنفا أنه تزوج في بني أسد ، ولم يولد له ، وانسكن الراوندي يقول ما يحيطر له ولا يحقق .

وأما حق المسألة ، فلأن السائل على المسئول حقاً حيث أهله لأن يستفيد منه . والاستبداد بالشئ : التفرد به . والنوط : الالتصاق . وكانت أثرّة ، أي استتاراً بالأمر واستبداداً به ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله **لِلْأَنْصَلِ** : « ستلقون بعدى أثرّة » . وشعّت : بجلت . وسحّت : جاءت ؛ وبمعنى **بِالْغُفُوسِ** التي سحّت نفسه ، وبالفُوس التي شعّت ؛ أما على قولنا فإنه بمعنى غُوس أهل الشورى بعد مقتل عمر ، وأما على قول الإمامية ، فغُوس أهل السقيفة . وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك إليهم ، فالأولى أن يحتمل على ما ظهر عنه من تأله من عبد الرحمن بن عوف وميله إلى عثمان . ثم قال : إن الحكم هو الله ، وإن الوقت الذي يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة . وروى : « يوم » بالنصب على أنه ظرف والمامل فيه « الممّود » ، على أن يكون مصدرًا .

وأما البيت فهو لامرئ القيس بن حُضْر الكندي ، وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلا بصدره فقط وأنه الرواة .

(١) في إحدى روايات الطبري أنه أعقب منها يحيى وعبد الأمر .

(٢) في الطبري ونسب قرش : « وعبد » .

(٣) كذا في الأصول ، ولم تذكر في المصري ، وراد : « أم ماني » ورملة المصرية .

### [ حديث عن امرئ القيس ]

وكان من قصة هذا الشعر أن امرأ القيس ، لما تنقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه ، نزل على رجل من جذيلة طي ، يقال له طريف<sup>(١)</sup> بن مل ، فأجاره وأكرمه ، وأحسن إليه ، فدحه وأقام عنده . ثم إنه لم يوليه نصيباً في الجليلين : أجاً وسكس ، فخاف ألا يكون له ممة ، فتحول ونزل على خالد بن سدوس بن أصمغ النعماني ، فأغارت بنو جذيلة على امرئ القيس وهو في حوار خالد بن سدوس ، فذهبوا بإله ، وكان الذي أعار عليه منهم ناعث بن حوص ، فلما أتى امرأ القيس الخبر ، ذكر ذلك لخاره ، فقال له : أعطى وأهلك ألقى عابها القوم ، فأردت صيبك إياك ، ففعل . فركب خالد في إثر القوم حتى أدركهم ، فقال : يا بني جذيلة ، أنخرتم على إبل حاري ! فقالوا : ما هو لك بحار ، قال : بلى والله وهذه ريوأله ، قالوا : كذلك ! قال : نعم ، فرجعوا إليه فأزلوه عنهن ، وذهبوا بهن والإبل . وقيل : نزل الطوى خالد على الإبل فذهب بها ، فقال امرؤ القيس :

دَعَّ عَيْكَ سَهْباً صَبِيحاً فِي حَقَرٍ <sup>(٢)</sup>	ولكن حديثاً ما حديث الزواجل <sup>(٣)</sup>
كَأَنَّ دِنَاراً حَاقَتْ بِبُيُوتِهِ	عُقابٌ تَنُوتِي لَأَعْقَابِ الْعَوَائِلِ <sup>(٤)</sup>
تَلَمَّتْ مَاءً بِدَيْفٍ حَالِدٍ	وَأَوْدَى دِنَارٌ فِي الْخَطُوبِ الْأَوَائِلِ <sup>(٥)</sup>
وَأَمْسَى مَشَى الْخُرْقَةَ حَالِدٍ	كَشَى أَنَا خُلْتُ بِالْمَسَاهِلِ
أَتِ أَحَا أَنْ تُسَلِّمَ الْعَامَ حَارَةً	فِي شَاءَ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ مَقِيلِ
تَبِتَ لَوِي بِالْقُرْبَةِ أُمَّا	وَأَمْرَحُهَا عَمَّا بَا كَدَفِ حَائِلِ

(١) في الديوان ١٢٢ . طريف بن مالك .

(٢) الشعر والخبر في الديوان ٩٤ - ٩٦ . والحجرات : الزواجل .

(٣) القيون : التي لها ألبان

(٤) مائة : رجل من طي ؟ وهو ممن أخطر عليه .

بنو ثعل جيرانها وُحَّانَهَا وَتَمَّعُ مِنْ رُمَاةٍ مَعْدِرٍ وَنَائِلٍ  
تَلَايَتْ أَوْلَادَ الْوُعُولِ رِبَاعَهَا دُرَّيْنِ السَّمَاءِ فِي رُءُوسِ الْحَادِلِ  
مَكَلَّةٌ حَرَاءَ ذَاتِ أَيْسَرَةٍ لَهَا حُبْكُ كَأَنهَا مِنْ وَصَائِلِ

دِثَارٍ : اسم رابع كان لامرئ القيس . وتَنَوَّفَ والقَوَاعِلُ جبال . والحَزَقَةُ : القصير  
الضخم البطن ، والآبُونَ : لأبل دوات لألبان . والقرْبَةُ : موضع معروف بين الجسكين . وحائل  
اسم موضع أيضا . وسعد ونائل حيان من طي . والرَّبَاعُ : جمع رُبْع ، وهو ما يتبع في الربيع .  
والجَادِلُ : القصور . ومَكَلَّةٌ ، يرحم إلى الحادل مَكَلَّةٌ بالصعر . والأسْرَةُ : الطريق وكذلك  
الحُكُ . والوصائل : جمع وَصِيلَةٍ ، وهو ثوب أَمْرٌ <sup>(١)</sup> القُرْلُ ، فيه خطوط . والشَّهْبُ : العنينة ،  
والجمع الشَّهَابُ ، والانتهاج مصدر انتهت المال ، إذا أُنْحَتَ بأحذه من شاء ، والشَّهْيُ : اسم  
ما أمهت . وحَجَرَاتِهِ : بواحيه ، الواحدة حَجْرَةٌ ، مثل حَرَاتٍ وحَمْرَةٍ . وصيحه في حَجَرَاتِهِ  
صباح العارة والرواحل : جمع راحلة ، وهي <sup>(٢)</sup> الافة التي لصاح أن ترحل ، أي يشد امرؤ رحل  
على ظهرها ، ويقال للبعير . راحلة <sup>(٣)</sup> والتعجب <sup>(٤)</sup> يا ضار فمل ، أي هات حدثا  
أو حدثني حدثا وروى : « ولكن حديث » ، أي ولكن مرادى أو عرصى حديث  
لحذف المبتدأ ، وما هاهنا ، يحتمل أن تكون إبهامية : وهي التي إذا افتريت باسم مكررة  
رادته إبهاما وشياعا ، كقولك : أعطيت كتابا ما ، تريد أي كتاب كان ، ويحتمل أن تكون  
صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَقْصِبُمْ وَيَبْقُومُ كَذِبَاتٍ اللَّهُ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
فأما « حديث » الثاني فقد ينصب وقد يرفع ، فن نصب أبدا من « حديث » الأول ،  
ومن رفع جاز أن يجعل « ما » موصولة بمعنى « لذي » ، وصلتها الجملة ، أي الذي هو  
حديث الرواحل ، ثم حذف صدر الجملة كما حذف في ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ <sup>(٦)</sup>  
ويجوز أن تجعل « ما » استفهامية بمعنى « أي »

(١) الليرة : لون يصوب إلى الحمرة .

(٢) سورة النساء ١٥٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٥٤ .

ثم قال : « وهلم الخطب » ، هذا بقوى رواية من روى عنه أنه عليه السلام لم يستشهد إلا بصدر البيت ، كأنه قال : دع عنك ماضى وهلم مانحن الآن فيه من أمر معاوية ، فجعل ، « هلم » مانحن فيه من أمر معاوية قائما مقام قول امرئ القيس .

• ولكن حديثا واحدا •

وهلم ، افط يستعمل لازما ومتعديا ، فاللزام بمعنى « تعال » ، قال الخليل : أصله « لم » من قولهم : لم الله شئت « أى جمعه ، كأنه أراد « لم نفسك إلينا » أى اجتمعنا واقرب منا ، وجاءت « ها » للتنبيه قهرا ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة ؛ يستوى فيها الواحد والاثنا والجمع والمؤنث والمذكر فاختار أهل المجاز ، قال سبعمه : « وَأَلْقَيْنِ لِإِخْوَانِهِمْ نَعْمَ إِلَيْنَا » <sup>(١)</sup> ، وأهل نجد يصرّونها فيقولون للاثنيين : « هلمّا » وللجمع : « هلموا » <sup>(٢)</sup> . وقد يوصل إذا كان لارما باللام ، فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كما قالوا : هيت لك ، وإذا قيل لك : هلم إلى كذا أى تعال إليه ، قلت : لا أهلم مفتوحة الألف والهاء ، مصومة اليم ، فأما المندبة فهي بمعنى « هات » ، تقول : هلم كذا وكذا ، قال الله تعالى : « هلم شهداءكم » <sup>(٣)</sup> ، وتقول لمن قال لك ذلك : لا أهله ، أى لا أعطيك ، يأتى بالهاء ضمير المفعول ليميز من الأولى .

يقول عليه السلام : ولكن هات ذكر الخطب ، فحذف المضاف . والخطب : الحادث الجليل ؛ يعنى الأحوال التى أدت إلى إن صار معاوية منازعا فى الرئاسة ، قائما عند كثير من الناس مقامه ، صالحا لأن يقع فى مقابلته ، وأن يكون ندا له .

ثم قال : « فلقد أضعفك الدهر بعد إنكائه » ، يشير إلى ما كان عنده من السكابة لتقدم من سلف عليه ؛ فلم يقع الدهر بعد إنكائه ، حتى جعل معاوية نظيرا له ؛ فضعفك عليه

(١) سورة الأحزاب ١٨ .

(٢) سورة الأمام ١٥٠ .

السلام بما تحكم به الأوقات ، ويقتضيه تصرف الدهر وتقلبه ؛ وذلك ضحك تمجيد واعتسار .

ثم قال : « ولا غرور والله » ، أى ولا عجب والله .

ثم فسر ذلك فقال : ياله خطبا يستفرغ العجب ! أى يستنفذه وبغيه ، يقول : قد صار المعجب لا عجب لأن هذا الخطب استغرق التعجب ؛ فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب ؛ وهذا من باب الإعراق واللباقة في اللبالة ، كما قال أبو الطيب :

أتيت على أسنى الذى دلتهى من حله فيه على خفاء<sup>(١)</sup>  
وشكيتي فقد للقام لأنه قد كان لما كان لي أعضاء

وقال ابن هاني الغربي :

قد سرت في الميدان يوم طرادهم [ فجب ] حتى كدت ألا أغبها<sup>(٢)</sup>  
والأود : الموج .

ثم ذكر تماثؤ قريش عليه ، فقال : حارل القوم إطفاء نور الله من مصباحه ، يعنى ما تقدم من منازعة طلحة والزبير وأصحابهما له ، وما شفع ذلك من معاوية وعمر و شيعتهما . وهو ار الينبوع : قصب البئر .

قوله : « وجدحوا بيني وبينهم شرابا<sup>(٣)</sup> » ، أى خلطوه ومرجوه وأفسدوه .  
والوى : ذو الوباء والمرض ؛ وهذا استعارة كأنه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم ، وجعلوها مظنة الوباء والسقم ، كما شرب الذى يخلط بالسّم أو بالصبر فيفسد ويرى .

(١) ديوانه ١ : ١٤٤ .

(٢) ديوانه ٨١ ( طبعة المطبع ) .

(٣) الشرب : النصيب من الماء .



ثم قال : فإن كشف الله تعالى هذه الحنّ التي يحصل منها ابتلاء الصابرين والمجاهدين ، وحصل لى التمكن من الأمر ، حملهم على الحقّ المحض الذى لا يمارجه باطل ، كالذين المحض الذى لا يخالطه شيء من الماء ، وإن تكّن الأحرى ، أى وإن لم يكشف الله تعالى هذه الفتنة وميت أو قتلت - والأمور على ما هي عليه من الفتنة ودولة الاصلال - فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ والآية من القرآن العزيز <sup>(١)</sup> .

وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوىّ غيب البصرة ، وقت قرائتى عليه ، عن هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل ، ومات له : « من يعنى عليه السلام بقوله : « كانت أثرة شجعت عليها نفوس قوم ، وسجّت عنها نفوس آخرين ؟ » ومن القوم الذين عدم الأسدىّ بقوله : « كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ » هل المراد يوم القيامة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم القيامة ، فقلت إن نفسى لا تسامحنى أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع الدس . فقال : وأنا فلا تسامحنى أيضاً نفسى أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى بهال أمر الإمامة ، وأن يترك الناس قومى سدىّ مملين ، وقد كان لا يبيت عن المدسه إلا ويؤثر عليها أميراً وهو حىّ ليس بالجيد عنها ، فكيف لا يؤثر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ؟

ثم قال : ليس يشكّ أحد من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كاملاً العقل ، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ؛ وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيعمون أنه حكيم تامّ الحكمة ، شديد الرأى ، أقام ملة ، وشرع شريعة ، واستحدث ملكاً عظيماً بعقله وتديبه ؛ وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وعرائزم وطلبيهاً بالنارات والدحول ؛ ولو بعد الأزمان المتعاقبة . وبقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر ،

فلا يزل أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطهبون القتل لمقتلوه ؛ حتى يدركوا ثأرهم منه ؛ فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه ، وأهل ، ومن يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رحمة الأديب ، والإسلام لم يُحِلْ طباعهم ، ولا غدرهده السحبة المركوزة في أخلاقهم ، والفرائض بحال ، فكيف بتوهم ليبب أن هذا العاقل الكامل وتر العرب ، وعلى الخصوص قرشاً ، وساعة على سلك الدماء وإرهاق الأنفس وتقد الصمائن ابن عمه الأدي وصهره ، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ، ويتركه بعده وعنده الله ، وله منها ابنان يجران عنده تخرى ابن من طمّره حنوياً عليهم ، ومحنة لهم ، ويعذل عنه في الأمر بعده ، ولا ينص عليه ولا يستدفعه ، فيحقق دمه ودم بنيته وأهله . استدفعه الأيظم هذا العاقل الكامل ؛ أنه إذا تركه وترك بنه وأهله سوقاً ورعيه ؛ فقد عرض دماءهم الإراثة بعده ؛ بل يكون هو عليه السلام هو الذي قتله ، وأشاط<sup>(١)</sup> دماءهم ، لأنهم لا يتصمون بدمهم بغير مجرمهم ؛ وإنما يكونون مصفة للآكل ، وفريسة المتهربس ، يتحطفهم الناس ، وتسلع فيهم الأغراض ؛ أما إذا جمل الساطل فيهم ، والأسر إليهم ؛ فبأنه يكون قد عصمهم وحقق دماءهم بالرياسة التي يصلون بها ، ويرتدع الناس عنهم لأجلها . ومثل هذا ما يوم بالتحربة . ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من الملاد لو قتل الناس ووترهم ، وأبق في موسمهم الأحقاد العظيمة عليه ، ثم أهل أسر ولده وذريته من بعده ، وفشح فئس أن يقيموا مديناً من عرضهم ، وواحداً منهم ، وجمل بديه سوقاً كمحض العامة ، لكان سوء بعده قليلاً غاؤهم ، سريعاً هلاكهم ، ولوثب عالمهم الناس دوو الأحقاد والتراث من كل جهة ، بقتلهم وبشرتهم كل مشرد . ولو أنه عيّن ولدًا من أولاده لذلك ، وقام حواصه وخدمه وحوله بأمره بعده ، خلقت دماء أهل

(١) أشاط دماءهم : أهدرها أو عمل على هلاكها .

بيته ، ولم نطل يد أحد من الناس إليهم لنأموس لآلئك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرياسة ،  
وحرمة الإمارة !

أفتري ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى ؛ أم أحب أن يستأصل  
أهله وفريقته من بعده ! وابن موصع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة  
إلى قلبه !

أقول : إنه أحب أن يحملها كواحدة من هناء المدينة ، تكشف الناس ، وأن يجعل  
عليها ، المكرم المعظم عنده ، الذي كانت حاله معه معلومة ، كأبي هريرة الدؤيبى وأنس  
ابن مالك الأنصارى ، يحكم الأمراء فى دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع ،  
وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ؛ تنطلي أكاد أصحابها عليه ، ويوذنون أن يشربوا دمه  
بأنفوسهم ، وبأكلوا لحمه بألسنتهم ؛ قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم ، والعهد  
لم يطل ، والمقروح لم تنقرف<sup>(١)</sup> ، والجروح لم تندمل !

قلت له : لقد أحسنت فيما قلت ، إلا أن لفظه عليه السلام يدل على أنه لم يكن  
مصر عليه ، ألا تراه يقول : « وعن الأعلون سباً ، والأشدون بالرسول نوطاً » ، فجعل  
الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ؛ فلو كان عليه نص ، لقال يوحى ذلك : « وأما النصوص  
على ، المخطوب باسمي » .

فقال رحمه الله : إنما أتاه من حيث يعلم ، لامن حيث يحمل ؛ ألا ترى أنه سأل ،  
فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحق به ؟ فهو إنما سأل عن دفعهم عنه ؛ وهم  
أحق به من جهة الألفة والعثرة ؛ ولم يكن الأسدى بتصور النص ولا يعتقد ، ولا يحظر  
ببالة ، لأنه لو كان هذا فى نفسه ، لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام ، وقد نص عليك  
رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ولم يقل له هذا ، وإنما قال كلاماً لبنى هاشم كافة :

(١) تنقرف الجرح : طلعت فوقه قشرة . أى شرب البيرة .

كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به أئى باعتبار الهاشمية والتربى . فأجابه بجواب  
أعاد قلبه المعنى الذى تعلق به الأسدى بعينه ؛ تمهيدا للجواب ، فقال : إنما فعلوا ذلك مع  
أنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ، ولو قال له :  
أنا المنصوص على ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لمسا كان  
قد أجابه ، لأنه ماسأله : هل أنت منصوب عليك أم لا ؟ ولا هل بمن رسول الله صلى الله عليه  
وآله بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنما قال : لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى  
يهرعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً ، فلو أخذ بصريح له  
بالصريح ، ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لتقرعه ، واتهمه ولم يقبل قوله ، ولم يستجب إلى  
نصديقه ؛ فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس ؛ أن يجيب بما لا نفرة منه ،  
ولا ملل عليه فيه .

(١٦٤)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْمَبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمَهَادِ ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ ، مُخَصِّبِ النُّعَادِ ؛  
لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَرْثِيَّتِهِ انْقِصَاءٌ ؛ هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَالذَّاقُ بِلَا أُحْلٍ .  
خَرَّتْ لَهُ الْحَبَاهُ ، وَوَحْدَتُهُ الشَّعَاءُ . خَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ حَلْفِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَهْبَاهَا ،  
لَا تُقَدَّرُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ ؛ لَا يُقَالُ لَهُ : « مَتَى ؟ »  
وَلَا يُصْرَبُ لَهُ أَمَدٌ ؛ « حَتَّى » ؛ الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ : « مَهْمٌ ؟ » وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ : « مَتَى ؟ »

لَا شَيْعٌ فَيَنْقُصُ ، وَلَا تَحْجُوبٌ فَيُحْدِثُ لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ  
يَبْعُدْ عَنْهَا بِالْفَرَاقِ ، وَلَا يَحْسُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُحُوصٌ لُطْفَةٍ ، وَلَا « رُورٌ » لَهْفَةٍ ،  
وَلَا أَرْذَالُفٌ رَنُوقَةٍ ، وَلَا انْبِطَاطٌ حُطُوقَةٍ فِي كَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٌ سَاجٍ ، بِتَمَيُّنٍ  
عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُبِيرُ ، وَتَهْقِنُهُ الشَّمْسُ دَاتُ الثُّورِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْكَرُورِ ، وَتَقَابِلُ الْأَرْمَنَةِ  
وَالذُّهُورِ ؛ مِنْ إِقْبَالِ كَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِذْبَارِ سَهَرٍ مُذِيرٍ .

قَبْلَ كُلِّ عَابَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يَنْتَعِلُهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ  
صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَسَيَّاتِ الْأَفْطَارِ ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِينِ . قَالَهُدُ خَلْقِهِ  
مَصْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنُصُوبٌ .

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَرْثِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَدْبِيَّةٍ ؛ بَلْ خَلَقَ مَا حَاقَ مَا قَامَ

حَدُّهُ ، وَصَوْرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ .

لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ أَمْتِئَاعٌ ، وَلَا لَهُ بَطَاءَةٌ شَيْءٌ انْتِفَاعٌ ؛ عَلَيْهِ بِالْأَمْوَاتِ لِلْكَافِرِينَ كَرَمُهُ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا ، كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

• • •

## الْبَنَرُ :

المهاد هنا : هو الأرض ؛ وأصله العراش : وساطعته باسطه ؛ ومنه تسطيع القهور خلاف تشييمها ؛ ومنه أيضا المِطْلَع ؛ للدومع لدى يسقط فيه التمر ليحفظ .

والوهاد : جمع وَهْدَةٍ ؛ وهي المكان المظلم . ومسيلها : مجرى السيل فيها . والعباد : جمع عَبد ، وهو ما ارتفع من الأرض [ ونخصها ] من وضعها وجاعلها ذوات خِصْب .

• • •

## [ مباحث كلامية ]

واعلم أنه عليه السلام أوردَ في هذه الخلطة صروباً من علم التوحيد ، وكلها مبنية على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، وببفرض على هذا الأصل فروع :  
أولها : أنه ليس لأوليئته ابتداء ، لأنه لو كان لأوليئته ابتداء لكان محدثاً ، ولا شيء من المحدث بواجب الوجود ، لأن معنى واجب الوجود ، أن ذاته لا تقبل المدّم ، ويستعمل الجمع بين قولنا : هذه الذات محدثة ، أي كانت معدومة من قبل ، وهي في حقيقتها لا تقبل المدّم .

وثانيها : أنه ليس لأزليته انقضاء ، لأنه لو صحَّ عليه العدمُ لكان لعدمه سبب ، فكان وجوه موقوفاً على انقضاء سبب عدمه ، وللتوقف على غيره ، يكون ممكن الذات ، فلا يكون واجب الوجود . وقوله عليه السلام : « هو الأول لم يزل » ، والباقي بلا محل . تكرار لذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد ، ويدخل فيه أيضاً قوله : « لا يقال له متى ، ولا يضرب له أمد محتمى » ؛ لأن « متى » للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان ، و « حتى » للعادة وواجب الوجود لا غاية له . ويدخل أيضاً فيه قوله : « قبل كل غاية ومدة ، وكل احصاء وعدة » .

وثالثها : أنه لا يشبه الأشياء البتة ، لأن ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرد ، وهو أشبه الجسم أو العرض لكان إما جسماً أو عرضاً ؛ ضرورة تساوى للتشابهين المتماثلين في حقائقهما . ولو شابه غيره من المجردات لم يمتزج أن كل مجرد غير ممكن - لكان ممكناً ، وليس واجب الوجود ممكناً ، ويدخل في هذا المعنى قوله عليه السلام : « حد الأشياء عند خلقها ، إبانة له من شبيهها » ، أى جعل المخلوقات دوات حدود لتمييزه هو سبحانه عنها ، إذ لا حد له ، فبطل أن يشبه شيء منها . ويدخل فيه قوله عليه السلام : « لا تقدّرهُ الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالخوارج » . والأدوات : جمع أداة وهي ما يعتمد به ، ويدخل فيه قوله : « الظاهر فلا يقال : م » ؟ أى لا يقال : من أى شيء ظهر ، « والباطن فلا يقال : ميم » ، أى لا يقال فيما دا بطن ؟ ويدخل فيه قوله : « لا شبح فيتممى » والشبح : الشخص ويتقضى بطلب انقضاء . ويدخل فيه قوله : « ولا يحجب فيعوى » وقوله : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، ولم يبعد عنها بافتراق » ؛ لأن هذه الأمور كلها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها . ويدخل فيه قوله عليه السلام : « تعالى عما ينتعنه المحدودون من صفات الأقدار » ؛ أى عما ينسبه إليه المشبهة والمجتمعة من صفات التقادير ، وذوات المقادير .

ونهايات الأقطار ، أى الجوانب . وتأنل للساكن ، مجد مؤنث ، أى أصيل ، ويبت مؤنث ، أى معمر ؛ وكان أصل الكلمة أن تبنى الدار بالأنث ، وهو شجر معروف . وتمكن الأماكن : ثبوتها واستقرارها . وقوله : « فالحذ خلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب » ، وقوله : « ولله بطاعة شيء انخفاض » ، لأنه إنما ينضع الجسم الذى يصح عليه الشهوة والنفرة ؛ كل هذا داخل تحت هذا الوجه .



الأصل الثانى : أنه تعالى عالم لذاته ، فيعلم كل معلوم ، ويدخل تحت هذا الأصل قوله عليه السلام : « لا تخفى عليه من عباده شئ من لحظة » ؛ أن نكن العين فلا تتحرك . ولا « كرور لفظة » ، أى رجوعها « ولا ازدلاف ربوة » ، صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض ، وهى الموضع المرتفع « ولا انبساط خطوة » فى ليل داج « أى مظلم . « ولا عسق ساج » ، أى ساكن .

ثم قال : « يفتياً عليه القمر للير » ، هذا من صفات العسق ، ومن تمة نعتة : ومعنى : « يفتياً عليه » يفتلب ذاهباً وجائها فى حاتئ أخذف الضوء إلى التبدر ، وأخذف النفس إلى الحاق .

وقوله : « وتمقبه » ، أى وتمقبه ، لحذف إحدى التاءين ، كما قال سبعمه : « للدين تتوفاهم الملائكة »<sup>(١)</sup> ؛ أى « تتوفاهم » ، والماء فى « وتمقبه » ترجع إلى القمر ، أى وتسير الشمس عقبه فى كروره . وأقوله ، أى غيبوته ، وفى تقيب الأزمنة والدهور ، من إقبال ليل وإدبار نهار .



فإن قلت : إذا كانت قوله : « ينبغي عليه القمر المنير » في موضع حرّ ، لأنه صفة « غسق » ، فكيف تعقب الشمس القمر مع وجود الفسق ؟ وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق ؟

قلت : لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الفسق ؛ بل قد يصدق تعقبها له ويكون الغسق معدوماً ، كأنه عليه السلام قال : « لا ينبغي على الله حركة في سهار ولا ليل ، ينبغي عليه القمر ، وتعقبه الشمس » ، أي تظهر عقيقه ، فيزول الغسق بطورها .

وهذا التفسير الذي فسره يقتضي أن يكون حرف الجر وهو « و » التي في قوله : « في الكرور » متعلقاً بمعدوف ، ويكون موصفاً لصباح الحلال ، أي وبقية كآراء وآفلا . ويدخل تحته أيضاً قوله عليه السلام : « علمه بالأموات الماصين ، كعلمه بالأحياء الماتين ، وعلمه بما في السموات العللى ، كعلمه بما في الأرضين السفلى » .

• • •

الأصل الثالث : أنه تعالى قادر لذاته ، فكان قادراً على كل الممكنات ، ويدخل تحته قوله : « لم يحلق الأشياء من أصول أرضية ، ولا من أوائل أبدية ، بل خلق ما خلق وأقام حده ، وصوّره ما صوّره أحسن صورته » ، والردف هذا على أصحاب المبول والطينة التي يزعمون قدامها . ويدخل تحته قوله : « ليس لشيء امتناع » ، لأنه متى أراد إيجاد شيء ، أوجده ، ويدخل تحته قوله : « حرّت له عباءة » ، أي سجدت . و « وحدته اشياء » ، أي الأفواه ، فمهر بالجرء عن الكل مجازاً ؛ وذلك لأن القادر لذاته هو المستحق للمعبادة بخلافه أصول النعم . كالحياة والقدرة والشهوة

• • •

واعلم أن هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه طاعة

واستحق به التقدم والفصل عليهم أجمعين ؛ وذلك لأن الخاصة التي يتميز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنه يشارك غيره من الحيوانات في الغضبية والدموية والقوة والقدرة، والحركة السكائنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الامتياز إلا بالقوة الناطقة، أي العاقلة العالة ؛ فكلما كان الإنسان أكثر حظاً منها، كانت إنسانيته أتم؛ ومعلوم أن هذا الرجل اغرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم، لأن معلومته أشرف المعلومات، ولم يُنقل عن أحدي من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت أذهابهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو<sup>(١)</sup> منفرد فيه، وغيره من الفنون سوى العلوم الشرعية... مشارك لهم، وراجع<sup>(٢)</sup> عليهم ؛ فكان أكل منهم، لأننا قد بينا أن الأهم أدخل في صورة الإنسانية ؛ وهذا هو معنى الأفضلية .



الأفضل :

منها :

أَيُّهَا الْخَلْقُ السَّوِيُّ ، وَالنَّشَأُ اللَّزِيمُ ؛ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَمُصَاعَفَاتِ الْأَشْرَارِ .  
بُدِثْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ؛ إِلَى قَدَرٍ مَقْلُوبٍ ، وَأَحَالٍ  
مَقْسُومٍ ؛ تَوَرُّ فِي تَلْهِينِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا يُخِيرُ دُعَاءُ ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءُ . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ  
مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ؛ وَلَمْ تُعْرِفْ سُبُلَ مَسَافِعِهَا ؛ فَتَنْ هَذَاكَ لَا جَعْدَارَ الْإِدَاءِ مِنْ  
قُدْرَةِ أُمَّكَ ، وَحَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِزَادَتِكَ ؛  
هَيْبَاتٍ إِنْ مَنْ يَمُجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْبَةِ وَالْأَدَوَاتِ ؛ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَائِفِهِ  
أَعْبَزُ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِمُحْذَرِ الْخُلُوقِ أَبَدُ .



(١) ساقطة من ب

(٢) ١ ، ٢ ، ٣ : ٤ وأرجع ٤ ، وما أتبعه من ج ، د .

(١٧١) ص ١٠

## الإنزج

التوى : التوى الخلفة غير نافس ، قال سبحانه : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .  
 والنشأ ، مفعول من « أشأ » أى خُيِّق وأوجِد . والمرعى : المحوط المحفوظ .  
 وظلمات الأرحام ، ومضاعفات الأستار : مستقر الشطاف ، والرحم موضوعة فيما بين  
 المثانة والمى المستقيم ؛ وهى مربوطة برباط على هيئة السلسلة ، وجسمها عصى ؛ ليمكن  
 امتدادها واتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عند الولادة ، وتنضم وتنقص إذا استغنى عن  
 ذلك ؛ ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد ، وزائدتان يسميان قريبي الرحم ؛ وخلف هاتين  
 الزائدتين بيصتا المرأة ؛ وهما أصغر من بيصتي الرجل ، وأشد تعرجاً ، ومنها ينصب مئى  
 المرأة إلى تجويف الرحم ؛ والرحم رقيقة منبهة إلى فرج المرأة ، وتلك الرقيقة من المرأة  
 بمنزلة الذكرك من الرجل ؛ فإذا انترج مئى الرجل عنى المرأة تجويف الرحم كان العلوق ،  
 ثم ينمى ويريد من دم الطئيب ، ويتصل بالحدين عروق مائى إلى الرحم فتدوء ، حتى يتم  
 ويكمل ، فإذا تم لم يكثف بما تحته من تلك العروق فيتعرك حركات قوية ، طلباً لمداء ،  
 فهذه تلك أرسطة الرحم التى قننا إنها على هيئة السلسلة ؛ وتكون منها الولادة .

قوله : « بدئت من سلاة من طين » ، أى كان ابتداء خلقك من سلاة ؛ وهى  
 خلاصة الطين ، لأنها سلت من بين الكدر ، وهى مائة « بناء للغة ، كالقلامة والقمامة .  
 وقال الحسن : هى ما بين ظهراى الطين .

ثم قال : « ووضعت فى قرار مكين » ، الكلام الأول لآدم الذى هو أصل البشر ،  
 والثانى لذريته ، والقرار المكين : الرحم متمكنة فى موضعها برباطها ، لأنها لو كانت متحركة  
 لتعذر العلوق .

ثم قال : « إلى قدر معلوم ، وأجل مقسوم » ، إلى : متممة بمحذوف ، كأنه قال : « منتهيا إلى قدر معلوم » ، أى مقدراً طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدته حياته .

ثم قال : « تمورى بطن أمك » ، أى تنعرك . لا تحبى ، أى لا ترجع جواباً ، أحرأ بحب .

إلى دار لم تشهدها ؛ يعنى الدنيا ؛ ويقال : أشبه شيء بحال الانتقال من الدنيا إلى الأحوال التى بعد الموت ؛ انتقال الجنين من طلبة الرحم إلى فضاء الدنيا ؛ فلو كان الجنين بمقل وبتصور كان بظن أنه لاداره إلا الدار التى هو فيها ، ولا يشمر بما وراءها ، ولا يحسن نفسه إلا وقد حصل فى دار لم يعرفها ، ولا يحطربها ، فبقي هو كالحائر للبهوت ؛ وهكذا حالنا فى الدنيا إذا شاهدنا ما بعد الموت .

ولقد أحسن ابن الرومى وصف حطوب الدنيا وصروفها بقوله :

لِمَا تُؤَدِّنُ لِلدُّنْيَا بِهِ مِنْ حُرُوفِهَا      يَكُونُ بَكَاءُ الطُّغْلِ سَاعَةَ بَوْلَدِهِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّمَا      لِأَوْسَعِ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَزْفَدُ  
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلَ كَأَنَّهُ      مِمَّا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا يَهْدُدُ

قال : « فمن ههنا إلى اجترار العذاب من ندى أمك ؟ » ، اجترار : امتصاص اللبن من الثدي ؛ وذلك بالإلهام الإلهى .

قال : « وعرفتك عند الحاجة » ، أى أمك بموضع الحلمة عند طلبك الرضاع فالتقمتها بفمك .

(١) ديوانه ، الورقة ٦٥ ( مخطوطة دار الكتب للصرية - ١٣٩ أدب ) .

ثم قال : « هيات » ، أى بُد أن يحيط علما بالخالق من هجز عن معرفة المخلوق !  
قال الشاعر :

رَأَيْتُ الْوَرَى بَدَّهُونَ الْهَدَى	وَكَمْ يَدَّيْ الْحَقِّ خَلَقَ كَثِيرَ
وما في الجواهر امرؤٌ عَسَدُهُ	من العلم بالحق إلا اليسيرُ
خَفِيَ فَمَا نَالَهُ فَظَرُ	وما إن أشار إليه مشرُ
ولا شيء أظهرُ من ذاته	وكيف يرى الشمسُ أعمى ضريرُ

(١٦٥)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لعثمان بن عفان : قالوا : لما اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وشكوا إليه ما مضوه على عثمان ، وسألوه محاطة واستمطابه لهم ، فدخل عليه السلام على عثمان ، فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَأَيْي وَقَدْ اسْتَفْرُؤِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَهْرَفُ شَيْئًا تَحْمَلُهُ ، وَلَا أَذُكُّ عَلَى أَمْرٍ لَا تَرْفَعُهُ !

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ؛ مَا سَبَّحْنَاكَ إِلَى قَوْلِهِ فَتُغَيِّرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَتُكَلِّفُكَهُ ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَتَسْمِعُ كَمَا تَسْمَعُ ، وَصَحِّتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَحَّيْنَا . وَمَا أَبْنَى أَبِي قُحَافَةٍ وَلَا أَبْنَى الْخَطَّابِ بِأُولَى بِمَثَلِ الظُّلُمِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَيْعَةِ رَحِمِ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا ؛ فَالْقُدَّ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ، فَمِنْكَ وَاللَّهِ مَا تُبْصِرُ مِنْ حَقِّي ، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِي ؛ وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاصِحَةً ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الَّذِينَ لَقَائِمَةٌ .

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ؛ هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَطْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ يَدَّعَى بَجْهُولَةٍ ؛ وَإِنَّ الشَّيْءَ لَتَبْرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْيَدَّعَى لظَاهِرَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ صَلَّ وَصَلَّ بِهِ ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ ، وَأَحْيَا يَدَّعَى مَتْرُوكَةٍ ؛ وَإِنِّي تَسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَوْلِ بُوَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ؛ ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَمَرٍ هَا .

وَأِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِلْقَوْلِ ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَنْدِسُ أُمُورُهَا عَذِينَهَا ، وَيَبْثُ الْفِتَنَ فِيهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ أَمَلًا مِنَ الْبَاطِلِ ؛ يَمْوجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْزُجُونَ فِيهَا مَرْجًا . فَلَا تَكُونَنَّ إِمْرَأَاتٍ سَهْقَةً بِسُوقِكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جُلَالِ السَّنِّ ، وَتَقْصِي الْعُرَى .

فَقَالَ لَهُ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

كَلِمَ النَّاسِ فِي أَنْ يُؤْجَلُوا ، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَغَالِيهِمْ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَحَدٍ فِيهِ ، وَمَا كَانَ قَاجِلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

\*\*\*

الْبَزْعُ :

نَقِمْتُ عَلَى زَيْدٍ ، بِالْمَنْعِ ، أَنْتَمَ فَمَا نَفَمَ ، إِذَا عَنَتَ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْكِسَائِيُّ : نَقِمْتُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا ، أَنْتَمَ لَمَّةٌ ؛ وَهَذِهِ اللَّعْنَةُ نَحْيٌ . لَازِمَةٌ وَمُتَعَدِّيَةٌ ، قَالُوا : نَقِمْتُ الْأَمْرَ أَيْ كَرِهْتَهُ .

وَاسْتَعْنَيْتُ فُلَانًا ؛ طَلَبْتُ مِنْهُ الْعُثَى وَهِيَ الرِّصَا ، وَاسْتَعْتَابُهُمْ عُمَانُ ؛ طَلَبْتُهُمْ مِنْهُ مَا يَرْضِيهِمْ بِهِ .

وَاسْتَسْمَرُونِي : حَمَلُونِي سَعِيرًا وَوَسِيطًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ . إِنَّهُ لَا يَدْرِي مَاذَا يَقُولُ لَهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَمْرًا يَجْهَلُهُ ، أَيْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ خَاصَّةً . وَهَذَا حَقٌّ ، لِأَنَّهُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْهَا مَا يَجْهَلُهُ .

عثمان ، بل كان أحداث الصبيان فضلاً عن العقلاء المميزين ، يعلمون وجهي الصوت  
واخطأ فيها .

ثم شرع معه في مثلك اللاطعة والقول الثمين ، فقال : ماسبقنا إلى الصلابة ، ولا  
انفردنا بالرّسول دونك ، وأنت مثلاً ونحن مثلك .

ثم خرج إلى ذكر الشيخين ، فقال قولاً معناه أنّهما إماماً حبراً منك ، فإنك محصوص  
دونهما بقرب النسب ، بمعنى للنافية وبالصرح ؛ وهذا كلام هو موضع المثل : « يُسِرُّ حَسْوَ  
في ارتقاء » ، ومراده تفصيل ضمه عليه السلام عليهما ، لأنّ العلة التي باعتبارها فصل  
عثمان عليهما محققة فيه وريادة ؛ لأنّ له مع للنافية الهاشمية ، وهو أقرب .

والوشحة : عروق الشجرة . ثم حذرّه جانب الله تعالى وبتّه على أن الطريق واضحة ،  
وأعلام الهدى قائمة ، وأن الإمام العادل أفضل الناس عند الله ، وأن الإمام الجائر شر الناس  
عند الله .

ثم روى له الخبر المذكور ، وروى : « ثم يرتبك في قصرها » ، أي ينشب .  
وحوّفه أن يكون الإمام المقتول الذي يفتح العين بقتله ؛ وقد كان رسول الله صلى  
الله عليه وآله قال كلاماً هو هذا ، أو يشبه هذا .

ومرّج الدين ، أي فسد . والسّيقة : ما استقره المدوّ من الدواب ، مثل الوسيقة ،  
قال الشاعر :

فأنا أبا إلا مثلُ سَيْقَةٍ لِلْمِدَا    إن استقدّمتْ نحرّوين جَبَّاتٍ عَفْرٍ<sup>(١)</sup>  
والجلال ، بالصم : الخليل ، كالطوال والطويل ؛ أي سد السِّنّ الجليل ؛ أي  
العمر الطويل .

(١) اللسان ١٢ : ٣٣ من غير نسخة .



وفوه: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه؛ وما غلب فاجله وصول أمرك إليه»، كلام شريف فصيح، لأن الحاضر أى معنى لتأجيله أو التفات فلا حذر بعد وصول الأمر في تأخيره؛ لأن السلطان لا يؤخر أمره.

وقد ذكرنا من الأحداث التي نعت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية، وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في «التاريخ الكبير»<sup>(١)</sup> هذا الكلام، فقال: إن قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكانبوا، فكتب بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، وإن الجهاد بالمدينة لا يروم؛ واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين؛ ولم يكن أحد من الصعابة يذنب عنه ولا ينهى؛ إلا نفر، منهم ريد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت؛ فاجتمع الناس، فكلّموا على بن أبي طالب عليه السلام، وسألوه أن يكلم عثمان، فدخل عليه، وقال له إن الناس... وروى السيوطي في «أخر صبا العاطفة»، فقال عثمان: وقد علمت أنك تقول<sup>(٢)</sup> ما قلت! أما والله لو كنت مكاني ما عفتك، ولا عشت عليك<sup>(٣)</sup>. ولم أت مسكراً، إنما وصلت رجلاً، وسددت حلة، وآويت ضائعاً، ووليت خبيثاً بمن كان عمر بوليه؛ أشدك الله يا علي، ألا تعلم<sup>(٤)</sup> أن للميرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أن عمر ولده! قال: بلى، قال: فلم تلومني أن وليت عامر في رحمه وفراجه! فقال علي عليه السلام: إن عمر كان يظأ على صاحب من بوليه، ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة، وأنت فلا تفعل؛ ضفت ورققت على أقرائك.

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٧ ، وما بعدها .

(٢-٣) الطبري : « قد والله علمت ليقول القى قلت » .

(٣) الطبري : « ما عفتك ولا أسفك » .

(٤) الطبري : « هل تعلم » .

[ قال عثمان : هم أقرأؤك أيضاً ، قال علي : لعمري إن رجعهم منى قريية ؛ ولكن الفضل في غيرهم ] <sup>(١)</sup> .

فقال عثمان : أفلا تعلم أن عمر ولي معاوية ا فقد وليته . قال علي : أشدك الله ألا تعلم أن معاوية كان أحرف لعمري من يرفأ غلامه له ؛ قال : بلى ، قال : فإن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس : هذا بأسر عثمان ، وأنت تعلم ذلك فلا تمير عليه !

ثم قام علي ، فخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر ، فخطب الناس ، وقال : أما بعد ؛ فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاقبة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاقبة هذه النعمة عيائون طعائون برؤوسكم ما نخشون ، وبسرؤن عسكم ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ؛ أمثل الطعام ينبع أول باعق ، أحب مواردنا إليها البعيد ، لا يشربون إلا نضفاً ، ولا يردون إلا هكراً . أما والله لقد عنت علي ما أفردتم لابن الخطاب بمنه ؛ ولكنه وطنكم برحله ، وصربكم بيد من عظيمه ؛ فعدتم له علي ما أحببتم وكرهتم ولينت لكم ، وأوطأتكم كتيبي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي . أما والله لأنا أقرب ناصراً ، وأعز قرأ ؛ وأكثر عدداً ؛ وأحرى إن قلت : علم أن يجلب صوتي . ولقد أعددت لكم أقرأماً ؛ وكشرت لكم من مابي ؛ وأخرجتم منى حلقاً لم أكن أحسنه ؛ ومنطقاً لم أكن أبلغ به . فكفوا عني استنكم وطعنكم وصيبكم قلى ولا نكم ؛ فواللهي تعقدون من حقكم ؛ والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي [ يبلغ ] <sup>(٢)</sup> ؛ وما وجدنكم تحتفون عليه ؛ فإياكم !

فقام مروان بن الحكم ، فقال : وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف .

فقال عثمان : اسكت لا سكت ؛ دعني وأصحابي ، ما منطقتك في هذا ؛ ألم أتقدم <sup>(٣)</sup> إليك ألا تنطق ؛

فسكت مروان ، ونزل عثمان .

(٢) تقدم إليه : أمره .

(٣) من الطاري .

(١٦٦)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب حلقة الطاوس :

أَبْتَدَعَهُمْ حَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ، وَأَقَامَ مِنْ  
شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَقَادَتْ لَهُ الْقَوْلُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ،  
وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَآمَنَتْ فِي أَتْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ  
الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوفَ بِحَارِهَا ، وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ؛ مِنْ دَأْبِ  
أَحْيَاةٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَهَيْئَاتٍ مُتَنَادِيَةٍ بِمَصْرِفِهِ فِي زِمَامِ الْفَتْخِيرِ ، وَمُرُفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتَيْهَا فِي  
مَحَارِقِ أَلْوَانِ الْمَنَسِّجِ . وَالْفَصْلُ الْمُنْفَرَجُ .

كَوْنُهَا أَمَّا إِذَا لَمْ تَكُنْ ، فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَتِهِ ، وَرَكَّتْهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ  
مُخْتَصِبَتِهِ ، وَمَنَعَ تَمَعُهَا بِمِثَالَةِ حَلْقِهِ أَنْ يَشُمُوَ فِي الْمَوَاتِ حُقُوفًا ؛ وَجَمَلُهُ بِدِفْءٍ دَقِيقًا ؛  
وَسَقَمُهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِدَقِيقِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صُنْعَتِهِ ؛ فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي  
قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا عَمِسَ فِيهِ ، وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغَ قَدْ طُوقَ  
بِخِلَافٍ مَا صَبِغَ بِهِ .

\*\*\*

الْبَنْجُ :

الموات ، بالفتح : ما لا حياة فيه وأرض موات ، أى قفر ، والساكن ها هنا كالأرض  
والجبال . وذو الحركات : كالنار والاء الحارم والحَيوان .

ونفقت في اسماعنا دلائله ، أى صاحت دلائله ؛ نظورها كالأصوات للسموعة  
التي نعلم بقيها .

وأحاديد الأرض . شقوقها ، جمع أحذود . ومخاحها : جمع فحج ؛ وهو الطريق بين  
الجبلين . ورواسي أعلامها : أنفال جبالها

مصرفة في رمام التفسير ، أى هي مسخرة تحت القدرة الإلهية .

وحقائق المفاصل جمع حق ؛ وهو جمع المفصلين من الأعضاء كالركبة ؛ وحماها  
محتعبة لأنها مستورة بالجلد واللبس .

وعبالة الحيوان : كثافة حده . والحفوف : سرعة الحركة . والذهيف للطائر :  
طيرانه فوق الأرض ؛ يقال : غقاب دحوف قال امرؤ القيس يصف فرسه  
ويشبهها بالمقاب :

كأني بفتحاء المحابين لقسموي دهمك من المقبان طأطأت شملالي<sup>(١)</sup>

وسبقها : رتبها . والأصابع : جمع أصبع ، وأصابع جمع صبع

والموس الأول : هو ذو اللون الواحد كالأسود والأحمر . والموس الثاني :  
ذو اللونين ، نحو أن يكون أحمر وعنقه خضراء .

وروى : « قد طورق لون » أى لون على لون ، كما تقول : طارقت بين الثوبين .  
فإن قلت : ما هذه الطيور التي يسكن بعضها الأحاديد وبعضها الفجاج ، وبعضها  
رعوس الجبال ؟

قلت : أما الأول فكالقطا والصدا<sup>(٢)</sup> ، والثاني كالقبع<sup>(٣)</sup> والطيهوج<sup>(٤)</sup> ، والثالث  
كالصقر والمقاب .



(١) ديوانه ٢٨ . الفحاء : الية المحابين . والقنوة : السريفة من المقان . وطأطأت : دابت  
ونحست . والشلال : الخفة السريفة

(٢) الصدا : ذكر البوم .

(٣) القبع ، واحدة القبعة ؛ وهي أقر المحل .

(٤) الطيهوج . طائر شبيه بالمحل الصغير ، غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجلاه حمراء .

## الأنثى :

وَمِنْ أَغْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِسُ ؛ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْسَنِ تَعْدِيلٍ ، وَنَصَدَّ أَلْوَانَهُ فِي  
أَحْسَنِ تَنْصِيدٍ ، مَحْتَاكِ أَشْرَجِ قَصَبِهِ ، وَذَنَبِ أَطَالِ مَسْحَبِهِ ؛ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى  
نَشْرَهُ مِنْ طَلَبِهِ ، وَهَمَّ بِمُطْلَاقِ رَأْسِهِ ؛ كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِي عَنَقِهِ نُوتِيَّةٌ . يَخْتَالُ  
بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِرَبَائِهِ . يُفِيضُ كَهَمَاءِ الدُّبْكَةِ ، وَبُورُ بِمَلَاقِعِهِ أَرَا الْعُمُولِ  
الْمُتَلِمَةِ الْعَرَابِ . أَحَبُّكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةٍ ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادَهُ .  
وَلَوْ كَانَ كَرَّهٌ مِنْ بَزْغُمٍ أَنَّهُ يُبْلِغُ يَدْمَةً تَسْمَعُهَا مَذَائِمُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَقٍ جُغُونِهِ ،  
وَأَنْ أُنْشَاءَ نَطْعُهُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ تَبِيسُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سَوَى الدَّمْعِ الْمُنْحَسِرِ ؛ لَمَّا كَانَ  
ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعَةِ الْعَرَابِ !



## الشرح :

الطاوس : عاقل ، كالمهاضوم ، والكائوس ، وترخمته « طويس » : ونصد : رتب .  
قوله : « أشرج قصبه » : القصب ههنا : عروق الجناح . وعصاريفه : عظامه الصغار ،  
وأشرجها : رتب بمصها في بعض كاشرج المية ، أي بداخل بين أشراجها وهي عراها  
واحدتها ؛ شرج ، بالتعريك .

ثم ذكر ذنب الطائوس ، وأنه طويل المسحب ، وأن الطائوس إذا درج إلى الأنثى  
للسعاد نشر ذنبه من طلبه ، وعلا به مرتفعا على رأسه . والقلع : شراع السفينة ، وجمعه  
قلاع . والداري : جالب المطر في البحر من دارين ؛ وهي فرصة بالبحرين ، فيها  
سوق يحمل إليها للسك من الهند ، وفي الحديث : « المجلس الصالح كالداري » ، إن لم يحدك  
من عطره حلقك من ريحه «<sup>(١)</sup> . قال الشاعر :

(١) نهاية ابن الأثير ١ : ٢١١ . لم يحدك : لم يطقك .

إذا التاجر الذي جاء بفأري من السك راحت في مفارقهم تجرى  
والثوئي : اللاح ؛ وحده نواتي

وعتقه : عطفه ، وعنتجت خطام البعير ، رددته على رجله ، أعنتجه بالضم ، والاسم  
المعج ؛ بالتعريبك ؛ وفي التثنية « عَوْدٌ بِعَلْمِ الْمُعْجِ »<sup>(١)</sup> بضرب مثلاً لتعليم الخادق .

ويحتال ، من الخيلاء . وهي المصعب . ويمبس : يتبعثر .  
وزيفانه : تبخره ، زاف يزيف ، ومنه ناقة زبافة ، أي مختالة ، قال عنقرة :

• زبافة مثل العنق السكدم<sup>(٢)</sup> •

وكذلك ذكر الحمام عند الحمامة إذا جرت له ناتي ، ودفع مقدمته بؤخره واستدار عليها .  
ويغضى : يسفد ، والله يسفك جمع دبك ، فالقرطة والحفرة جمع قرط وجطر .  
ويؤز : يسفد ؛ والأز : الجماع ؛ ويربيل أز كثير الجماع ، ومتلاصحه : أدوات الاقتاح  
وأعضاؤه ؛ وهي آلات التناسل .

قوله : « أر الفُحول » ، أي أرا مثل أر الفُحول ذات العلة والشبق .

ثم ذكر أنه لم يقل ذلك من إسناد قد يستف ويبداهه الطمن ، بل قال ذلك عن  
عيان ومشاهدة .

(١) العود : البحر السن ، وانظر بمع الأمثال ٦ : ١٢ .

(٢) من الملقبة - بفتح التبريزي ، وصدره :

• ينباع من ذفرى مصوب جشرة •

ينباع : ينسل من باع يبيع ؛ إذا صرنا لبنا . وقهربان : الحيدان الناقان بين الأفق ومنتهى القمر .  
والجشرة : الفحصة . والزبافة : السرعة . والعنق : القمل ، والسكدم ، من السكدم وهو الض .  
( من شرح التبريزي ) .

فإن قلت : من أين للمدينة طواويس ؟ وأين العرب وهذا الطائر حتى يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « أحبك من ذلك على معاينة » ؛ لا سيما وهو يعني السفاد ، ورؤية ذلك لمن تكثر الطواويس في داره ويطول مكثها عنده نادرة !

قلت : لم يشاهد أمير المؤمنين عليه السلام الطواويس بالمدينة بل بالسكوفة ، وكانت يومئذ تجبى إليها ثمرات كل شيء ، وتأتي إليها هدايا الملوك من الآفاق ، ورؤية المسافدة مع وجود الله كزوال الأتقى غير مستبعدة .



واعلم أن قوما زعموا أن الله كبر تدمع عينه ، فتصب الدمعة بين أجنانه ، فتأتي الأنثى فتطمسها فتلفح من تلك الدمعة ، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يجعل ذلك ، ولكنه قال : ليس بأعجب من مطامحة الغراب ، والغراب تزعم أن الغراب لا يسفد ؛ ومن أمثالهم : « أحق من سيفاد الغراب » ؛ فيزعمون أن القحاح من مطامحة الله كزوال الأتقى منها ، وانتقال جزء من الماء الذي في قاصته إليها من منقاره . وأما الحكماء قتل أن يصدقوا بذلك ؛ على أنهم قد قالوا في كثرتهم ما يقرب من هذا ، قلوا في السمك البيضاء : إن سفاده حفي جدا ، وإنه لم يظهر ظهورا مبتدأ به ويحكم بسبه .

هذا لفظ ابن سينا في كتاب " الشفاء " ، ثم قال : والباس يقولون : إن الإناث تأخذ زرع القور في أفواهها إلى بطونها ، ثم قال : وقد شوهدت الإناث منها تنبع القور مبتلعة للزرع ، وأما عند الولادة فإن القور تنبع الإناث مبتلعة بيصها .

قال ابن سينا : والقبيجة نحبها ريح نهب من ماحية الحجل الذكر ؛ ومن صمغ صوته . قال : والذوق المسمى مالاويا ، تتلاصق بأفواهها ، ثم تتشابك ، فذاك سيفادها ؛ وسمعت

أَنَّ الْعَرَابَ يَسْفِدُ وَأَنَّهُ قَدْ شُوهِدَ سِفَادُهُ ؛ وَيَقُولُ النَّاسُ : إِنَّ مَنْ شَاهَدَ سِفَادَ الْعَرَابِ  
يُتْرَى وَلَا يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ كَثِيرُ الْمَالِ مُوسِرٌ .

وَالصَّفْقَانِ ، مَفْتَحُ الصَّادِ : الْجَانِبَانِ ، وَهِيَ صَفْقَةُ النَّهْرِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ بِالْكَسْرِ أَيْضًا ،  
وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ .

وَالنَّبْعُ : لِلنَّفْعِ وَيُسَمَّى بِهَا : يَصْبَاهُ ، وَرَوَى : « تَنْشَعُهَا مَدَامَعُهُ » ؛ مِنَ النَّشِيجِ ، وَهُوَ  
صَوْتُ الْمَاءِ وَغَلِيَانُهُ مِنْ زَيْقٍ أَوْ حُبٍّ أَوْ قِدْرِ .

### الأصل

نَحَالُ قَصَّةَ مَذَارِيٍّ مِنْ فِصَّةٍ ، وَمَا أُثْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ تَحْيٍ دَارَاتِهِ وَتُخْوِيهِ حَائِصِ  
الْعِيقَانِ وَوَيْلَدِ الرُّبُوحِ . فَإِنْ شَبَّهَتْهُ بِمَا أُثْبِتَتْ الْأَرْضُ قُلْتُ : جَوِيٌّ حَتَّى مِنْ زَهْرَةٍ  
كُلِّ رَيْعٍ ، وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالتَّلَاحِلِ فَهُوَ كَمَوْنِيٍّ الْخَلَلِ ، أَوْ كَمَوْنِيٍّ حَصْبِ الْيَمَنِ .  
وَإِنْ شَاكَتُهُ بِالْحَلِيِّ فَهُوَ كَمُصْرٍ دَانَتْ أَلْوَانُ قَدْرِ نَطَقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُسْكَالِ .  
يَمْشِي مَشْيَ لَرِيحِ الْمُحْتَالِ ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَبَاحَهُ ؛ فَيَقْتَفِيهِ ضَاكِعًا لِمَالِ مِيرَابَاهِ ،  
وَأَصَابِيغِ وَشَاحِيهِ ؛ فَيَدَا رَمَى يَبْتَصِرُهُ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوَلًا ، صَوْتِ بَكَادٍ يُبِينُ عَنِ  
أَسْتَفَائِعِهِ ، وَبَشْهَدٍ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ تُخَشُّ كَقَوَائِمِ الدَّهْكَةِ الْخِلَاطِيَّةِ .



### البنج :

قَصَبُهُ : عِظَامُ أَجْنَعَتِهِ ، وَلِلْمَذَارِيِّ جَمْعُ مِذْرَى ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْقَرْنُ ؛ قَالَ الدَّائِمَةُ  
يَصِفُ الثَّوْرَ وَالسَّكْلَابَ :

شَكَّ الْقَرْبَصَةَ بِالْمِذْرَى فَأَخَذَهَا شَكًّا لِلْبَيْطْرِ إِذْ يَشُقُّ مِنَ الْعَصَدِ <sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٢٠ . شَكَّ : أَخَذَ . الْقَرْبَصَةُ : بَضْعَةٌ فِي مَرْحَلِ السَّكَنِ إِلَى الْخَاصِرَةِ . وَلِلْبَيْطْرِ : السَّمَارُ  
وَالضُّدُّ . مَا يَأْخُذُ فِي الْعَصَدِ .



وكذلك المذرة ؛ ويقال المذرى لشيء كالسنة تصلح بها الماشطة شعور النساء ؛  
قال الشاعر :

نَهَيْكَ الْمِذْرَاءُ فِي أَصْكَافِهِ وَإِذَا مَا أُرْسَلَتْهُ يَنْتَهَرُ<sup>(١)</sup>

ونعذرت المرأة ، أى سرحت شعرها . شبه نظام أجنحة الطاووس بمدارى من فضة  
ليامها ؛ وشبه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التى فى الریش بحاليس  
المعقبات ؛ وهو الذهب .

وفيلد الزبرجد : جمع قلوة ، وهى القطعة والزبرجد : هذا الجوهر الذى نسميه  
الناس البامخش .

ثم قال : إن شتهت بنات الأرض قلت . إنه قد حُي من رهرة كل ربيع فى  
الأرض ، لاختلاف ألوانه وأصباغه .  
وإن ضاحيته بالملاس ، الضاحية : الشاكلة ، يُهر ولا يُهر ، وقرى :  
(بضاهون قول الذين كرموا)<sup>(٢)</sup> ، (وبضاهون)<sup>(٣)</sup> ؛ وهذا صهي هذا ، على « قيل » ،  
أى شبيهه .

وموشى الخلل : ما دُبج بالونى ؛ وهو الأرقم اللون . والمصّب : رُود اليمن .  
والخلل : جمع خل ؛ وهو ما تابسه المرأة من الذهب والفضة ، مثل ثدى وثدى ، ووزنه  
« فمول » ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء ، مثل « عيمى » . وقرى : (مِنْ حِيلِيْمِ)<sup>(٤)</sup>  
بالضم والكسر .

ونطقت بالقجين ؛ جعلت القصة كالنطاق لها . والكتل : ذو الإكليل .

(١) الدان ١٨ : ٢٨٠ (من غير نسخة) .

(٢) سورة التوبة ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٨ .

وَزَقًا : صَوْتٌ ، يَزُقُّ زَقًّا وَزَقًا ، وَكُلُّ صَانِعٍ زَاقٍ . وَالزَّقِيَّةُ : الصَّهْبَةُ ؛ وَهُوَ أَثْقَلُ مِنَ الزَّوَانِي ؛ أَيْ الدَّبِيكَةِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُرُونَ ؛ فَإِذَا صَاحَتِ الدَّبِيكَةُ تَفَرَّقُوا .

وَمُعْوِلًا : صَارِخًا ، أَهْوَلَتِ الْفَرَسَ صَوْنَتٌ ، وَمِنْهُ التَّوْبِلُ وَالْمَوَّةُ .  
وَقَوَائِمُهُ نَحْشٌ : دِفَاقٌ ؛ وَهُوَ أَحْسَنُ السَّاقِينَ وَخَشَنُ السَّاقِينَ بِالنَّسَكَيْنِ ؛ وَقَدْ حِشَّتْ قَوَائِمُهُ ، أَيْ دَكَّتْ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلْعَلَامِ إِذَا كَانَتْ أُمُّهُ بَيْضَاءَ وَأَبُوهُ عَرِييَا : آدَمَ ، لِحَاثِ لَوْنِهِ بَيْنَ ثَوْنَيْهِمَا .

خِلَاسِيٌّ ، بِالْكَسْرِ وَالْأَنفِ خِلَاسِيَّةٌ وَقَالَ الْبَيْتُ : الدَّبِيكَةُ خِلَاسِيَّةٌ ، هِيَ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الدَّجَاجِ الْهِنْدِيِّ وَالْعَارِسِيِّ .

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ الطَّائِوسَ بَرَّهْنِي مِنْهُ ، وَجِئْتُ إِذَا نَظَرْتُ فِي أَعْطَافِهِ ، وَرَأَيْتُ الْوَانَةَ الْخُفْلِفَةَ ؛ فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى سَاقِيهِ وَجِئْتُ لَدَيْكَ وَالْكَسْرُ نِكَاظُهُ وَزَهْوُهُ ، فَصَاحَ صِيَاحُ التَّوْبِلِ لِحَزَنِهِ ؛ وَذَلِكَ لِذِقَّةِ سَاقِيهِ وَتَوُّوْهُ عُرْقُوبِيَّةً .

• • •

### الأصل :

وَقَدْ تَجَمَّعَتْ مِنْ غُلُوبٍ سَاقِيهِ صِبْغِيَّةٌ خَمِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْمُرْفِ كُنُزَةٌ خَضِرَاءُ مُوشَّاةٌ ، وَتَخْرُجُ عَنْهُ كَالْإِبْرَةِ ، وَتَمُزُّهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسْمَةِ الْبَلْبَانِيَّةِ ، أَوْ كَعَرِيْرَةٍ مُنَابِتَةٍ مِرْآةَ ذَاتِ صِفَالٍ ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِغْصَرِ أُسْجَمٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُحْمَلُ لِكثَرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْفِهِ ، أَنَّ الْخَضِرَةَ الْمَاضِرَةَ تُمَزِّجُهُ بِهِ ، وَمَعَ فَتْنِي تَمِيحِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَفْعُوَانِ ، أَبْيَضُ بَقِيٍّ ؛ فَهُوَ بَيْضَاضُهُ فِي سَوَادِ

مَا هُنَاكَ بِأَنْتَقِ ، وَقَلَّ صِنْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِيسَطٍ ؛ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِّيقِهِ ،  
وَبَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْقِهِ ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ اللَّبْنُونَةِ ، لَمْ تُرَبِّهَا أَنْطَارُ رَبِيعٍ ،  
وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ .

• • •

### التَّسْنِجُ :

تَجَمَّتْ : ظهرت . والظُّلُوب : حُرُفُ السَّاقِ ؛ وَهُوَ هَذَا الْعَظْمُ الْيَاسُ .  
وَالصَّبِيصَةُ فِي الْأَصْلِ : شَوْكَةُ الْحَائِكِ الَّتِي يَسْوِي بِهَا السَّدَاةَ وَالْأَعْمَةَ ،  
وَمِنْهُ قَوْلُهُ <sup>(١)</sup> :

• كَوْنُفَرِ الصَّبَا مِ فِي التَّسْنِجِ الْمَدْدُ •

وَنَقَلَ إِلَى صِبِيصَةِ الدِّبَكِ خَلَقَ الْمِهْمَةَ الَّتِي فِي رِجْلِهِ .

وَالْمُرُفُ : الشَّعْرُ الْمُرْتَفِعُ مِنْ عُنُقِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْقَنْزُوعَةُ ، وَاحِدَةُ الْقَنْزَارِ ؛ وَهِيَ الشَّعْرُ  
حَوْلَ الرَّأْسِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « غَطَّى عَنَّا قَنْزَارُكَ يَا أُمُّ أَيْمَنَ » <sup>(٢)</sup> .  
وَمَوْشَاةٌ : ذَاتُ وَشَى .

وَالْوِجْمَةُ ، بِكَسْرِ الْوِجْمَةِ : الْعِظْمُ الَّذِي يُخَضَّبُ بِهِ ؛ وَيَحْمُوزُ تَسْكِينُ السَّيْنِ .  
وَالْأَسْمُ : الْأَسْوَدُ . وَالْمَلْفَعُ : الْمَلْفُوفُ ، وَيُرْوَى : « مَلْفَعٌ بِمَجْرَ » ؛ وَهُوَ مَا تَشْدُوهُ  
الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا كَالرُّدَاءِ .

وَالْأَقْعَوَانُ : الْبَابُوحُ الْأَبْيَضُ ؛ وَجَمْعُهُ أَقْح .

(١) لأبيد بن الصمة ، وصدره :

• فَجَنَّتْ إِبْنَهُ وَالرَّيْمَاحُ قَنُوشُهُ •

مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ فِي دِيْوَانِ الْحَاسَةِ ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٩ بِشَرْحِ التَّوْبَرُزِيِّ .

(٢) النِّهَايَةُ لِأَبْنِ الْأَثِيرِ ٣ : ٢٧٩ ؛ وَاصْبَحَ مَاكَ : « أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّ سَلَمَ : خَصَلِي قَنْزَارُكَ » .

وأبيض يَبْقُ : خالص البياض ، وحاء : « يَبْقُ » بالكسر . وبألق : يلعب .  
والبصيص : البريق ، وبعث الشيء : لمع .  
وتربها الأمطار : تربتها ونجمها .

يقول عليه السلام : كَانَ هذا الطائرَ ملتجئاً ملتجئاً سوداء ، إلا أنها لكثرة رؤيتها  
بجوفهم أنه قد امتزج بها حضرة ناضرة ، وقل أن يكون لون إلا وقد أخذ هذا الطائر منه  
بنصيب ، فهو كراهير الربيع ، إلا أن الأرهاط تربتها الأمطار والشموس ؛ وهذا مستمن  
من ذلك .

• • •

### الأصل :

وَقَدْ يَنْتَحِيرُ مِنْ رِيَشِهِ ، وَتَمْرِي لِيْنِهَا حَيْثُ قَيْسَقُ تَنْزِي ؛ وَبَنِيَتْ نَبَاً ؛  
فِيَنْتَحَتْ مِنْ قَصَبِهِ أَعْمَاتَ أَوْزَاقِ الْأَعْمَانِ ، ثُمَّ بَطَلَتْ حَقُّ نَامِيَا حَتَّى يَمُودَ كَهَيْئَتِهِ قَلْبُ  
سُوطِهِ . لَا يَحَالِفُ سَائِبَ الْوَاوِي ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَسْكَائِهِ ؛ وَإِذَا تَصَفَّحَتْ  
شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ ، أَرْتِكَ خُضْرَةً وَزَيْدِيَّةً ، وَنَارَةً حُضْرَةً وَبَرَّجْدِيَّةً ، وَأَخْيَا  
صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً ؛ فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَانِ الْفِطَانِ ، أَوْ تَمْلُكُهُ قَرَائِحُ  
الْقُفُولِ ، أَوْ تَسْتَقْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِيينَ ؛ وَقُلْ أَجْرَانِي قَدْ أَعْجَرَ الْأَوْهَامَ أَنْ  
تُذَرِّكُهُ ؛ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ !

فَسُبْحَانَ الَّذِي هَرَّ الْقُفُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَاءَ لِلْمُيُوسِ ؛ فَأَذَرَتْهُ مَخْدُوداً  
مُكْوِئاً ، وَمُؤَلَّفاً مَلُوءاً ، وَأَعْجَرَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْجِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَتْ بِهَا عَنْ  
تَأْدِيَةِ تَعْنِيهِ !

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الدَّرَّةِ وَانْتَهَجَهُ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْفِيلَةِ !

وَوَإِى عَلَى قَلْبِهِ الْإِضْطِرَابُ شَبَّحَ بِمَا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ ؛ إِلَّا وَجَعَلَ الْحَيَامَ مَوْجِدَهُ ،  
وَالْفَنَاءَ غَابَتَهُ .

• • •

## الهنج :

يحصر من ريشه : ينكشف فيسقط ، ويروى : « يحصر » .

تتري ، أى شيئاً بعد شيء وبينهما فترة ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا  
تَتْرَى ﴾<sup>(١)</sup> ؛ لأنه لم يرسلهم على تراسل ، بل بعد فترات ؛ وهذا مما يلاحظ فيه قوم ،  
فيستفدون أن « تتري » للمواصلة والالتصاف . وأصلها الواو من « الوتر » وهو الفرد وفيها  
لعنان ، فتون ولا فتون ، فمن ترك حرفة المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث ، ومن نوتها  
جعل ألفها للإلحاق .

قال عليه السلام : « وينبت تهاها » أى لافتات بينهما ، وكذلك حال الريش  
الساقط ، يسقط شيئاً بعد شيء ، وينبت جميعاً .

وينبت : ينساقط ، وانمحات الورق : تنافرها . وناميا : زائلاً . يقول عليه السلام :  
إذا عاد ريشه عاد مكان كل ريشة ريشة ملونة بلون الريشة الأولى ، فلا يتخالف الأوائل  
والأواخر .

والخضرة الزبرجدية : منسوبة إلى الزمرّد<sup>(٢)</sup> ، ولغظة « الزبرجد » نارة تستعمل ،  
وتلوة لهذا الحجر الأحمر المسمى « باخش » . والمعجد : الذهب . وعائق الفطن :

(١) سورة المؤمنين ٤٤ .

(٢) و المسان : « الزبرجد والزبرجد : الزمرّد » .

للهمدة القعر . والقريحة : الخاطر والذهن وبهر : غلب ، وجلاء : أظهره ؛ ويروى بالتخفيف . وأدمج القوائم : أحكمها ؛ كالحبل المدمج الشديد الفتل .  
والذرة : النملة الصغيرة . والههجة ، واحدة الهجج ؛ وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه النعم والحمر وأعينها .  
ووأى : وعد ، والوأى : الوعد .

• • •

واعلم أن الحكماء ذكروا في الطاوس أموراً ، قالوا : إنه يبش خماً وعشرين سنة<sup>(١)</sup> ، وهي أقصى عمره ، ويبيض في السنة الثالثة من عمره عندما يفتش لونه ، ويتم ريشه . ويبيض في السنة سبعة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة أيام ، ويحضنها ثلاثين يوماً ، فيفرخ ويلقي ريشه مع سقوط ورق الشجر ، ويقبض مع ابتداء نبات الورق . والدجاج قد يحسن بيض الطاوس ؛ وإنما يختار الدجاج لحصاته ؛ وإن وجدت الطاووسة ، لأن الطاوس الذكر يمش بالأنثى ، ويشعلها عن الحصانة ، وربما افقص البيض من تحتها ؛ ولهذا العلة يخبأ كثير من الإناث محاضنها عن ذكرائها ، ولانقوى الدجاجة على أكثر من بيض طاروس . وينبغي أن يتمدد الدجاجة حينئذ بقرب العلف منها . وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله في كتاب " الحيوان " : إن الطاووسة قد تبيض من الريح ؛ بأن يكون في سفانة الريح وفوقها طاروس ذكر ، فيعمل ريحه فتبيض منه ، وكذلك القبجة .

قال : ويبض الريح قل أن يفرخ .

• • •

## الأصل :

منها في صفة الجنة :

قُلُوبٌ رَمَتْ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا ؛ لَمَزَتْ نَفْسُكَ هُنَّ بِدَائِعِ  
مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ  
أَصْطِغَافِ أَشْجَارِ عُيُتِ عُرُوفِهَا فِي كُنْهَانِ الْيَسَنِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيْقِ  
كَبَائِسِ اللُّوْلُؤِ الرُّطْبِ فِي حَسَائِمِهَا وَأَنْفَاسِهَا ، وَطُلُوعِ نَلَكِ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ  
أَكْمَامِهَا ، نَحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ قَتَانِي عَلَى مُنْتَبِهٍ مُجْتَنِبِهَا ، وَيَطَافُ عَلَى نَزَائِلِهَا فِي  
أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأُصَالِ الْمُصَنَّفَةِ ، وَالْخُورِ الْمُرَوِّقَةِ .

قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تُتِمُّكَدِي بِهِمْ حَقِّ حُلُوقِ دَارِ الْفَرَارِ ، وَأَمِنُوا قُلَّةَ الْأَسْفَارِ ؛  
قُلُوبٌ شَقَلَتْ قَلْبَكَ أَبْهًا أَلَمْ تُشْفَعْ بِالْوُضُوءِ إِلَى مَا يَهْتَمُّ قَلْبُكَ مِنْ نَلَكِ الْمَنَاطِرِ الْمُرَوِّقَةِ ؛  
لَرَحِمَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَلَقَعَمَلَتْ مِنْ تَجَلُّسِي هَذَا إِلَى مُحَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُصُورِ أَسْتَعِجَالًا  
بِهَا ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَمُنُّ بِسْمِي يَقْبَلُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الرضي رحمه الله تعالى :

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَوْزُ عَمَلَيْهِ » الْأَوَّلُ : كِنَايَةٌ عَنْ التَّكَايُحِ ؛ يُقَالُ :  
أَرَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَوْزُهَا ، إِذَا نَسَكَّحَهَا .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَانَهُ قَنَعُ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيَّةٌ » ؛ الْقَلْعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ .  
وَدَارِي : مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ؛ وَهِيَ الدَّاءُ عَلَى الْبَحْرِ يُجْتَلَبُ مِنْهَا الطَّيْبُ . وَعَنَجَهُ ، أَيِ  
عَطَفَهُ ؛ يُقَالُ : عَنَجْتُ الدَّافَةَ ، أَعْجَبْتُهَا عَنَجًا إِذَا عَطَفْتُهَا . وَالنُّوتِي : الْمَلَّاحُ .

وقوله عليه السلام : « ضَعَّقْتُ جُنُونَهُ » ، أراد جَانَنِي جُنُونَهُ ، وَالضَّفَّتَانِ :  
الْجَانِبَانِ .

وقوله : « وَفَلَذَ الرَّبُّ رَجْدِي » ، أَلَمَلَدَ : جَمْعُ مَيْدَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ .  
وقوله عليه السلام : « كَبَّائِسُ الثَّلَاثِ أَرْطَابٍ » الْكِبَاسَةُ : الْمَيْدَةُ . وَالْمَسَالِيجُ :  
الْمَعْصُونُ ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ .

\*\*\*

### الْمِنْخُ :

وَمِيتَ بِيَصْرِ قَلْبِكَ ، أَيْ أَفَكَّرْتَ وَتَأَمَّلْتَ وَعَزَّفْتَ نَعْمَكَ : كَرِهْتَ وَزَهَدْتَ .  
وَالزُّخَارِفُ : جَمْعُ زُخْرَفٍ ؛ وَهُوَ الْقَدْحُ وَكُلُّ مَمُوتَةٍ .  
وَاصْطَفَا فِي الْأَشْجَارِ : انْتَقَاها صَفْلًا ، وَيُرْوَى : « فِي اصْطِفَاقِ أَغْصَانِ » أَيْ  
اصْطَرَابِهَا .

وَيَأْتِي عَلَى مُنْيَةٍ مَحْتَبِهَا : لَا يَذْكُرُ مُنْيَةَ أَصْلًا ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ بَلَغَ نَهَايَةَ  
الْأَمَانِ .

وَالْمَسْلُ الْمَصْفَقُ : الْمَصْفَى مَحْوِيلاً مِنْ إِمَاءٍ إِلَى إِمَاءٍ . وَالْمَوْقَةُ : لِلْمَجْبَةِ . وَزَهَقَتْ  
نَفْسُهُ : مَاتَ .

\*\*\*

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَزِيدَ فِي النِّشْوِيقِ إِلَى الْجَمَّةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ؛ فَكُلُّ  
الْمَيْدَةِ فِي جَانِبِ الْفَرَا<sup>(١)</sup> .

(١) الْفَرَا : حِمَارُ الْوَحْشِ ؛ وَأَصْلُ الْمَثَلِ : « كُلُّ الْمَيْدَةِ فِي حَوْفِ الْفَرَا » ، وَفِي الْقَامُوسِ بِقِيَرِ هَمْزٍ لِأَنَّهُ  
مَثَلٌ ؛ وَالْأَمْتَالُ مَوْصُوعَةٌ عَلَى الْوَقْفِ .



وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك أخبار صحيحة ، فروى أسامة بن زيد ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الجنة فقال : « ألا مشير لها هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ، ونور يتلألأ ، ونهر يطارد ، وزوجة لا تموت ؛ مع جود ونعيم ، ومقام الأبد » .

وروى أبو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله : « إن الله سبحانه لما حوط حائط الجنة ؛ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرس غرسها ، قال لها : تسكمني ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : طوبى لك منزل لئلك ! »

وروى جابر بن عبد الله عنه عليه الصلاة والسلام : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال لهم ربهم تعالى : آمحبون أن أزيدكم ؟ فيقولون : وهل خير مما أعطيتنا ؟ فيقول : نعم ، رضوانى أكبر » .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن أحدكم ليمطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب » ، فقل له : فهل يكون منهم حدّث أو قل خبث ؟ قال : « عرق يفيض من أعراضهم كريح المسك بضرب منه البطن » .

وروى الزمخشري في " ربيع الأبرار " — ومذهبه في الاعتزال وبصرة أصحابنا معلوم ؛ وكذلك في انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم — أن رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله ، قال : « لما أسرى بي ، أخذني جبرئيل ، فأمسكنى على درنوك من درانيك الجنة ، ثم ناوانى سفرجلة ، فبينما أنا ألقبها انفلقت ، فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها ، فسكنت ، فقلت : من أنتِ ، قالت : أنا الراضية للراضية ، خلقتي الجبار من ثلاثة أصناف : أعلى من عذير ،

وأوسطى من كافور ، وأسفل من مسك . ثم عجنى عاء الحيوان ، وقال لى : كوني كذا ،  
فكنت . خلقى لأحيك وابن عثك على بن أبى طالب .

قلت : الدرر نوك : ضرب من البسط ذو جمل ، ويشبه به قرّة البعير ، قال الراجز :  
• حمد الدرر أن يشرف الأجلاد<sup>(١)</sup> •

---

(١) اللسان ١٢ : ٣٠٦ ، ونسبه إلى رؤبة ، وجمده .

• كأنه محتضب في أجساد •

(١٦٧)

الأصل:

ومن خطبة له عليه السلام:

لَيْتَنَاسُ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ ، وَلَيَزَافَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا  
كَجُعَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ؛ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَقُولُونَ ؛ كَقَتَيْبٍ بَيَّضَ فِي  
أَدَاجٍ ، يَكُونُ كَسْرُهَا وَزَرًا ، وَيُخْرِجُ حِمَاةَهَا شَرًّا .

\*\*\*

الشرح

أمرهم عليه السلام أن يتأسى الصغير منهم بالكبير في أخلاقه وآدابه ؛ فإن الكبير  
لكثرة التجربة أحرم وأكيس ، وأن يرأف الكبير بالصغير . والرأفة: الرحمة ؛ لأن الصغير  
مظنة الصنف والرفقة .

ثم نهىهم عن خُلُقِ الجاهلية في الجماء والفتوة ، وقال : إِيَهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ فِي دِينِ  
وَلَا يَقُولُونَ عَنِ اللَّهِ مَا يَأْمُرُهُمْ ؛ وَهَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ مِمَّنْ لَّكُم مِّنْهُمْ غُفْرَانٌ ﴾<sup>(١)</sup> . وروى : « يَتَفَقَّهُونَ » جاء الخطاب .

ثم شبههم ببعض الأفاعى في الأعشاش ، بظن بعض القطا فلا يحل لمن رآه أن يكسره .  
لأنه يظنه ببعض القطا ، وحصاه يخرج شرًّا ؛ لأنه يفتقر من أفعى .

واستعمار لفظة الأدهى « بلا عثش بحارا ! لأن الأدهى لا تكون إلا للنعام تدحوها بأرجلها وتبيض فيها ، ودحوها : توسيعها ، من دحوت الأرض .  
والقيض : الكسر والعلق ، قصت الفارورة والبيضة ، وانقاست هي ، وانقاض الجدار انقياضا ، أى نصدع من غير أن يقطع ؛ فإن سقط قبل : تقيص تقيضا ، وتقوض تقوضا ؛ وقوته أما . وتقول للبيضة إذا تكسرت فبقا : تقيصت تقيضا ، فإن نصدعت ولم تنعلق ، قلت : انقاضت ، فهي منقاضة ، والفارورة منه .

• • •

الأصل :

منها :

افترقوا بعد ألقينهم ، وتشتتوا عن أصيهم ؛ فبينهم أخذ بضن ؛ أينما مال مال ممة ؛ على أن الله تعالى سيجتهم لشراً يوم ربي أمية ؛ كما يجتمع قرع الخربق ، يؤلف الله بينهم ثم يحدهم ركنا كركام السحاب ، ثم يفتح الله لهم أبوابا . يسيلون من مستنارهم كسيل الجنين ؛ حيث لم تسلم عابرة ، ولم تثبت حائيه أكمة ، ولم يرد سقته رص طود ، ولا حيداب أرض ؛ بدعدهم الله في بطون أوديته ، ثم بلسكهم بنابيع في الأرض ، بأحذيرهم من قوم حقوق قوم ، ويمكن أقوم في ديار قوم .

وأيهم الله ليدوبن مافي أبليرهم بعد نعوو والتسكين ، كما تدوب الألية على النار .

أيها الناس ، لو لم تتخذوا عن نصر الحق ، لو لم تهينوا عن توهين الباطل ، لم

يَقْلَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ بِمِثْلِكُمْ ، وَتَمَّ بَقْوَا مَنْ قَوِيَ عَيْنُكُمْ ، لَكِنَّكُمْ تَهْتَمُّونَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَلَعَمْرِي لَيُضَعِّقَنَّ لَكُمْ قَتْبُهُ مِنْ تَعْدِي أَصْحَابًا ؛ بِمَا خَافْتُمْ الْحَقَّ وَرَأَى ظُهُورَكُمْ ، وَقَطَّعْتُمْ الْأُذُنَى ، وَوَصَلْتُمْ الْأَبْقَدَ .

وَأَعْلَوْا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمْ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَّكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ ، وَكَفَيْتُمْ مَثْوَاهُ الْإِعْتِسَابِ ، وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْعَادِيحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ .

• • •

### الْبَرْخ :

هو عليه السلام : يدكر حال أصحابه وضوئته بعده ، فيقول : افترقوا بعد ألفتهم : أى بعد اجتماعهم .



وتشتتوا عن أصحابهم ، أى عني بعد مفارقتي ؛ ففهم أخذ بنفسه ؛ أى يكون منهم من يتسلك بمن أحلفه بعدي من ذرية الرسول ، أيما سلوكوا وسلوكوا معهم ؛ وتقدير الكلام : ومنهم من لا يكون هذه حاله لكنه لم يذكره عليه السلام ، اكتفاءً بذكر القسم الأول لأنه دالٌّ على القسم الثاني .

ثم قال : على أن هؤلاء القوم : من ثبت منهم على عقيدته فيما ومن لم يثبت ؛ لا بد أن يجمعهم الله تعالى لشر يوم لبي<sup>(١)</sup> أمية ، وكذا كان ، فإن الشبهة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مروان ؛ من كان منهم ثابتاً على ولاء علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومن حادَّ منهم عن ذلك ؛ وذلك في أواخر أيام مروان الحمار ، عند ظهور الدعوة الهاشمية .

وقَرْع الخريف : جمع قَرْعَة ، وهى سَعْب صغار تجتمع فقصير ركاماً ، وهو ما كثف

(١) ج : د : ي : هـ .

من السحاب . وركت الشئ أركمه ، إذا جمته وأقيت بعضه على بعض .

ومستارهم : موضع ثورتهم .

والجنتان : هما اللتان قال الله تعالى فيهما : ﴿ أَقَدْ كَانَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ فِي مَسْجِدِهِمْ آيَةٌ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ <sup>(١)</sup> . وسلط الله عليهم السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَغْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . فثبته عليه السلام سيلان الجيوش إلى بني أمية بالسيل المسلط على تينك الجنتين .

فإنه لم تسل عليه قارة ؛ وهي الجبل الصير . ولم تثبت له أكمة ، وهي التلعة من الأرض .

ولم يرد سته ، أى طريقه . طود مرصوص ، أى جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض . ولا حذاب أرض . جمع جذبة <sup>(٣)</sup> . وهي الروابي والتجاذ .

ثم قال : « يذعذعهم الله ؛ الذعذعة بالذال المعجمة مرتين : التفريق ، وذعذعة الشر : إذاعته .

ثم يسلكهم ينابيع في الأرض ، من ألماط القرآن <sup>(٤)</sup> ، والمراد أنه كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن في أعماق الأرض ، ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها ، كذلك هؤلاء القوم ، يفرقهم الله تعالى في بطون الأدوية وغوامض الأخوار ، ثم

(١) سورة ساء ١٥ .

(٢) سورة ساء ١٦ .

(٣) في اللسان : المسحة ، يفتحان : ما أشرف من الأرض وغلط وارضع . ولا تكون المسحة إلا في ثقب أو غلط من الأرض .

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الزمر ٢١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبَاعٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

يظهرهم بعد الاحتفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ، ويمكن منهم قوما من ملك قوم وديارهم .

ثم أقسم ليدعون ماى أبدي بنى امية بعد عتوهم ونسكينهم ، كما تذوب الآلية على النار ؛ وهمة « الآلية » مفتوحة ، وجمعها آليات ، بالتحريك ؛ والثنية أليان بغير تاء ؛ قال الرازي :

• ترنج آليه ارنجاج الوطى<sup>(١)</sup> •

وجمع الآلية ألاء على « قبال » وكش آلى على « أفل » ونجدة « ألباء » والجمع ألى على « قمل » ، ويقال أيضا : كبش أليان بالتحريك ، وكاش أليانات ، ورجل أليا ، أى عظيم الآلية ، وامراء عجرا ولا تفل : « ألباء » وقد قاله مضمهم وقد ألى الرخل بالكسر يالى : عظمته أليته

ثم قال : لولا تمذاكم لم يطمع فيكم من هو دوسكم .

وتنهوا ، مصارع وهن ، أى ضعف ، وهو من ألعط للقرآن<sup>(٢)</sup> أيضا .

وتنهتم متاء بنى إسرائيل : جرتهم وصلتم الطريق ، وقد جاء فى السابيد للصحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : « لئلا كئبن سئبن من كان قباسكم حذو النمل النمل ، والقدرة بالقدرة ؛ حتى لو دخلوا جحر صعب لخاتموا » ، فقول : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فن إذا اومن الأخبار الصحيحة أيضا : « أمتهم كون أنتم كاتهم كغت اليهود والنصارى ا »<sup>(٣)</sup> .

وف صحبى البخارى ومسلم رحمهما الله أنه سيحيا يوم القيامة بأناس من أمتى ،

(١) الصحاح ( ألى ) من غير نية .

(٢) وهو قوله تعالى فى سورة آل عمران ١٣٩ : « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ » .

(٣) النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٥٨ ؛ قال : « ليهوك كالتهور » وهو الوقوع فى الأمر بغير روية أو القوى بغير فى كل أمر ؛ وقيل : هو التحيرة .

فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فإذا رأيتهم اختاروا ديني ، قلت : أي رب ، أصحابي ! فيقال لي : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ؟ فأقول ما قال العبد الصالح : ﴿ وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ : الإسناد في هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه .

وفي الصحيحين أيضاً ، عن زينب بنت جحش قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من يومه عمرًا وحده ؛ وهو يقول : « لا إله إلا الله . ويل للعرب من شرٍ قد اقترَبَ ! » ، فقلت : يا رسول الله ، أهلك ، وفيما الصالحون ا فقال : « نعم ، إذا كثُر الخبث » .

وفي الصحيحين أيضاً : « هُلك أمتي هذا الحق من قريش » ، قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : « لو أن الناس اعترفوا بكم » ، رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله . ثم قال عليه السلام : « أَيُصَافِقُ لِسَكُمْ لَتِيهٍ مِنْ بَدِي » . يعني الصلال ، بصدقه لكم الشيطان وأمعسكم بما حلفتكم الحق وراء ظهوركم ، أي لأجل ترككم الحق . وقطعكم الأدي - يعني نفسه . ووصلكم الأسد ، يعني معاوية . وروى : « إن اتبعتم للراعي لكم » ، براء .

والاعتساف : سارك غير الطريق . والفادح : النقل ، فدحه الدين : أنقله .



(١٦٨)

الأمن :

ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُبْعَثُهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ  
تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِقُوا مَنْ تَمَّتِ الشَّرُّ تَقَعِيدُوا .

الْعَرَائِصَ الْفَرَائِصَ ! أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تَوَدُّكُمْ إِلَى الْخَيْرِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا عَظِيمًا  
مَحْمُولًا ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَذْحُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ السُّلَيْمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ  
بِالْإِخْلَاصِ وَالْقَوَاعِدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَايِدِهَا فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِهِ  
وَيَدِهِ إِلَّا بِإِلْحَاقٍ ، وَلَا يَحْمِلُ أَثَرُ الْمُسْلِمِ إِلَّا سَعْيًا نَجِيًّا .

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَحَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنْ  
السَّاعَةُ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَائِفِكُمْ .

تَحَفَّقُوا نَلَحَقُوا ؛ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ ؛  
اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَتَوَلُّونَ حَقِّ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ،  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَمُصُّوهُ ؛ وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ  
فَاعْرِضُوا عَنْهُ .

• • •

## السير

واصدفوا من تمت الشر، أى أمرضوا عن طريقه . تقصّدوا، أى تعلّوا،  
واقصد : العدل .

ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها ؛ كالصلاة والزكاة ؛ واعتصب  
ذلك على الإغراء .

ثم ذكر أن الحرام غير مجهول للكلف بل معلوم ، والخلال غير مدخول ، أى لا يجب  
ولا قص فيه ؛ وأن حرمة السلم أفضل من جميع الحرّمات . وهذا لفظ الخبر النبوى :  
« حرمة السلم فوق كل حرمة ، دمه وعرض وماله » .

قال عليه السلام : « وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في مسألتها » ؛ لأن  
الإخلاص والتوحيد داعيان إلى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم .  
قل : « قال سلم بن يساف » ؛ وهذا لفظ الخبر النبوى بضمه .

قوله : « ولا يحمل أذى السلم إلا بما يجب » ، أى إلا بحق ؛ وهو الكلام الأول ،  
وإنما أعاده تأكيداً .

ثم أمر بمبادرة الموت ، ومماته الواقعة العامة ، لأنه بمن الحيوان كله ، ثم مماته خاصة  
أحدكم ؛ لأنه وإن كان عاماً إلا أنه مع كل إنسان بيّنه خصوصية زائدة على ذلك العموم .  
قوله : « فإن ألدس أمامكم » ؛ أى قد سبقوكم . والساعة تسوقكم من خلفكم .

ثم أمر بالتخفيف<sup>(١)</sup> ؛ وهو القناعة من الدنيا باليسير ، وترك الحرص عليها ، فإن للمسافر  
التخفيف أخرى بالنجاة ولحاق أصحابه وبلوغ المنزل ، من التقليل .

(١) أ ، ب « بالتخفيف » ، وما أتت به من د .

وقوله : « فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ » ؛ أى إِنَّمَا يُنْتَظَرُ يَمُوتُ الْمَوْتِ الْمُتَقَدِّمِينَ  
أَنْ يَمُوتَ الْآخِرُونَ أَيْضًا ، فَيَمُوتُ لِلْكَلِّ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَقٌّ عَنْ الْبَقَاعِ : لَمْ اسْتَطِيعْتُمْ هَذِهِ ، وَرَهْدْتُمْ  
فِي هَذِهِ ؟ وَلَمْ أَخْرِبْتُمْ هَذِهِ الدَّارَ وَعَسَرْتُمْ هَذِهِ الدَّارَ ؟ وَحَقٌّ عَنْ الْبَهَائِمِ ؛ لَمْ ضَرْبْتُمُوهَا ؟  
لَمْ أَجْعَلْتُمُوهَا ؟

وَرَوَى : « فَإِنَّ النَّاسَ <sup>(١)</sup> أَمَامَكُمْ » بِمَنْزِلَةِ الْفِتْنَةِ ، وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَظْهَرَ . وَقَدْ وَرَدَ  
فِي الْأَحْبَارِ النَّبَوِيَّةِ « لِيَتَصَفَّنَ الْعَجَمَاءُ مِنَ الْقُرْنَاءِ » ، وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ : « إِنَّ  
اللَّهَ تَعَالَى عَذَّبَ إِنْسَانًا بَهْرًا ، حَبَسَهُ فِي بَيْتٍ وَأَجَاعَهُ حَتَّى هَلَكَ » .

(١) به : « الناس » تعريب ؛ وما أئتمته من باقي الأصول ،

(١٦٩)

ومن كلام له عليه السلام بعد ما يبيع له بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت فوما بمن أجلب على عثمان ا فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْمَلُونَ ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا تَمْلِكُهُمْ أَوْهَامُ هَؤُلَاءِ . قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ ، وَالتَفَتَ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ ؛ وَهُمْ خِلَالَكُمْ بِسُوءِ وَنَسْكُمْ مَا شَاءُوا ؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ ؟  
إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيٌّ ؛ وَإِنْ لَمْ يَهْلِكُوا الْقَوْمَ مَادَّةً . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا هَذَا . فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوفُ مُسْتَحَقَّةً .

فَاهْدِمُوا عَنِّي وَأَنْظَرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ؛ وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْمِضُ قُوَّةً ، وَتَقِطُّ مَنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً . وَسَأَمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَتُ ؛ وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا ؛ فَأَخِيرُ الدَّوَاءَ أَلَسْكَ .

• • •

### الشرح :

أجلب عليه : أعان عليه ؛ وأجابه : أعانه . والألف في « يا إخوتاه » بدل من باء الإضافة ، والماء للمسكت .

وعلى حدّ شوكتهم . شدّتهم ؛ أى لم تنكسر صورتهم .

والعبدان جمع عبد ، بالكسر : مثل جعش وجعشان ، وجاء عبدان بالضم ، مثل تمر وتمران ، وجاء عبيد ، مثل كلب وكليب ؛ وهو جمع عزيز ، وجاء أعبد وعباد وعبدان ، مشددة الدال ، وعبداء بالمد ، وعبدى بالقصر ، ومعبوداء بالمد ، وعُبد بالضم ، مثل سقف وسُقف ، وأنشدوا :

أَنسِبَ الْعَبْدَ إِلَى آيَاتِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ هَبْدٍ<sup>(١)</sup>

ومنه قرأ بعضهم : ﴿ وَهَبْدَ الطَّافُوتِ ﴾<sup>(٢)</sup> وأضافه .

قوله : « وَالتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ » : انضمت واختلطت بهم .

ومحلالكم ، أى بينكم بسومونكم ماشاءوا : يكلفونكم ، قل تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وتؤخذ الحقوق مُسَجَّةً ، من أسمع ؛ أى ذلّ وانقاد .

فأهدوا عني ، أى فاسكنوا<sup>(٤)</sup> . هَدَأَ الرَّجُلَ هَدَاءً وَهَدَوْنَاهُ ، أى سَكَنَ ؛ وأهداه غيره .

وتضمض قوة : تَضَمَضَ تَضَمُّضًا : ضَمَضْتُ الْبِنَاءَ : هَدَدْتَهُ . وَالْمَنَةُ : الْقُوَّةُ . وَالْوَهْنُ :

الضَعْفُ . وَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ ، مثل مشهور ؛ ويقال : « آخِرُ الطَّبِّ » وبفيلط فيه العامة

فتقول : « آخِرُ الدَّاءِ » ، والسكى ليس من الداء ليكون آخره .

• • •

(١) اللسان ٤ : ٢٦٠ .

(٢) سورة المائدة ٦٠ : وهى قراءة عن ابن عباس ، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٢٣٥ .

(٣) سورة البقرة ٤٩ .

(٤) فى الأصول ٥ : فاسكنناه .

## [ موقف علي من قتلة عثمان ]

واعلم أن هذا الكلام يدل على أنه عليه السلام كان في نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله ، إن كان بقي ممن باشر قتله أحد ؛ ولهذا قال : إني لستُ أَجْهَلُ مَا تَعْمَلُونَ ؛ فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك ، واعتذر بعدم التمكن كما ينبغي ؛ وصدق عليه السلام ؛ فإن أكثر أهل المدينة أُجلبوا عليه ، وكان من أهل مِصْرَ ومن الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم ، وطُوروا المسالك البعيدة لذلك ، وانضم إليهم أعراب أجلاف من البادية ، وكان الأمرُ أمرَ جاهلية ، كما قال عليه السلام ، ولو حرك ساكناً لاختلف الناس واضطربوا ، فتقوم يقولون : أصاب ، وقوم يقولون : أخطأ ، وقوم لا يحكمون بصواب ولا خطأ . بل يتوقفون ، ولا يأمن - لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم - من تجدّد فتنة أخرى كالأول وأعظم ؛ فكان الأصبوب في التدبير ، والذي يوجه الشرع والعقل الإمام إلى حين سكون الفتنة ، وتفرّق تلك الشعوب وعود كل قوم إلى بلادهم ؛ وكان عليه السلام يؤتمل أن يعطيه معاوية وغيره ، وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ، ويميّنون قوماً بأعيانهم ، بعضهم للقتل ، وبعضهم للحصار ، وبعضهم للتسور ، كما جرت عادة المتظلمين إلى الإمام والقاضي ؛ فينثذرون من العمل بحكم الله تعالى ؛ فلم يقع الأمر بموجب ذلك ، وعصى معاوية وأهل الشام ، والتجأ ورثة عثمان إليه ، وفارقوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يطلبوا الاقتصاص طلباً شرعياً ، وإنما طلبوه مغالبة ، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية ، ولم يأت أحدٌ منهم الأمر من بابهِ ؛ وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير ، ونقضهما البيعة ، ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلها الصالحين من أهلها ؛ وجرت أمور كلها تمتع الإمام عن التصدي للاقتصاص ، واعتماد ما يجب اعتماده ؛ لو كان الأمر وقع على القاعدة

الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه الكون والحكومة ، وقد قال هو عليه السلام لماوية : « فأما طلبك قتلة عثمان ، فادخل في الطاعة ، وعاكم القوم إلى ، أحلك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله » .

قال أصحابنا للعزلة رحمهم الله : وهذا عين الحق ، ومحض الصواب ، لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام ، ثم تقع المحاكمة إليه ، فإن حَكَمَ بالحق استديمت إمامته ، وإن حَكَمَ بالجور انتقض أمره ، وتبين خلمه .

فإن قلت : فما معنى قوله : « وسأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بداً فآخر النواء الكى » .

قلت : ليس معناه : وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر ، فإذا لم أجد بداً عاقبتهم ، ولكنه كلام قاله أول مسجد طاعة والوزير إلى البصرة ، فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاينة المجليين ، فاعتذر بما قد ذكر ، ثم قال : « وسأمسك الأمر ما استمسك » ؛ أى أمسك نفسى عن محاربة هؤلاء الناكثين للبيعة ما أمكننى ، وأدفع الأيام براسلتهم ونخوبفهم وإنذارهم ، واجتهد فى ردهم إلى الطاعة بالترغيب والترهيب ، فإذا لم أجد بداً من الحرب ، فآخر النواء الكى ، أى احرب ، لأنها النهاية التى ينتهى أمر العصاة إليها .